تاريخ
مديرية خط الاستواء المصرية

من فتحها الى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م

والحوادث التي وقعت فيها من سنة ١٨٩٠ الى ١٨٦٩ م

بعد مغادرة أمين باشا لها

ثم كلمة عن ضياع السودان

الجزء الثالث

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

مطبعة العدل بشارع كنيسة الأمريكان [illegible] بالاسكندرية

إهـــــــداء 2005

أسرة الأمير/ عمر طوسون

القاهـــرة

تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية

من فتحها الى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م

والحوادث التي وقعت فيها بعد سنة ١٨٨٩ الى ١٨٩٩ [illegible]

[illegible]

[illegible]

الجزء الثالث

لمؤلفه

عمر طوسون

سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

[illegible]

سنة ١٨٨٧ م

من

حكمدارية أمين باشا

هياج الشوليين ومهاجمتهم أنفينا

فى شهر ينار من هذا العام أحدثت قبائل الشولى كثيرا من الهرج والمرج حول فاتيكو وهاجموا أنفينا باغراء كباريجا وتحريضه على ما يرجح وقتلوا ابنه واستولوا على ١٥ بندقية وخطر ببالهم بعد ذلك أن يطردوا عساكر الحكومة . وقد هاجمت تلك القبائل ضواحى فاتيكو ولكنها صدت غير أن السكينة لم ترجع الى نصابها وظل الأمن مزعزعا . وكان يوجد منها عدد كبير محتشدا فى « التور » El Tôr قرب وادلاى فهاجمته فصيلة من الجند مؤلفة من ٨٠ جنديا بقيادة اليوزباشى كودى احمد افندى قومندان وادلاى يرافقه أمين باشا ومزقته فى أقرب وقت كل ممزق وبذا رجع الأمن الى نصابه فى منطقة وادلاى .

أما فى لادو فكان يتوقع حدوث ما هو أدهى وأمر إذ أن الموظفين المصريين كانوا توصلوا الى اقناع الجنود ان الامداد لا يمكن أن تأتى اليهم إلا من ناحية الشمال وعدا ذلك فان على افندى سيد احمد كان قد أرسل تحت مسئوليته وبدون أن يستأذن من أمين باشا فصيلة من الجند الى مكراكا لتبحث عن حبوب . وكان قد مر عليها ستة أشهر

وهى فى تلك الناحية من غير أن يرد منهـا حبوب وكانت تتلمس شتى المعاذير وأوهاها لتسويف رجوعها . وكانت لادو خالية من الميرة وكان فى غير استطاعة الرجاف أن تمدها بشيء منها وكان من المحتمل كثيرا أن يأتى يوم يكون فيه الرحيل الى مكراكا أمرا ميسورا .

وكان أمين باشا قد بلغه من المبشر « ماكاى » ان الطبيب فيشر Fisher نفض يديه من رحلته ابتداء من يوليـه سنة ١٨٨٦ م وقفل راجعا الى اوربا عن طريق زنزبار . ونقل كازاتى أنه سمع ان شخصا أوربيا وصل الى كاميزنجا Kamisinga وقال ان كباريجا أيد هـذه الاشاعة . وكان أمين باشا غير مطمئن البال على كازاتى إذ أنه كان يؤخذ من مكاتباته الواردة أخيرا أنه على خـلاف مع كباريجا وان الباعث لهذا الخلاف هـو صراحته مع الملك التى كان ينبغى أن تقابل منـه باكرام واخلاص لا بالمكر والروغان . وكان أمين باشا يخشى أن يأتى يوم يزداد فيه الخلاف شدة وكان ماكاى قد نصحه بأن يفاوض هـو شخصيا الملك لحل مختلف المسائل المعلقة بينهما . وكان أمين باشا نوى أن ينتقل الى أونيـورو فى شهر فـبراير ويقضى فيها زهاء ١٥ يوما إذا سمحت له اشغاله بذلك لينجز ما لديه من الأعمال .

وأمر أمين باشا بفحص الباخرتين « الخديو » و « نيانزا » وترميمها وكان قد مر عليهما أمد طويل بدون فحص ولا ترميم وأمر كذلك ببناء ثلاثة صنادل لتأدية ما يلزم من الخدم .

وفى ٢٠ فـبراير ورد الى وادلاى بريـد لادو عن طريق دوفيليـه . وجـاء فيه من حامد افندى ان الذين فى لادو يرغبون مبارحـة المحطة

ويطلبون رسميا أن يأذن لهم أمين باشا بتوزيع الجنود بين الرجاف و كري . وكان حسبما ورد فى تقرير من مكرا كا لم يزل بعض الدناقلة فى ممبتو بقيادة شخص يقال له صالح حكيم .

شبوب النار فى دوفيليه و وادلاى و لادو و موجى

وكتب حواش افندى من دوفيليه ان النار شبت فى موضعين منها فدمر الحريق مساكن ٤٠ الى ٥٠ شخصا من أتباعه وطلب من أمين باشا اقالته من منصبه واستدعاءه عنده إذ صار فى غير استطاعته أن يستمر فى مركزه على الرغم من ارادة الناس وموقفهم منه وعلى ذلك يؤثر أن يوجد معه .

وفى ٢٣ فبراير وضع بعض الزنوج النار فى الكلأ خارج محطة وادلاى فاندلع لهيبها وامتد الى المحطة وان هو إلا ساعة زمانية حتى تلاشت وأبيدت ولم يبق منها إلا نحو ١٥ كوخا . وبعد جهد جهيد أمكن انقاذ الأسلحة والذخيرة وما بقى بعد ذلك من عاج وزاد ومقتنيات خصوصية راح طعاما للنيران كما راح روحان من النفوس البشرية .

واستغاث أمين باشا برؤساء الزنوج الذين بالناحية فلبوا نداءه بكيفية توجب الثناء والشكر ومع السرعة المتناهية والانشراح . وانقسم القوم الى فرق بقيادة أمين باشا وضباطه وطفقوا يشتغلون من الصباح الى المساء وبهذه الطريقة وطد أمين باشا الأمل أن يعيد بناء المحطة فى ظرف شهرين . ولقد أمكن لحسن الحظ انقاذ ما يكاد يكفى اطعام الموجودين بوادلاى .

وكتب الى كازاتى أن يطلب من كباريجا ٣٠٠ ثوب من المنسوجات ليوزعها على الجنود .

وأرسل فيتا حسان على ظهر الباخرة « الخديو » الى دوفيليه ليحضر منها ما تدعو اليه الحاجة . وأعدت الباخرة « نيانزا » لتكون بمثابة مخزن للبارود ووقفت فى وسط النهر مثبتة بمراسيها الى أن تم البناء الجديد .

وفى ٢٧ فبراير عادت الباخرة « الخديو » تحمل خبر احتراق محطتى لادو و موجى وذهاب الأولى برمتها طعمة للنيران وكذلك الثانية التى أنقذ منها فقط مخزن البارود . وانتقل المقيمون بلادو الى الرجاف مع أسرهم وأخلوا الأولى اخلاء تاما .

أما الزيارة التى كان أمين باشا قد قرر القيام بها فى أونيورو فقد رأى نفسه مضطرا الى تأجيلها للأسباب الآتية وهى :—

لقد كان كباريجا يتميز من الغيظ لأن أمينا باشا لم يعره جنودا فى الحرب التى دارت رحاها أخيرا بينه وبين أوغندة لحرض خفية قبائل الشولى على احداث مشاغبات واضطراب حول محطة ماهاجى Mahagi بقصد الانتقام .

وكان أمين باشا على وشك أن يكتب الى ماكاى أن يبذل ما فى استطاعته لدى موانجا ليمنع مرور البارود من بلده الى أونيورو وأن يحث الواجندا على طلب أكبر ما يمكن من كميات العاج من كباريجا فيضطر هذا الى أن يلتجىء الى أمين باشا للحصول على هذه المادة

وذلك ابتغاء الانتقام ومقابلة الشر بالشر .

وفى أول أبريل اتصل بأمين باشا خبر فحواه ان أهالى لادو تم توزيعهم بين محطتى الرجاف و مكراكا . أما المحطات الأخرى فكانت غاية فى النظام وأخذت محطتا « مهاجى » و « مسوه » الجديدتان الواقعتان على البحيرة فى التقدم والعمران وكان أمين باشا يقول انه سيشرع عما قريب فى اخلاء محطة فاتيكو ونقل حاميتها الى فاديبك .

وفى ٤ منه بارحت الباخرة « الخديو » وادلاى حاملة البريد الى الرجاف و دوفيليه ولتحضر حواش افندى من هذه المحطة الأخيرة . وأرسل معها أمين باشا مكتوبا الى حامد افندى ليأمر اليوزباشى على افندى جابور بأن يحصل من مكراكا على الحبوب اللازمة لتموين الأورطة الأولى ويأذن له بالعودة اليها هو ورجاله وألا يعطيه بأى حال من الأحوال جنودا آخرين علاوة على الذين معه لأن هذا الوقت ليس وقت انشاء محطات جديدة .

وصول بريد أوغندة الى لادو
مع رسل وهدايا من كباريجا .

وفى ٩ أبريل وصل الى وادلاى الضابط عبد الرجال افندى وهو ذلك الضابط الذى كان مع كازاتى لدى كباريجا ، يحمل بريد كازاتى و أوغندة وكان يصحبه ماتونجولى وشخصان آخران من قبل كباريجا يحملان ثوبين من النسيج هدية الى أمين باشا وقد أكدا له أن صداقة ملكهما لا تزعزعها كرور الأيام . وقالا بالنيابة عنه ان منزل كازاتى

لم يحط بالحراس إلا ابتغاء ابعاد الدساسين عنـه والحيـلولة دون ازعاجهم لخاطره وانه لا يخشى عليه أن يصاب بأى مكروه . وطلب كباريجا من أمين باشا أن يسمح لرسله بزيارة الاربعة الغلمان الذين كان قد أرسلهـم لتلقى الدروس فى مدرسة وادلاى .

وكلف أمين باشا رسل كباريجا أن يبلغوا مولاهم شكره على هـداياه ويقـولوا له انه اذا أراد استمرار العلائق الحسنـة بينـه وبين الحكومة المصرية فعليه أن يدع كازاتى مطلقا فى حركاته وسكناته ومشترياته وأن يكف كذلك عن اثارة الزنوج ضد هـذه الحكومة . ثم أعطاهم بعض الهـدايا وأذن لهم بالسفر .

وفى ١٠ أبريل وصلت الباخـرة « الخـديو » الى وادلاى قادمـة من دوفيليه وعلى متنها حواش افندى و ٣٠ جنديا و قاذفة اللهب « الصاروخ » وبعض المؤونة .

وعرض أمين باشا هـؤلاء بحضور رسل كباريجا مع شىء من المباهاة والزهـو لكى يؤثر عليهم ويريهم أن موارد المـديرية ما زالت فياضة ولم يؤثر عليها حادث الحريق وهو على يقين من انهم سينقلون الأمر الى كباريجا مبالغين فيه حسب عادتهم .

وفى ١٨ أبريل سافرت الباخرة « الخـديو » من وادلاى ووجهتها تونجـورو و كيبيرو وعلى ظهرها بريد برسم كازاتى . وكان من بين ركابها فيتا حسان الذى كان فى وادلاى من أواخر العام المـاضى وذهب الآن لتسلم مركزه . وكان بها ايضـا رسل كباريجا وضابط

صف سودانى يقال له عبد الله المصرى وكان هذا يحمل بريد كازاتى . وكانت التعليمات التى أعطيت للباخرة تقضى عليها أن تقف فى الجزيرة أولا ثم تذهب بعد ذلك الى كيبيرو وتنزل المسافرين الى أونيورو . ثم تبقى فى كيبيرو منتظرة البريد الذى يرد من كازاتى وترجع بعد تسلمه الى وادلاى . وأوصى أمين باشا أن تظل الباخرة راسية بعيدة عن البر ونبه على الجند بشدة اليقظة والانتباه فى الحراسة .

محاولة الوانيورو الاغارة على والادى واغراقهم فى النهر

وفى ٢٣ أبريل رجعت الباخرة « نيانزا » وعليها حواش افندى الى دوفيليه واتصل بأمين باشا ان تجريدة من الوانيورو (١) تسير فى اتجاه الشمال فبعث بتعليمات الى محطة فاتيكو حتى تكون على حذر وتراقب الأحوال بيقظة والتفات وتقاوم محاولة كل تقدم نحو ذلك الاتجاه . وهذا الخبر ينطبق على ما أبداه كازاتى بتقريره حيث قال ان ماتونجوليا ومعه جيش مسلح أرسله كباريجا فى اتجاه الشمال .

وفى ٢٧ منه بلغ أمينا باشا ان بعض رؤساء الوانيورو اقترحوا شن غارة على وادلاى فعارض هذا الفريق فريق آخر قائلا ان هذا عمل فيه كثير من الأخطار وأوعز بالسير على تونجورو أو مهاجى . وفى الحال نبه أمين باشا فيتا حسان الى ذلك حتى لا يؤخذ على غرة . واعتبر هذه فرصة لمرور رجال كباريجا فى النهر واغراق مراكبهم وابادتهم فيه .

---

(١) — الوانيورو هم رجال الأونيورو وهم والشوليون تحت حكم كباريجا .

وفى ٢٨ أبريل سافرت من وادلاى فصيلة مؤلفة من ٧٠ جنديا و ٣ ضباط بقيادة كودى احمد افندى للاقتصاص من الزنوج فقابلت هؤلاء على مرحلة ٤ ساعات من المحطة فهزمتهم وشتت شملهم . وورد أيضا خبر من محطة فاتيكو بأن جنود هذه المحطة هزمت فريقا من رجال الأونيورو وردته على أعقابه .

وفى ٣ مايو تلقى أمين باشا بريدا من فيتا حسان وكان قد رجع من كيبيرو الى تونجورو . وورد له مع هذا البريد خطاب من كازاتى تعرض فيه للكلام عن الاشاعة الذائعة بصدد حملة استانلى . وحجز فيتا حسان الباخرة « الخديو » الى أن وصلت اجابة أمين باشا الذى بعث كودى احمد افندى على متن الباخرة « نيانزا » مزودا بأمر يقضى بأخذ الباخرتين واغراق جميع مراكب الشوليين . وحضر كودى افندى الى الجزيرة وأخذ فيتا حسان والباخرة « الخديو » وأغرق كافة المراكب السابق ذكرها ثم قفل راجعا الى وادلاى . وأحدثت هذه العملية الجريئة أثرا محمودا للغاية إذ أنها ألقت الرعب فى قلوب الشوليين فلم يعودوا يتحركون بعد .

توتر العلائق بين كباريجا و كازاتى
وورود القمح الى وادلاى

وبلغ أمينا باشا ان العلائق بين كازاتى و كباريجا أمست متوترة فكتب الى كازاتى أن يلازم جانب اليقظة وأن يذهب الى أوغندة أو يرجع الى وادلاى اذا رأى ان حياته مهددة بالخطر وأمر فيتا حسان أن يذهب فى الباخرة الى كيبيرو وينتظر اجابة كازاتى .

وفى١٣ مايو حضر الى وادلاى على ظهر الباخرة « نيانزا » اليوزباشى فضل المولى افندى الأمين و اليوزباشى سليمان افندى سودان . وكان الأول قادما من دوفيليه والثانى من الرجاف . وورد فى نفس هذه الباخرة ١٣ جوالقا من القمح الابيض « الغلة البيضاء » مرسلة من حامد افندى بناء على طلب امين باشا ليستعملها فى الزراعة . ومن اخبار الرجاف ان على افندى جابور قدم من مكراكا ثم قفل راجعا اليها بدون ان يأخذ جنديا واحدا اتباعا لأمر امين باشا . وأنه تعهد ان يرسل من مكراكا الحبوب التى تلزم الجند وان كمية من العاج آتية فى طريقها الى وادلاى .

وفى ٢٠ منه قدم الى وادلاى من دوفيليه ٣٠ ترجمانا من الباريين لارسالهم الى مهاجى وأمر امين باشا بجمع ٦٠ ترجمانا آخرين وقد علم ان الواجندا اخذوا يزحفون مرة ثانية على الاونيورو وان كباريجا ارسل كافة امتعته الى كيبيرو واتخذ له ملجأ فى مرولى .

وفى ٢٧ يونيه تلقى امين باشا خطابا من كازاتى يشكو فيه ما يعانيه من العنت والارهاق ويقول ان جملة مكاتبات لم تصل اليه . وأيد خبر تقدم الواجندا ويذكر خبر قدوم محمد برى وسفره الى كيبيرو يحمل متاعا برسم الحكومة . وانه ربما أرسل هو نفسه امتعته الى هذه المحطة الأخيرة .

وأخذت العلاقات بين كباريجا و كازاتى تزداد توترا . وقام الشجار بين شهامة جندى واستبداد ملك زنجى . فكان كازاتى لا يعرف أن يروغ عند قيام المصاعب بل يريد اقتحامها كجندى . ولسوء الحظ

كان كازاتى فى مركز يحسن ان يستعمل فيه شيئا من الكياسة السياسية بدلا من الصراحة .

وكانت كل كلمة تصدر من كازاتى تمس كبرياء كباريجا وعجبه بذاته وتزيد الطين بلة . ثم انه ما عرف فوق ذلك كيف يراعى اميال كباريجا ويغض الطرف عن نزقه ولا كيف يذعن لبعض الأوامر المضحكة . فمثلا عندما يريد كازاتى ان يقابل تاجرا زنزباريا لا يرى حاجة لأن يطلب قبلا اذنا بذلك من الملك ولا يرى ان من واجبه مثلا ان لا يجيب طلب هذا بمبارحة البلد فى الحال خلال الحرب التى دارت رحاها مع الاوغندة فى المرة الثانية . ولقد كان كازاتى غير مخطىء فى عدم اجابة هذا الطلب لأنه كان يترقب ورود بريد هام من مصر انبأه عنه ماكاى ولكن هذا سبب لا يأبه له الملك ولا زنوجه ولا له اية قيمة فى نظرهم .

وهناك أمر آخر زاد فى حذر الأهالى عموما من ناحيته وكان السبب فى نفيه من أونيورو الا وهو أن الواجندا أتلفوا فى خلال الحرب الثانية كافة مساكن بلاد الأونيورو التى وجدوها فى طريقهم ولكنهم أبقوا على مسكن كازاتى دون سواه فدعا ذلك الملك بل سكان الأونيورو قاطبة أن يعتقدا أن هنالك اتفاقا سريا بين كازاتى وأعدائهم . ولولا نفوذ الحكومة المصرية الذى كان لم يزل ساريا سليما لوقع كازاتى فى مخالب الخطر ولولا الخوف من هذا النفوذ لما استطاع أن يجول سليما معافى بين سكان أونيورو الذين كانوا يرنون اليه بعين العداوة ويعتبرونه كعدو خطير .

وفى ٢ يوليه أبحر أمين باشا من وادلاى على متن الباخرة « الخديو » بقصد القيام برحلة فى بحيرة البرت نيانزا و كيبيرو . وفى نفس هذا التاريخ حدث عطب فى مرجل الباخرة استدعى وقوفها وارسال مركب الى وادلاى لاستحضار المهندسين لاصلاح هذا التلف .

وبعد اتمام هذا العمل تابعت الباخرة مسيرها بعد ظهر اليوم التالى . وقضت ساعات الليل واقفة ثم اتخذت طريقها ووصلت عند جزيرة تونجورو الساعة ٤ مساء وفيها زارهم فيتا حسان وقد كان مقيما بها .

وفى ٥ يوليه زار الرئيس سونجا أمينا باشا . وهذا الرئيس هو الوحيد الذى بقى حيا من الرؤساء الذين ذهبوا عند كباريجا . وقدم سونجا شكره لأمين باشا وقص عليه كيف كان ينقض عليه كباريجا اذا لم يهاجمه الواجندا . ويؤخذ من أقوال سونجا ان كباريجا أدركته الهزيمة والتجأ الى مرولى وان كافة أتباعه ولوه عرض أكتافهم وأعرضوا عنه وان سكان كيبيرو نبذوه نبذ النواة وانه لم يبق فى هذه القرية أحد اللهم إلا كازاتى و برى .

وفى ٦ منه اتخذ أمين باشا سبيله فى اليم ومعه فيتا حسان قاصدا كيبيرو فدخلها فى اليوم عينه بعد الظهر فلم يجد فيها إلا قليلا من الرجال وليس بها واحدة من النساء . وكان برى على الشاطىء ومعه نائب كباريجا فأتيا الى ظهر الباخرة . وقد أحضر الأول من السلع فى هذه الدفعة كمية تزيد عما أحضره فى المرة السابقة . ومن بين هذه السلع ١٤٠٠٠ الف عود من الكبريت طلب من أمين باشا أن يخفيها الى أن يسافر على الأقل . وكان يرافق محمد برى فى كل

مرة ماتونجـــولى لديه تعليمات بمراقبته مراقبة شديدة . وممـــا زاد فى حذر كباريجا الغريزى زيادة كبرى كثرة ذهاب محمد برى من مديرية خط الاستواء و أوغندة وإيابه إليها والهدايا المتواصلة التى كانت تبعث من أمين باشا الى موانجا ومن هـذا الى الأول إذ كان يرى ان فى هذه الهدايا اتفاقيـة ضده . وفوق ذلك فان محمد برى لم يطلع كباريجا على ما أحضره من الـكبريت وهـذا العمل وحـده جلب عليه غضب الملك لأنه مع جميع الاحتيـاطات التى اتخـذت اطلع الماتونجولى على الـكبريت وبلغ الأمر الى مولاه فـكان ذلك فيما بعد سببا فى هلاك محمد برى المسكين .

ونزل أمـــين باشا الى الـبر وأقام فى مسـكن كاجـارو رئيس كيبيرو وكان هذا قد لاذ بالجبال خوفا من الواجندا . وسلم أمـــين باشا أتبـاع كباريجا الذين كانوا معـه الى وكيـله وأوصـــاه ألا يدعهـم يسافرون بغـير إذن منه .

وقال برى لأمين باشا انه فقد من متاعـه أربعة طرود يحتوى اثنان منهـا على منسوجات وواحد على بن والآخر على بارود وانه لم يصل من أمتعة كازاتى إلا سبعة صناديق ومن عـاج الحـكومة إلا بعض القطع .

وقد أقام أمـين باشا زهاء اثنى عشر يوما فى كيبيرو زار فى خلالهـــا ملاحاتهـــا الشهيرة . ولاحظ ان الأهــالى يظهرون ليلا ويختفون نهارا خوفا من أن يـكون « أى أمـين باشا » محالفا للواجندا . ورأى أمين باشا البعض من هؤلاء فـوق التلال المجـــاورة فحاول أن يحادثهم ويحثهم على الرجـوع ولـكنهم أبوا أن يأتوا مـع انه كان وحيـدا وليس لديه أسلحـة وقـالوا ان الباخـرة كانت تأتى عادة وحـدها أما الآن فوراءهـــا

مركبان تجرهما .

وبعد مناقشة طالت امتثلوا فى نهاية الأمر وأتوا ليبادلوه بعض المتاجر بالزاد بعد أن تشاوروا هم ومواطنوهم .

وفى ١٨ يوليه اتخذ سبيله فى البحيرة غير انه بعد ابحاره بقليل رأى ان ماء البحيرة هائج فانقلب على عقبه راجعا الى كيبيرو فبلغها عند الظهر . وفى هذه المرة لم يتحرك الأهالى من قريتهم بل ظلوا بها إلا انه لم يأته أحد منهم .

وأرسل أمين باشا الى كاجارو ضابطا وأربعة جنود للاستعلام عما اذا كان قد ورد برسمه بريد ولاستدعائه للحضور اذا لم يكن ورد شيء أو يرسل أحدا من طرفه يكون فى استطاعته مرافقة أتباعه الذين سيبعث معهم مكاتيبه الى كازاتى . وبعد برهة رجع الضابط وقال ان كاجارو يرفض القدوم وكذلك يأبى أن يرسل أحدا ويقول ان على أمين باشا أن يرسل خطاباته وهو يتكفل بتصديرها الى كازاتى مع أحد من أتباعه .

وبعث أمين باشا بمراسلاته الى كاجارو وبعد مرور ربع ساعة رأى رسل هذا يتسلقون المرتفعات ويتواورن خلفها فسر وارتاح لذلك وأخذ يمعن فى النظر فى مسافة الطريق فاستقر رأيه على ان هؤلاء لا بد أن يصلوا عند كازاتى فى صباح الغد ويقفلوا راجعين بعد الظهر ويكونوا عنده فى صباح اليوم التالى للغد .

وأرسل أمين باشا مرة أخرى الى كاجارو يدعوه الى الحضور بنفسه

أو يبعث بوكيله لأنه يريد مكالمته . وبعد فترة قصيرة بدا شخص الوكيل وهو نفس الشخص الذى قابله عند قدومه وقدم التحيات بالنيابة عن كاجارو وقال ان هذا سيأتى فى الغد . وقص عليه ان ريحان ترجمان كباريجا كان قد حضر الى كيبيرو ليعرب للأهالى عن عدم رضا هذا عنهم لتعلقهم بأذيال الفرار حين قدومه ولينذرهم بالاقلاع عن اتيان مثل هذا العمل فى المستقبل .

وقال لأمين باشا ان أهل القرية يميلون لمعاملته ومعاملة أتباعه فى المسائل التجارية كما كان الحال فى الأيام السالفة ويودون أيضا اعتبار هؤلاء اصدقاء لهم غير انهم فزعوا وقتما رأوا الباخرة تقطر مركبين .

وقال امين باشا انه لا يستطيع ان يؤاخذ هذا الوكيل لانه رجل لا سيطرة ولا نفوذ له لاسيما ان رئيسه كان قد تعلق بأذيال الفرار . واختتم وكيل الرئيس حديثه بأن طلب من امين باشا عنقريبا لنفسه وطربوشا لكاجارو وكان هذا قد وصلت اليه بقرة تركها له امين باشا قبل سفره فى نظير اجرة الأيام التى أقامها فى منزله . وقال ان امتعة كازاتى موجودة برمتها هنا وان هذا قد أرسل اليه خمسة جواليق من الحبوب لا أكثر . ثم قال عند انصرافه انه سيرسل بعد الظهر اناسا الى السوق . ولم يصدق امين باشا مسألة الرسول الذى بعث به كباريجا لأهالى كيبيرو وعدها حكاية مختلقة أوجدتها مخيلة كاجارو وانها لم تكن سوى مناورة القصد منها تمهيد الطريق لزيارته .

وبعد الظهر نزل أتباع أمين باشا الى البر حسب الاتفاق ومعهم جلود من جلود البقر للمبادلة بها أشياء اخرى . وكان هذا النوع من الجلود مطلوبا كثيرا فى هذه الناحية واجتمع خلق كثير من الوانيورو وعاينوا الجلود وقدروا أثمانها . وبينما هم كذلك إذ حضر رجال من طرف كاجارو الى السوق وافهموا المشترين أنه من غير اللائق اجراء البيع والشراء من غير أن يأذن بذلك كاجارو وهذا بحكم الطبيعة يعتبر أمرا . فانفض البيع والشراء وقيل لاتباع امين باشا ان كاجارو لا يأذن باقامة السوق قبل اليوم التالى . وبمثل هذه المناورات السخيفة كان يحاول رؤساء الاونيورو والاوغندة ان يكتسبوا نفوذا امام الاجانب وامام نفس اتباعهم . ومن الجائز ايضا ان كاجارو لا يريد ان يأذن بتبادل المعاملة قبل ان يرى أمينا باشا او ان يكون لديه باعث خفى آخر .

وفى يوم ١٩ يوليه أتى كاجارو فى الساعة التاسعة صباحا الى السوق منتظرا على ما يظهر ان يتسابق اتباع أمين باشا فى الذهاب اليها ولكن الباشا رأى ان الفرصة سانحة ليلعب هو الآخر دوره فمنع رجاله من الذهاب الى السوق وبعد برهات رأى كاجارو ان هذه الحالة مملة فبعث بعض اناس يستدعونهم للحضور وعندئذ سمح لهم امين باشا بالذهاب وما مرت بعض لحظات حتى عمرت السوق . وكان كاجارو يجبى بالطبع ضريبة مئوية على الصفقات التى تقع .

اهتمام امين باشا ببقاء طريق أوغندة مفتوحة

وفى ٢٠ يوليه رجع عند الظهر اتباع كاجارو الذين كانوا قد ذهبوا بالبريد الى كازاتى وكان كازاتى قد كتب الى امين باشا وارسل

له أمسيجى من قبل كباريجا . وقص أمسيجى على امين باشا ان الملك انسحب حقيقة الى مرولى وان اتباعه يموتون من الجوع وانه لا يوجد لديه ذخيرة . وأن كباريجا لم يزوده بتعليمات قاطبة وهو لم يرسله إلا ليعرف مقصد امين باشا فعاد وأملى عليه الشروط التى املاها على رسل الملك فى وادلاى وتشدد فى موضوع اقتراب الجند وقال انه يريد بقاء طريق أوغندة مفتوحا مهما كلفه الأمر حتى لو ادى ذلك الى استعمال القوة . فاجابه أمسيجى انه قد كان دواما فى صفه ومحازبا له إلا ان الرؤساء الآخرين يعملون على النقيض إذ ان هؤلاء يلعبون بعقل كباريجا وبذا يذهب كلامه ادراج الرياح . فقال له امين باشا ان الاصوب ما دام الامر كذلك ان يرسل مولاه واحدا من كبار اتباعه ليستطيع ان يتفق معه فوعد أمسيجى بتبليغ هذا الطلب الى الملك وانصرف .

واعطى امين باشا الجاويش الذى كان قد قدم من قبل كازانى خطابا وخمسة رؤوس من الماعز وقدرين من السمن وكيس خرز لاستعماله فى المبادلة وأمر برفع مراسى الباخرة وادارة مقدمها شطر جزيرة تونجورو فوصل اليها فى الساعة العاشرة مساء ورافقت رحلته هذه العواصف والامواج وسافر من هذه الجزيرة فى اليوم التالى صباحا ووصل الى وادلاى فى ٢٤ يوليه .

ترامى الأخبار السيئة عن سلوك الأورطة الأولى

وفى اثناء غيابه قدمت الباخرة « نيازا » من دوفيليه تحمل بريد هذه المحطة وبريد الرجاف والضابطين سليم افندى و بخيت افندى من ضباط هذه المحطة الأخيرة . ومن اخبار هذا البريد ان الضباط

يجنحون للعصيان وغير مبالين بالبكباشى ولا بأمين باشا . اما سلوك الجند فحسن . وقدم من دوفيليه ٦٠ جنديا ولم ترد اخبار عن فاتيكو .

ووافق ١٩ سبتمبر أول يوم من سنة ١٣٠٥ هجرية فذبح امين باشا ماشية وفرق لحومها واستقبل رؤساء القبائل المجاورة .

وفى ٢٠ سبتمبر ورد بريد دوفيليه وبه خطاب من البكباشى حامد افندى قائد الاورطة الاولى يقول فيه انه وصل الى هذه الناحية أى دوفيليه وينتظر قدوم الباخرة ليذهب الى وادلاى .

وكان أمين باشا يأمل ان يستطيع سليم افندى مطر وقد أصبح الآن مطلق اليدين أن يكبح جماح متمردى الرجاف ويردهم الى الصراط السوى .

وفى ٢٢ منه أبحرت الباخرة « نيانزا » من وادلاى ووجهتها دوفيليه وعلى ظهرها حواش افندى وبعد ذلك بساعة أقلعت الباخرة « الخديو » قاصدة بحيرة البرت نيانزا فكيبيرو وعليها فيتا حسان و محمد برى وكانت تحمل أيضا بريد كازاتى وذخيرة ومؤونة له .

زيارة امين باشا محطات وجنود الاورطة الاولى ليعرف حقيقة الحال

وفى أكتوبر زار أمين باشا فيتا حسان فى تونجورو لدى جولة قام بها فى البحيرة واخذه معه الى « مسوه » وهنا وصل اليه خطاب موقعا عليه من ضباط الأورطة الأولى يلتمسون فيه منه أن يزورهم ويبثون نفس الشكوى التى عرضوها على فيتا حسان عند الزيارة التى كان زارها لهم وهى :

انه ليس من العدل ان الحكومة لا تهتم إلا بالأورطة الثانية متجاهلة بتاتا وجود الأورطة الأولى التى لا تستحق كل هذا التغاضى . وان مصاعب شتى قامت بينهم لا تستطيع تذليلها سوى حكمة أمين باشا . وظفر فيتا حسان باقناع أمين باشا بالقيام بهذه الرحلة حتى يمكن استمالة أولئك الضباط الذين لم يكونوا فى الواقع ونفس الأمر بالمتمردين ولا بالسيئى القصد لدرجة يصح معها وصفهم بهاتين الصفتين كما كان مظنونا .

تمرد حامية الرجاف

وعندما رجع أمين باشا الى وادلاى كتب فى ٣١ أكتوبر الى قواد محطات لابوريه و موجى و كري الثلاثة يسألهم عما اذا كانوا محازبين لحامية الرجاف أو ما زالوا مخلصين له . وفى ٢٦ نوفمبر ورد اليه الرد من هؤلاء بواسطة حامد افندى الذى كان فى دوفيليه .

ويقول رد لابوريه انه يستطيع أن يعتمد على كافة أفراد الجيش من ضباط وجنود وانه لا يخامر أحدا فكرة الاشتراك مع ضباط وجنود الرجاف وان مراد الكل أن يظلوا مخلصين لحكومتهم .

وجاء فى رد موجى انه عندما سئل الضباط والجنود عملا بأمر أمين باشا عما اذا كانوا ينضمون الى ضباط الرجاف وجنودها أو الى الحكومة وأشير الى الترخيص الذى يمنحه لأولئك الذين يرغبون الذهاب الى مكراكا بالانتقال اليها صاح الكل بنفس واحد انهم مقيمون على عهد ولائهم للحكومة وأنكروا وجود أى صلة بينهم وبين الثائرين . وأذيعت أيضا

اشاعة مقتضاها ان ضابطا من ضباط الرجاف قبض عليه رفاقه وألقوه فى غيابة السجن .

وجاء فى اجابة كري انه قدم اليها ٩٠٠ حمال من مكراكا ومعهم أمتعة الضباط والجنود وان هؤلاء و نساءهم و أولادهم فى انتظار غيرهم من الحمالين ليسافروا . ويقال ان رفاق اليوزباشى احمد افندى على وضعوا فى عنقه الاغلال وأبقوه سجينا يومين ثم اطلقوا سراحه . وان كثيرا من الجنود يودون المثول بين يدى أمين باشا وما منهم عن ذلك إلا رغبتهم فى عدم تركهم لنسائهم و أولادهم وهم يلتمسون منه أن يعجل بزيارته لناحيتهم .

وكان يقول أمين باشا انه لسوء الحظ لم يذكر قائد هذه المحطة الأخيرة شيئا عن نياته ولا عن الحالة فى بيدن ومع ذلك فهو يعتقد ان فى استطاعته الاعتماد عليه وعلى جنوده . أما من جهة حامية بيدن فكان يظن ان لا مناص من انضمامها الى حامية الرجاف وانه لا بد أن يعلم انها قد سافرت عند وصوله الى دوفيليه .

وفى ٣ ديسمبر وصل أمين باشا الى دوفيليه وعرض حاميتها وألقى عليها خطابا فرد عليه الضباط والجنود معبرين عما تكنه قلوبهم من الاخلاص والاستعداد للتضحية وبذل النفيس . وتفقد بعد الظهر أحوال المحطة والبساتين واستقبل كثيرا من الجنود الذين كانوا أتوا من الرجاف لزيارته بعد أن تركوا اسرهم فى هذه الناحية .

وبما انه تم اعداد الحمالين فقد تقرر الرحيل فى اليوم التالى لأن الطريق

الى المحطـــات الواقعـة فى الشمال لا مناص من قطعهـــا برا إذ لا تستطيع البواخـر اجتياز شلالات فـولا التى فى شمـال دوفيليه . وهـذه هى الرحلة التى قـام بها أمـين باشا تلبية للدعوة التى كان وجهها اليه ضباط الأورطة الأولى والتمسوا فيها زيارته لهم .

وفى ٥ ديسمبر انطلق أمين باشا فى السير وبمعيته البكباشى حامـد افندى قائد الأورطة الأولى الذى كان فى انتظاره فى دوفيليـه هو وأتباعه فتكون من ذلك قافلة مجمـوعها زهاء مائة رجـــل عدا فى ذلك الحمالون . وكان فيتـــا حسان رجـع فى العشية الى وادلاى على الباخـرة « الخـــديو » نظرا لمرضه .

واجتازوا قبيـل الساعـة العاشرة الأشجار التى يقال لهـــا أشجـار الباشا نسبة الى غوردون باشا لأنه كان يجلس تحتها وبلغـوا بعـد الظهر خـور أيو وفيهـــا استقبلتهم الحامية استقبالا عسكريا شائقـا بقيادة الملازم الأول خميس افندى . ووجد أمـين باشا مسكنه فى حالة جيـــدة ونظيفا وذبـح عجـلا للحمالـين .

وفى ٦ ديسمبر بـارح أمـين باشا خـــور أيو فى الساعة السادسة صباحـا وقطع الطريق مشيا على الأقدام وكانت حالتها جيدة . وبما انه لم يسلكها من زمن بعيد فقد أعادت الى ذاكرته ذكريات أشخاص كان طرقها معهم فى الزمن السابق مثل غوردون باشا و جيسى وغـــيرهم وصاروا الآن فى عداد الغابرين .

وقبيـــل الساعـة ٨½ أفضـــوا الى محطـة لابوريه فاستقبل فيهـــا

أمين باشا بالحفاوة العسكرية المعتادة وكذلك استقبله جمهور كبير من الزنوج .

ووجد أمين باشا نية القوم حسنة فى هذه المحطة وفى محطة خور أيو وارتجى أن تستمر الحال على هذا المنوال .

وجاء من الرجاف بحار يقال له طه وروى أن الضباط والاحوال هناك ليست على ما يرام على ان أمينا باشا فضل أن يرى الأشياء أولا بعينى رأسه قبل أن يبت بأمر من الأمور .

وأقام أمين باشا يومين فى لابوريه ونظم عرضا للجند وخطب فيهم ناصحا وتأكد من مسلك الضباط والعساكر ان كلامه لقى منهم آذانا مصغية وقلوبا واعية . وأظهر الجنود بالأخص الانشراح والارتياح وتحقق أمين باشا انه عند تقدمه للشمال لا يترك وراء ظهره سوى أصدقاء .

وأصدر أيضا أمرا لرئيس تراجمة الباريين بأن يجند من هؤلاء عددا برسم وادلاى ومحطات بحيرة البرت نيانزا . وتفقد البساتين واحضرت له هدية من البطيخ الفاخر الذى لم ير له مثيلا من أزمان مديدة .

وفى ٨ ديسمبر وصل الى موجى فى الساعة ٦ صباحا . وكان قد حدث بالطريق تحسين عظيم عما كان عليه فى الزمن الماضى . وكانت الحقول فى كل جهة منه أى يمينا ويسارا محروثة ومزروعة وبها كثير من الأكواخ وصارت الأهالى على ما يظهر أقل جبنا هنا منهم فى ناحية اخرى . وكان دخوله فى موجى قبيل الظهر وقوبل فيها بالاحتفال العسكرى المعتاد

واطلقت المدافع للتحية .

وقضى أمين باشا ليلته فى موجى وسافر منها فى الغد الموافق ٩ ديسمبر فى الساعة ٥ صباحا وبلغ كري فى الساعة ٩ صباحا . وكري هذه هى أول محطة تحتلها الأورطة الأولى . وكانت أكواخ المحطة عتيقة وضيقة ووسائل الراحة فيها قليلة .

عصيان قائد مكراكا

وفى ١٠ ديسمبر عند الساعة ٣½ صباحا أيقظ البكباشي حامد افندى واليوزباشي بخيت افندي قائد كري وسكرتيره أمينا باشا من نومه وطلبوا منه أن يرتدى ملابسه بسرعة ويسافر فى التو والساعة الى موجى لأن ثلاثتهم علموا ان اليوزباشي على افندى جابور قائد مكراكا وصل الى مسافة قريبة من كري ومعه بلوكان من الجند وزنوج من مكراكا بحيث يبلغ مجموع من معه زهاء الألف رجل وقصده القاء القبض عليه وأخذه الى غندوكورو . وحاول أمين باشا أن يهدئ روعهم ويطمئنهم فلم يجده ذلك نفعا وأمسك حامد افندى بيده وطلب منه أن يسافر بلا ابطاء ووعده أن يحضر لمقابلته فى نفس مساء اليوم ذاته . وعلى هذا اضطر أمين باشا أن يبارح كرى فى الحال وكانت الساعة ٦ صباحا ليصل بعد ثلاث ساعات الى موجى حيث كانت توجد ثلة من جنود الأورطة الثانية .

وأخبر أمين باشا عند وصوله الى موجى محطتى لابوريه و دوفيليه عن حالة الموقف وأصدر الأوامر اللازمة للذود عن المحطة الأولى . وصفت

جنود المحطة وسئلوا عمـــا اذا كانوا يريدون الذهاب الى مكراكا فأجابوا سلبا . وانقضى اليـوم وهم يتسقطون الأخبار . وقدم ليـلا غلام كان يرافق ثـائرى الرجـاف وقال ان سليم افنـدى مطـــر مسجون فى داره . وانه لدى وصول أولئك الثائرين أمام محطة بيدن أنذروا قائدها اليوزباشى بلال افنـدى بالانضمام اليهم غـير ان هذا كان قـد قطع حبـــل الطوف « المعدية » ورفض بتاتا مباشرة أية مفاوضـة معهم . وعلى ذلك استمروا فى سيرهم صوب كري وهنـاك طلبوا من الحاميـة الانضمام اليهم عند ايابهم الى مكراكا فأبت فهددوا قـائد المحطة اليوزباشى بخيت افندى بالسجن .

ولمـــا وصل على افنـدى جابور الى كري ولم يجد بهـــا أمينا باشا حجز جميع متاعـه الذى كان اضطـر بسبب تعجيل سفره أن يتركه . وظـل أمين باشا ثمانية أيام فى موجى أرسل اليه على افندى جابور فى خـلالها أمتعتـه وقد خجل من فعلته وكتب له انه لم يقم بذهنه أن يقبض عليه وانه ما أتى الى كري إلا ليؤدى له التشريفـات العسكرية .

وصول أمين باشا الى لابوريه
وتحسن الحالة فى وادلاى و دوفيليه

وفى ١٩ ديسمبر بارح أمـــين باشا موجى مبكرا . وسلك من بالمحطة سلوكا حميدا للغاية ووعـدوا أن يولوا وجوههم شطره اذا اشتد عليهم الحـال وضاقوا ذرعا .

ووصل الى لابوريه عند الظهر ووجد فيها خطابا من فيتا حسان وكان هذا مشغول البال عليه لا يدرى ما تخبئه له الأيام .

واستقر بأمين باشا الرأى على أن يقيم يومين فى لابوريه لأنه كان قد أمر سليم افندى مطر و رجب افندى بالمجىء من الرجاف ليراهما . وكان سليم افنـدى قد أتى الى موجى ومنهـا جاء الى لابوريه فى ٢٠ ديسمبر بعد الظهر وروى انه عومل معاملة السجين ثم أخلى سبيله وانه ترك الثائرين فى كري . وان دسيسة القاء القبض على أمين باشا وايداعه سجينا فى غندوكورو كان سرها مفضوحا فى الرجاف . وقال أيضا ان كثيرا من الجند كانوا يريدون القدوم وان رجب افندى ربما وصل الى كري فى ١٩ منه .

وفى ٢١ ديسمبر ورد الى أمين باشا من خـور ابو بريـد وادلاى و دوفيليه وجـاء به ان الأمور جارية فى مجـرى حسن فى هاتين المحطتين . وورد فى بريد المحطة الأخيرة ان الزنوج كانوا كامنين للتراجمة الذين كانوا يحملون البريد يرتقبون مرورهم للايقاع بهم فاضطروا الى استعمال أسلحتهم ليشقوا لهم طريقا . وفى ١٨ منه كان هـؤلاء الزنوج يتطلعون الى الاغارة على نفس المحطة إلا أنهم عدلوا عن ذلك .

فـرار أحد جنـود الأورطة الاولى
وسفر المـدير الى دوفيليه

وجاء الى خور أبو جندى من جنود البـلوك الرابع التابع للأورطة الأولى الذى يقوده اليوزباشى مرجان افندى بخيت ومعـه بندقيته من طراز رمنجتون وذخيرته .

وكان هذا الجندى تابعا للبلوك النـازل فى كري بقيادة على افنـدى جابور وانسل من رفاقه بين الرجاف و بيدن وروى ان كثيرا من الجنود

يبتغون المجىء الى أمين باشا ولكن المراقبة عليهم شديدة وهو يظن ان آخرين سيقتفون أثره الى ههنا .

وكان أمين باشا قد عقد النية على السفر يوم ٢٢ ديسمبر من خور أيو ولكنه أجل سفره للغد نظرا لعدم مجيء رجب افندى وهـــذا جاء فى الساعة الرابعة بعد الظهر .

وفى ٢٣ منـه اتخذ أمين باشا سبيله الى دوفيليـه فدخلها قبيل الظهر وقوبل بالتشريفات الواجبة لمن هم فى مرتبته . ووصلت الباخرة « الخـديو » فى المساء من وادلاى تحمل أخبارا سارة غير انه لم يرد معها مكاتبات من كازاتى . وظل أمين باشا مقيما فى دوفيليه الى آخر العام .

١ — ملحق سنة ١٨٨٧ م

رحلة اليوزباشي كازاتي في مديرية خط الاستواء

القسم الثامن

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

عرض كباريجا الصلح على ملك أوغندة

ان الثورة التي كان كباريجا قد حاك خيوطها وشب أوارهـا بين الشوليين حدثت في يناير سنة ١٨٨٧ م كما ذكرنا في آخر الملحق الأول لعام ١٨٨٦ م . وبناء على اشارة صدرت منه هب هؤلاء وأغاروا على محطتي فاديبك و فاتيكو غير ان الجند كانت على يقظة فصدوا وكبدوا خسائر فادحة فكان ذلك جزاء غدرهم وخيانتهم وقتل كبير رؤسائهم الذي كان ساعد الثورة اليمني وروحها .

وبما ان نار الحرب لم تزل مشتعلة بين الأونيورو و الأوغندة فقد استعلم كباريجا من كازاتي عما اذا كان أمين باشا لا يريد أن يساعده على أعدائه فأجابه كازاتي ان المدير لا يسمح بجندي واحـد ولا مظروف ذخيرة واحد لقتال أوغندة . فأقلق هـذا الجواب خاطر الملك لأنه كان يتهم محمد بري الطرابلسي بأنه أخذ على عهدته عقد محالفة بين الحكومة المصرية

و موانجا ملك أوغندة . وعلى ذلك بادر بارسال رسل الى هذا الأخير ليعرضوا عليه الصلح .

وفى صباح يوم ٨ فبراير وجـــدت دجاجة مذبوحة فى قاعـــة القصر الكبرى وهـذا أمر يتطير القوم منه ويتشاءمون واتهم العرب بارتكاب هذه الفعلة وبأنهم متواطئون مع الحكومة المصرية فى ارتكاب هذا الاثم ونشأ عن ذلك ابعاد ثلاثة منهم عن المملكة .

نقـــل عاصمته الى مويمبا

وفى ٦ مارس استقر رأى كباريجا على اخلاء عاصمته وقبل أن يرحل منها ضحى بيـده بغلام فى الثانية عشرة من عمره داخـل قصره وبعجل أبيض خارجه ثم اتجه شطر الجنوب وحط رحاله فى مويمبـا Mouimba وهناك غرس حربتـــه دلالة على انه ينبغى تشييد محل اقامة الملك الجديد فى هـذا الموضع . أما العاصمة القديمة فأضرمت فيها النيران وأمست فى طرفة عين اطلالا من الرماد .

وقد كان كباريجا مغـرما بقوة الأسلحـة النارية التى شاهدها فى أيدى جنود سير صمويل بيكر و غوردون باشا . وبما انه كان معترفا بتفوق هؤلاء الجنود تفوقا لا يمارى فيـه ممار فقد كان واقفا كل ارادة على مشترى بنـــادق وذخيرة . وكان يخال نفسه عندما يرى بضع مئات من البنادق تضىء حـوله انه أقدر ملك على وجه الأرض وتجول فى رأسه فكرة فتوحات بعيدة المنال ويـكثر من الغزو ويتحدى الأوغندة ويتحكم بارادته فى قبائل أقطار البحيرات .

وكان كباريجا بفطرته شديد الارتياب ومن دأبه اساءة الظن ولذلك عزل كازاتى وشدد فى عزلته على قدر ما استطاع . وفى ٦ مارس رأى كازاتى نفسه منفردا مع حاشيته والرجلين المكلفين على حسب زعم كباريجا بخدمته ولم يكونا فى الحقيقة مكلفين إلا بمراقبته مراقبة شديدة لأن هذا الملك كان يتأهب للغارة على ممتلكات الحكومة المصرية . وكان كازاتى من ناحية اخرى غير مكتوف اليدين بل بمساعدة عربى من عرب عمان يقال له احمد عوض قضت عليه متاجره بالاقامة فى أونيورو مساعدة رجل مستبسل باذل لنفسه توصل الى الحصول على سعاة أخذوا على عاتقهم حمل مكاتباته الى ماكاى وكيل المبشرين الانكليز والاياب بالاجابات عليها وذلك فى مقابل أجر معين .

حملة كباريجا لفتح أراضى صفة النيل اليمنى

وفى ٧ أبريل ذهبت الحملة التى كانت أعدت لفتح الأرض الواقعة على ضفة النيل اليمنى والخاضعة لحكم الرئيس أنفينا . وكان السبب فى اعداد هذه الحملة صلات هذا الرئيس الودية بالمدير . واخطر كازاتى أمينا باشا بالمسألة وهذا اتخذ الاستعدادات اللازمة فى الحال وعقد محالفة مع الرؤساء المقيمين على ضفاف النيل على اختلافهم وهؤلاء حشدوا جموعا كبيرة من المقاتلين فى النقطة التى يتحتم على الغزاة اجتيازها وألقت الباخرتان أيضا مراسيهما بعد مصب النيل فى بحيرة البرت نيازا بقليل .

وفى أول ينايرا استدعى كباريجا كازاتى وبعد أن تركه ينتظر طويلا سمح له بالمثول أمامه . وكان الأول عابس الوجه وأرجله تهتز تحته من

الغضب وعنف كازاتى تعنيفا مرا واتهمه بالتآمر عليه والاتفاق مع المدير ليجلب الخراب له ولمملكته .

أما ما علمه كازاتى فهو أن الباخرتين قد بدتا فى عرض النيل فى وقت كان يستبعد أن يراهما فيه الوانيورو الذين كانوا قد شرعوا فى اجتياز النهر فلم يجد هؤلاء أمامهم سوى الوقت اللازم ليقاتلوا وهم مندحرون وكافة مراكبهم أسرت أو حاق بها التلف والدمار وأهلكت جنود الحكومة البعض منهم .

أما التعنيف الذى وجهه كباريجا الى كازاتى فقد أجابه عليه بان ما حدث كان بسبب خطئه حين أراد الاستيلاء على ما للغير واتهمه بحجز المراسلات التى ترد اليه فأنكر صدور ذلك منه وتعهد بأن يتحرى عن هذا الأمر من الوزير وعلى ذلك انقضت الحادثة .

عودة الواجاندا الى محاربة الوانيورو وانتصارهم ثم انهزامهم

ورأى موانجا ملك أوغندة ان الهدايا التى بعث بها كباريجا على سبيل الترضية ليست كافية فدارت رحى الحرب مرة اخرى وانقض الواجندا على أرض الوانيورو . وأمر كباريجا كازاتى بأن يرجع الى المتلكات المصرية فلم يلب بالطبع هذا الأمر وبعث للملك بهدية وبندقية من طراز وينشستر Winchester ومعها ١٠٠ مظروف وتمنى له فى الختام النصر التام .

واستدعى الملك فى الغد كازاتى وشكره على هديته وأذن له بالاقامة فى مملكته اينما شاء وحيثما أراد . واعطاه ساعيا ليوصل مكاتباته الى وادلاى وأذن لمحمد برى بالانتقال الى كيبيرو ومعه بضائعه .

وفى ٢٢ يونيــــه ذاعت الأخبار بأن الواجنـدا فازوا على الوانيـورو فى المعارك ولهـذا السبب هاجر الملك من عاصمته لـكن كازاتى ظل مقيما بها يخفق على داره العلم المصرى .

وفى ٣ يوليـــه دخل جيش الواجنـدا فى العاصمـة . وأرسل واكيبى Wakibi قائده وفـدا الى كازاتى ليهدى اليه تحياته ويعرض عليه استعـداده لتوصيله الى أوغنده فأبى بالطبع ولكنه دخل مع رجـــال الوفد فى محادثة بخصوص ابرام محالفـة واحتلال كيبيرو هـذا إذا ظل النصر حليفهم للنهاية . وفى ٥ يوليه انقض الوانيورو على الواجندا فى كيبيرو وازاحوهم عنها فأخـذ هـؤلاء طريقهم مولين وجوههم شطر بلدهم لا يلوون على شىء . وفى ١٩ منـه لم يبق أحد منهم فى الأونيورو .

تدخل أمين باشا فى هــــذا النزاع

وفى ٧ يوليـه رسا أمين باشا فى كيبيرو وهـو ذاهب الى « مسوه » الواقعـة على ضفة بحيرة البرت نيانزا الغربيـة فـكان ذلك كافيا لأن يبث الذعر والرعب فى سائر أرجـــاء الأونيـورو لأن الوانيـورو كانوا قلقين لوجود جنود أمين باشا خلفهم إذ كانوا يخافون أن ينقض عليهم من الخلف بينما تـكون الواجندا أمامهم لأن هزيمتهم فى شهر مايو كانت لم تزل عالقـة بأذهانهم .

وانسحب كباريجا الى مرولى بعد أن استعد للانقضاض على الواجندا لأنه كان يرى ان البلد قد ازدحم بالجنود السودانيـة وأرسل الى كازاتى من محل اقامته الجـــديد بمرولى رسولا ليقـــول له انه مستعـد لابرام

المخالفة التى اقترحها المدير . فأملى كازاتى على رسوله شروطه النهائية وتنحصر فى محالفة الدم أو السماح باحتلال كيبيرو . وعلى ذلك اجتمع أعيان المملكة والرؤساء العسكريون بهيئة مجلس استشارى وطلبوا من الملك نفى كازاتى وقطع كل علاقة بمدير خط الاستواء فرفض كباريجا الموافقة على هذا الطلب وعرض محالفة الدم مع ابنه فرفض كازاتى ذلك .

قيام كباريجا بحملة أخرى
ومحاولة توثيق العلائق مع الحكومة المصرية

وبعد أن تخلص كباريجا من شر الواجندا قرر مباشرة القيام بحملة جديدة ليحتل البقعة التى كان يصبو اليها وحرم منها بفعل أمين باشا . وفى هذه الدفعة نجح وظفر بمرغوبه . إذ فى سبتمبر سنة ١٨٨٧ م فاجأ قائده خصومه وأعلن سلطة ملكه على جميع ضفة النيل اليسرى .

وقد بدل كباريجا وزيره الاول وأبلغ الوزير الجديد كازاتى ان الملك قرر توثيق عروة الصداقة بينه وبين الحكومة المصرية وانه وصلت اليه الأوامر بأن يتمشى وفق هذا القرار فكتب كازاتى الى أمين باشا يحيطه علما بذلك وطلب منه أن يمده بما يلزم من التعليمات ويرسل اليه هدايا ليقدمها لرجال البلاط ولكن المدير صمم على عقد محالفة الدم قبل كل أمر .

وازداد موقف كازاتى حرجا عن ذى قبل بسبب قدوم محمد برى فى الأيام الأول من شهر نوفمبر من وادلاى حيث كان يقيم ابتداء من شهر يوليه . إذ دخل فى بلد الأونيورو بدون رخصة ليذهب الى

أوغنـدة . وهـذه غلطة شنيعة تستوجب عـادة عقوبة الاعـــدام . وفى أول نوفمبر أبلغ الوزير الأول كازاتى الغضب الشديد الذى حـاق بالملك حتى أخرجه عن دائرة الصواب بسبب هـذا الحادث إلا أنه وعد بأن يبذل كل ما فى وسعه لتهدئته وتوصيل برى الى أوغنده . وأبلغه كذلك رغبـة الملك فى أن يراه غير ان كازاتى تردد نظرا للظروف الحالية وقـال لو كان أمين باشا أرسل اليه الهدايا التى طلبها منه لكان ذهب اليه وهـدأ خـاطره كما فعل حين قدم له بندقية وينشستر .

وفى ٢٤ نوفمبر عرض الوزير الأول على كازاتى أن يتبادل معـه الدم سرا حتى لا يعرض نفسه لغضب الملك . ومع ان هـذا الطلب بدا لكازاتى غريبـا إلا أنه قبـله ووقفت هذه المسألة عند هـذا الحد ولم تدخـل فى طور العمل .

اعتزام أمين باشا السفر الى ناحية الشمال للتأثير على حامياتها

وكان كازاتى لدى وصوله الى أونيـورو قد طلب ارسال ستة شبان من أبناء أكبر أسرة فى البـلد ليتعلموا فى وادلاى وأجيب طلبـه هـذا . وكان غرضه الحقيقى الاحتفاظ بهؤلاء الغلمان رهائن تحت ستار التعليم . وقد سافر فعـلا أولئك الشبان الى وادلاى فمـات منهم اثنان بوباء الجـدرى وداوم الاربعة الباقـون الدراسة واكتسبوا بجـدهم رضاء معلميهم . وأبدى كباريجا مرارا رغبته فى أن يراهم فكان كازاتى بدون أن يرفض اجابته الى مرغوبه رفضـا باتا يشير دواما على أمين باشا بأن لا يدع هـذه الرهـائن تفلت من بين يديه . وبينما كانت الأحـوال تسير على هذا المنوال اذا بالمـدير يرجـع أولئك التلاميـذ فى أواخر شهر نوفمبر ويعلن

بذلك كازاتى ويخبره فى الوقت ذاته انه أزمع السفر نحو الشمال اجابة لطلب ضباط الأورطة الأولى وان الآمال تساوره بأن يستطيع رد حاميات تلك الناحية الى طريق الواجب وان يرجعها الى رشدها . واختتم كتابه بقوله انه قد وصل اليه خطابات بواسطة قنصل الانكليز فى زنزبار من الحكومة المصرية وفرمان بترقيته لرتبة « باشا » وانه يعتمد على هذه المستندات ليؤثر على حاميات الشمال .

نصائح كازاتى لأمين باشا وازدياد سوء الحالة

وكتب كازاتى الى أمين باشا ليعرفه انه دواما مستعد لبذل كل ما فى وسعه فى سبيل معاونته فى الظروف الحرجة التى يجتازها وينصحه بأن يكون رءوفا بالضباط والمستخدمين الذين كان يعاملهم بقسوة شديدة . وتوسل اليه أن يجعل دواما نصب عينيه خبث كباريجا ومكره ذلك الملك الذى لا يمكن التغلب عليه إلا بالضغط . وطلب منه كذلك أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لارسال ساع فى كل اسبوع الى كيبيرو لحمل المراسلات وباخرة كل خمسة عشر يوما والتنبيه عليها بأن لا تقلع مراسيها إلا بعد أن يرد لها التعليمات اللازمة منه . وقد وعد أمين باشا باجابة كل هذه المطالب وزايل كيبيرو .

وفى ٢ ديسمبر أرسل كازاتى المكاتيب المطلوبة إلا أنه لم يأت رسول ولا أية اشارة تدل على قدوم باخرة . وكانت الأحوال فى أثناء ذلك تزداد سوءا على سوء . فمنع محمد برى وشخص من السودانيين من الذهاب الى قرية من القرى المجاورة يسكنها التجار العرب . وأرسلت رجال من الوانيورو الى حدود الأوغندة للقبض على السعاة الذين يحملون المراسلات

والاستيلاء عليها .

وأعطى لرجل من قبائل الشولى الثائرين على الحكومة ١٠ بنادق بصفة هدية وعقد هذا صلات مع ملك الأونيورو مرتكب كل هذه الآثام .

وكان كازاتى ما زال يأمل أن تأتى سفينة وتلقى مراسيها أمام كيبيرو غير ان آماله كانت دواما تذروها الرياح . واتصل به ان البواخر أقلعت بالمدير الى دوفيليه لتأدية الرحلة التى كان قد عزم على القيام بها صوب الشمال لزيارة المحطات التى هناك وانه تركها تنتظره فى محطة دوفيليه وسافر برا الى كري لأنها لا تستطيع أن تذهب به أبعد من ذلك بسبب الشلالات ومن كري هرب ليلا ليرجع الى دوفيليه لأن جنوده توعدوه بالقاء القبض عليه وسجنه وبعد ذلك ارجعته البواخر الى وادلاى وتأخر سفرها من هذه المحطة بسبب الترميمات الكبرى التى عملت بها وبسبب دهانها بالطلاء لكى يكون تأثيرها أكثر فعلا فى رحلتها القادمة فى البحيرة .

وفى ١٠ ديسمبر قدم رقيق من أرقاء تجار العرب وقص على كازاتى انه كان اتهم مع محمد برى بالمؤامرة على الملك وانهما يحرضان الأهالى على الثورة وان بينهما وبين موانجا ملك أوغندة علائق سرية الغرض منها خلعه من العرش . وقص أيضا ان الأوامر كانت قد صدرت الى أحد الرؤساء بمحاصرة مسكنه ونفيه هو و برى أو قتلهما ان أبديا مقاومة ولكن هذا الرئيس أبى أن يأخذ هذه المسئولية على عاتقه .

ونصح كازاتى الذى ما كان يخشى شيئا على نفسه ، برى بأن يتوجه الى أصدقائه تجار العرب ويوسطهم فى الأمر لدى ذوى الحل والعقد من أرباب الدولة كى يقدموا لهم بعض الهدايا وبهذه الوسيلة ينجو من الخطر الذى يهدده . غير ان برى ظل مكتوف اليدين لأنه كان يفكر فى عاجه الذى كان مهددا بالمصادرة واقتصر على أن يتعلق بحبال الأمل عوضا عن العمل . وبذا انتهى عام ١٨٨٧ م .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الأول للعام القادم .

سنة ١٨٨٨ م

من

حكمدارية أمين باشا

تفقده محطات الجنوب و بحيرة البرت نيانزا
وتحريه أخبار حملة استانلى

فى أول ينـــاير بارح أمين باشا دوفيليه على ظهر الباخرة « نيـــانزا » موليـــا وجهه شطر وادلاى . وبعد أن قضى ليـلة فى الطريق وصـل الى هـذه المحطة فى اليوم التـالى . وكان الزنوج مصطفين على الضفة بطـــول الطريق يعبرون بصياحهم ويشيرون بحـركاتهم الى ما يخالج قلوبهم من الارتياح وان قدومهم كان من أجـل التمتع بمشاهدته .

وقد وجـد فيها كل الامور سائرة بانتظام جارية فى مجـرى حسن وان القائد عمـــلا بأمره قد قطع كل الحشائش والغابات النابتة حـــول المحطة ابتغاء صونها من أخطار الحرائق وتفاديا من حدوث حريقة كالتى شبت فى العام الغابر . ولم يجد أمين باشا فيها مكتوبا من كازاتى .

وقـد لبث مقـــيما فى وادلاى الى منتصف فـــبراير وبعـد ذلك سافر هـــو و فيتا حسان و عثمان افنـدى لطيف على الباخرة « الخـديو » ليتفقـد أحـوال محطات الجنـــوب و بحيرة البرت نيـــانزا وليجـد كذلك فى الحصول على أخبـار حمـلة استانلى . وكانت الباخـرة تقطر أيضا مركبـــا

كبيرا موسوقا بالمؤن للمحطات . وكانت أمواج البحيرة ثائرة فى خلال الابحار . ولما كان لا يريد الوقوف إلا فى تونجورو استمرت الباخرة فى مسيرها ليلا . وكان الظلام حالكا والرياح عاصفة تثير عباب الأمواج فتتكسر هذه على جانبى الباخرة . وطرقت آذانهم على حين فجأة صيحات يأس وفى الوقت نفسه حدثت رجة يستشف منها ان الباخرة آخذة فى الهبوط بفعل ثقل جسيم خلفها وكان الليل داجيا لا تستطيع العين أن تتبين شيئا فى ظلماته فلم يتمكن انسان من أن يستدل على شيء من الصياح إلا أن المركب غرق وان بحارتها على وشك أن يبتلعهم اليم . وبادر نوتية الباخرة الى قطع حبل المركب المربوط بالباخرة بناء على اشارة أمين باشا فاعتدلت هذه واستوت على قاعدتها . واتخذت كل الاجراآت التى فى حيز الامكان لانقاذ الغرقى غير أنه لسوء الحظ لم يسعف منهم غير نصف عددهم .

وبعد أن أفضوا الى تونجورو أرسل امين باشا الى محل الحادثة الباخرتين بقيادة عثمان افندى لطيف لانقاذ المركب من جوف اليم . واشتغلت الباخرتان مع اربعين رجلا فى تفريغ مشحونه وتجفيف ما به من ماء واستغرق هذا العمل يومين .

ويبدو ان الله عز وجل جعل هذه الكارثة سببا لانقاذ كازاتى وذلك ان علائق هذا بكباريجا واتباعه أمست فى المدة الاخيرة شديدة التوتر . وحاول الملك اكثر من مرة التخلص منه بأن أمره بأن يلحق بجونكر فى أوغنده أو يرجع الى وادلاى . ومع ذلك آثر كازاتى ان يظل فى أونيورو .

غضب كباريجا على كازاتى واقصاؤه عن الأونيورو

وقـــد أوجد حذر الجميع من كازاتى وحدة لسانه مع كل كائن أيا كان اعداء آخرين له من جملتهم عبد الرحمن الزنبارى . فكان هؤلاء يذكون نار كراهة الملك له وغضبه عليه . ولما رأى كباريجا انه يستحيل عليه التخلص منـــه بالطرق الودية كلف وزراءه (الماتونجوليين) بتسفيره بأى طريقة كانت . ومن المحقق انهم لم يحاولوا القضاء عـــلى حياته اتقاء ما يجلبه عليهم اعدامه من الوبال والاخطار الجسام . فلقد كان غير خاف عليهم ان فى مديرية خط الاستواء العدد الـــكافى من الجنود والمدافع والاسلحة والمراكب وان فى استطاعة هذه ان تقتص من كباريجا قصاصا زاجرا اذا حدثته نفسه بارتـــكاب جريمة كهذه . وقد كان الشوليون ذاقوا من قبل مثل هـذا القصاص على اثر عمل من هذا النوع قاموا به بتحريضه واغرائه . وعـــلى ذلك آثر كباريجا ان لا يخاطر باتيان عمل مثل هـــذا العمل وتقرر توصيل كازاتى الى حدود الاونيورو حتى اذا حدث له حـــادث مكدر عند ذلك يستطيع كباريجا ان ينفض يديه ويتخلص من تبعته .

وقد نفـذ هذا القرار . وبعد أن تحمل كازاتى آلاما مرة ترك بين حى وميت على ارض مملكة الشولى فى جوف البطاح والغدران الواقعة على ضفة البحـــيرة . وبينما كان يسير متغلغلا فى تلك النواحـــى والزنوج يقتفون أثره إذا به يسمع صـــوتا فى كوخ يتحدث باللغـــة العربيـــة . وتبين ان هذا الصوت صوت أرملة المرحـــوم مرجان افنـــدى الدناصورى قومندان أمادى سابقا فدلته على الطريق وأفهمته ان

البواخر فى البحيرة .

إنقاذ كازاتى وارجاعه الى تونجورو

وعول كازاتى على ما أسدته له تلك المرأة التى حبته بها العناية الالهية من الارشادات . ولما وصل الى شاطىء البحيرة حل فضل هندى الدنقلاوى وهو رجل من الرجال المرافقين له مركبا لأحد الشوليين وأبحر عليه ابتغاء الوصول الى نقطة تونجورو . وفى اثناء الطريق وقع نظره على الباخرتين اللتين كانتا مشتغلتين فى انقاذ المركب وأفهم عثمان افندى لطيف الموقف الحرج الذى فيه كازاتى . وعثمان افندى احاله على امين باشا فى تونجورو . وهذا انتقل فورا هو وفيتا حسان على مركب فضل الى حيث توجد الباخرتان ومن هذه الناحية ابحرا على الباخرة نيانزا . وبعد بحث طويل وجدوه فى اليوم التالى هو والجندى خورشد طاهر و ١٥ زنجيا وكان كازاتى يوشك ان يكون عاريا من الملابس غير انه كان معه لحسن حظه حذاء انكليزى وقى قدميه بينما خورشد المسكين وهو رجل چركسى وصل حافى القدمين ورجلاه متورمتان فى حالة يرثى لها .

وعندما نزلا فى الباخرة عملت لهما (اى خورشد وكازاتى) الاسعافات التى تتطلبها حالتهما . وحالما امتلك كازاتى صحته قص على أمين باشا و فيتا حسان ما وقع له . ذلك انه فى ٩ يناير صدر له الأمر هو و برى بأن يذهبا الى رئيس البناسورا فاستشفا من خلال هذا الطلب الضربة المزمع توجيهها اليهما الا انه لم يكن فى استطاعتهما ان يتجنباها . وصدعا بالامر وان هو الا ان وصلا الى اكواخ هذا الرئيس

حتى اعطى اشارة واذا بعدد كبير من الرجال مسلحين انقضوا عليهما وجردوهما من ملابسهما وربطوا كل واحد منهما فى شجرة . ولم يجرد كازاتى وخادمه تجريدا تاما فكان ذلك دلالة على ان الامر لم يصدر باعدامهما لانه لو كان مقضيا عليهما بهذا العقاب لكانت ملابسهما قد نزعت كما هى العادة المتبعة فى الاونيورو وهذا ما حدث لبري المسكين إذ جردوه من كسائه قاطبة .

وكانت تهمة كازاتى انه حشد فى مسكنه جنودا من جنود المديرية بقصد محاولة احداث انقلاب فى حكومة الاونيورو ولم يربطوه فى الشجرة إلا من أجل ان يحققوا ما نسب اليه بتفتيش اكواخه . وبعد ان اتموا هذه العملية طردوه فى اتجاه كيبيرو واعطيت التنبيهات بأن لا يعطى ولا يباع له شيء فى الطريق . وهذا ما حصل إلا أنه لدى وصوله عند هذه الناحية الاخيرة اعطاه رئيسها قوتا . وبعد مسيرة خمسة ايام بلغ شاطىء البحيرة وكانت نجاته من الموت على يد تلك الارملة كما سبق أن فصلنا ذلك .

سفر أمين باشا للبحث عن استانلى

وقال كازاتى عند مقابلته لامين باشا ان استانلى على مسافة غير بعيدة . وعلى ذلك أبحر امين باشا ومعه فيتا حسان على الباخرة الخديو قبيل منتصف شهر مارس موليا وجهه شطر قسم البحيرة الجنوبى الغربى ابتغاء بذل ما فى وسعه فى سبيل استنشاق اخبار استانلى وذهب من مسوه الى نسابى Nsabé حيث قيل له انه يوجد بالفعل اناس من البيض على مقربة من هذه الجهة . ومعنى ذلك فى عرف البعض مسافة شهر وفى عرف البعض الآخر

شهرين أو ثلاثة .

واستمروا فى السير كذلك فى اتجاه الجنوب الى ان بلغوا نقطة لا تستطيع الباخرة ان تتجاوزها لقرب غور مائها وعندئذ نزلوا فى مركب ورسوا عند قرية اخبرهم كبيرها ان بيضا قدموا حقيقة وهم يبحثون عن بيض آخرين واستطرد فقال انهم لم يذهبوا بعيدا . وقال انه سيأتيهم بنبئهم اذا كان فى عزمهم الرجوع بعد ١٥ يوما .

وترك امين باشا لذلك الكبير خطابا برسم استانلى مؤرخا فى ٢٦ مارس قال فيه انه نظرا لاذاعة اشاعة مقتضاها ان رجلا ابيض ظهر فى طرف البحيرة الجنوبى قد قدم على ظهر باخرته ليتحقق من صدق هذه الاشاعة ولكنه استحال عليه ان يعرف من هو ذلك الابيض أو ان يستقى عنه مفصلات لأن الاهالى يخافون من كباريجا خوفا شديدا . وانه مع ذلك ترك هذا الخطاب الى كبير الناحية ليسلمه اليه اذا رجع وانه يرجوه ان يواصله بأخباره .

رجوعه الى تونجورو وتسلمه خطابا من جفسن
أحد أعضاء حملة استانلى

وبعد ذلك رجع امين باشا الى تونجورو غير انه قبل انتهاء الا ١٥ يوما أغار الوانيورو على البلد وصيروها خرائب وأطلالا وذهبت كل محاولة ومجهود فى سبيل البحث عن حملة استانلى ادراج الرياح والسبب فى ذلك انما يرجع الى جهل الزنوج . ولكن قبيل آخر أبريل وصل من مسوه الى تونجورو على حين فجأة ترجمان يقال له واد الجارا Wad El Gara

ومعه خطاب برسم امين باشا عنوانه بالانكليزية وذكر أن ذلك الخطاب مرسل من شخص أبيض قدم الى شكرى افندى وان هذا الابيض معه العسكرى السودانى سرور و بنزا Binsa اللذان كانا قد سافرا مع جونكر الى مصر . ففض امين باشا هذا المكتوب فوجده من جفسن Jephson احد اعضاء حملة استانلى وفيه يحيطه علما بخبر بلوغه مسوه وبلوغ استانلى كافالى Kavalli الواقعة فى جنوب غرب البحيرة ويطلب منه أن يحضر اليه لأنه قد أعياه التعب ورثت ثيابه .

ارسال أمين باشا أحد الضباط لمعاونة جفسن

وكانت الطريق من تونجورو الى مسوه صعبة المسالك فى البر وكان امين باشا قد سلكها مرة ابتغاء القيام باستكشافات علمية إلا أنه ما كان يود أن يسلكها مرة أخرى رغم رغبته الشديدة فى مقابلة جفسن . فكتب اليه انه فرح بقدوم الحملة ويتمنى له الخير ورحب بمجيئه غير انه نظرا لرداءة الطريق من البر قد التزم ان يترقب وصول الباخرة ليسافر الى مسوه . وقال له امين باشا فى الوقت نفسه انه أصدر أمرا الى شكرى افندى بأن يضع نفسه تحت مطلق تصرفه فى كل ما يحتاج اليه وان حامل اجابته الملازم الاول سليمان افندى مرسل لخدمته الى أن يصل .

وسليمان افندى هذا الذى عينه امين باشا لهذه المهمة هو رجل مصرى والسبب فى اختياره لها معرفته بطرف من اللغة الفرنسية . وقد دون جفسن عند وصوله اليه فى مذكراته الملاحظة الآتية وهى :ـــ

« ان سليمان افندى رجل مصرى جميل المنظر وكسوته العسكرية بيضاء لا عيب فيها » .

وفى ٢٦ أبريل تلقى امين باشا من سليمان افندى خبر وصوله الى مسوه وقال ان جفسن ينتظر بفارغ الصبر ان يراه . وتلقى امين باشا فى الوقت نفسه من جفسن خطابا ذكر فيه انه يكون سعيدا بأن يحظى بمقابلته . وانهم قضوا فى سفرهم هذا شهورا كثيرة فى قلب غابات لا نهاية لها وعانوا أهوالا جمة فى سبيل الوصول اليه وانه كتب لاستانلى يخبره بأن صحته « أى صحة أمين باشا » جيدة وانه يتمنى أن يراه فى القريب العاجل .

سفر أمين باشا لاستقبال جفسن
وتسلمه منه خطاب استانلى

وفى ٢٧ أبريل وصلت الباخرة « الخديو » الى تونجورو فأمر أمين باشا بتفريغ حملها فى الحال وأن ينزل فيها الوقود غير انهم ما استطاعوا أن يجعلوها على أهبة الاستعداد للسفر إلا فى منتصف النهار . وأبحر عليها هو و كازاتى و فيتا حسان . وعند الساعة السادسة والنصف أدركوا مسوه وكان الظلام كاد يرخى سدوله . وكان جفسن منتظرا على الضفة هو والجاويش بخيت وثلاثة جنود وبعض من الزنزباريين . وتصافح أمين باشا و جفسن وقدم الأول للثانى كلا من كازاتى و فيتا حسان وسلم جفسن الى أمين باشا خطابا من استانلى الذى كان فى جنوب البحيرة وعمم الجميع المحطة . وبعد أن تجاذب أمين باشا و جفسن أطراف الحديث زهاء ساعة افترقا .

ما احتـــواه خطاب استانلى
وما قـــاله أمين باشا بصدد حملتـــه

واطلع أمـين باشا على خطـــاب استانلى وهـــو يتضمن وصف سفره ابتداء من الكنغو مع كافة البيـــانات والتفصيلات الخاصة باجتياز الغابة الكبرى وبلوغه فى أول مرة بحـــيرة البرت نيانزا وذكر الآلام الشديدة التى عانتها الحملة وقال استانلى انه فقد خلقا كثيرين واضطر أن يتخلى عن جانب كبير من الأحمال وأن الحمـــلة انشطرت الى ثلاثة أقسام كل منهـــا فى نقطة فالقسم الأكبر فى يامبويا Yambuya والقسم الثانى مع المرضى وبعض من الرجال الأصحاء فى حصن بودو Bodo . أما هو فمع الدكتور پارك Parke و ١٥٠ نفسا على ضفة البحيرة بالقرب من نسابى . ثم استطرد فقال ان حملته ليست فى حالة تستطيع معها ان تمد أمينا باشا بأقل مساعدة وانه لا يقدر أن يتنازل له إلا عن بعض المـــؤونة التى أحضرها من القاهرة . وانه مع ذلك اذا أراد أمـــين باشا و موظفوه مبارحة البلد فهو يتعهد بارجاعهم الى ديار مصر . وكذلك يتضمن الخطاب ان استانلى أحضر لأمـــين باشا مكتوبا من الخديو وآخر من نوبار باشا وان الحكومة المصرية تخلت من مدة طويلة عن ممتلكاتها فى السودان . واختتم كلامه بأن قال لأمين باشا انه لا ينبغى ان ينتظر قدوم حملة اخرى غير هذه لنجدته .

وقال فيتا حسان ان أمينا باشا بعد ان تلا الخطاب طرحه جانبا بشدة قائلا بصوت مكتئب : « انى اذا كنت انتظرت بفارغ الصبر حملة استانلى فمـــا ذلك إلا لأنى كنت أؤمل أن تصل إلى امداد وذخيرة . فبعد أن حملت نفسى العناء الجم في سبيل امتـــداد المديرية وبسطها وتنظيمها

وانشاء محطات فى كل موضع واخضاع معظم القبائل التى تحيط بها يطلبون منى الآن أن اتخلى عن كل هذا وأتركه واسافر . كلا فلن يحدث هذا !! ليس هذا الذى كنت أترقبه من حملة استانلى . وليس هذا هو الغرض الذى جاءت من أجله على ما اعتقد . فاذا تركت البلد الآن فماذا تفعل القبائل البائسة التى خضعت لحكومتنا واستظلت برايتها وساعدتنا مساعدة لا تقدر ؟ انها بلا ريب تتلاشى أو يفنى العدد الأكبر منها بيد رجال كباريجا أو بيد أعدائنا الآخرين . ومن الاجرام تركهم وشأنهم تلعب بهم يد المقادير بعد أن عاونونا » .

ما أبداه كازاتى و فيتا حسان
عن حملة استانلى

وطلب أمين باشا من كازاتى و فيتا حسان ابداء آرائهما . فقال الاول : « ان الأقامة بخط الاستواء أمست خطرة وخطرها يعادل عدم فائدتها لاسيما بعد أن تخلت الحكومة المصرية نهائيا عن السودان . أما اذا كانت المسألة هى مسألة الرجوع الى ديار مصر فحملة استانلى لا تفيدنا أية فائدة وما كان لنا بها من حاجة . وأحسن شيء يعمل الآن هو البحث عن استانلى ومساعدته وتسلم ما معه من الذخيرة والمراسلات وعند ذلك يقدر أمين باشا أن يقول له : ان قافلتك ضعفت ووهنت كثيرا والسفر عن طريق يامبويا طويل شاق وان الأفضل لك أن تنضم الى القسم الأكبر من حملتك فى أرض الكنغو بينما نحن يكون فى امكاننا أن نسافر فى نفس ذلك الاتجاه عن طريق مكراكا و ممبتو . فاذا كان استانلى يصل قبلنا الى يامبويا فليس ثمت حاجة لأن ينتظرنا أما اذا سبقناه نحن فأمين

باشا يقدر أن يقول له : اننا سننتظره لكى نرجع معا .

« ولكننا اذا سافرنا منفردين يمكننا أن نتخذ طريقا أحسن كثيرا من الطريقين المار ذكرهما إذ فيها نجد ما يلزمنا من الزاد والحمالين . ولغاية حدود ممبتو التى هى أبعد من نصف الطريق قليلا نسير فوق نفس أرض مملكتنا لأن البلد الى الآن ما زال تابعا للحكومة المصرية . وفوق ذلك فان جنودنا لا تمانع فى اتخاذ هذا الطريق وتفضلها على غيرها ولا تقبل بكل تأكيد اتخاذ طريق آخر فهم يعرفون مكراكا و ممبتو ويعلمون انهم يجدون فيها كافة ما يلزمهم وعدا ذلك يمكنهم فيها ان ينضموا الى الحاميات وأسر جنودها » .

ويتضح مما أبداه كازاتى ان حملة استانلى كما يستطيع المرء أن يستنتجه لدى وقوع نظره على جفسن و الزنزباريين الذين معه وما هم عليه من سوء الحال والجوع والعرى ، لا تقدر بأى حالة من الأحوال أن تأخذ معها كل المسافرين من خط الاستواء ومجموعهم يبلغ زهاء عدة آلاف سواء أكان ذلك باتخاذ الطريق التى اختارها استانلى فى المجىء أم باتخاذ الاخرى التى ينوى أن يسلكها فى الاياب . إذ فى الحالتين يعسر كثيرا العثور على زاد يكفى جماعة هكذا كثير عديدهم . لذلك رأى تفضيل الطريق الذى اقترحه من كل الوجوه اذا تقررت مبارحة البلد .

أما فيتا حسان فأبدى رأيه بالكيفية الآتية قال : « ان رأيه معلوم وهو أنه بلا امتراء يأسف لمبارحة البلد . واذا كان من المحتم الانسحاب فهو يشارك كازاتى فيما ارتآه . وان كل الأدلة ناطقة بأوفقية هذا الطريق الذى ربما كان فى اجتيازه سلامتنا ونجاتنا . وان أمينا باشا يعرف

ان الأورطة الأولى لا تقبـل كلاما بصدد السفر صوب الجنـوب وانه لا يوجد هناك من يسير بصحبته فى ذلك الطريق . أما اذا قـرر السفر فى اتجـاه الشمال واعلن السفر عن طريق مكراكا و ممبتو فقراره يقابل بحماس . وهـو يعتقد فوق ذلك ان الموظفين و الجنـود السودانيين نظرا لما هم عليه من الوثوق بسمو منزلة الحكومة المصرية يصعب عليهم أن يصدقـوا أن استانلى وجماعتـه وهم على ما يرونه فيهم من الجـوع والعرى يمكن أن يكونوا مرسلين من قبل الخديو . وهكذا تنبعث الريب والظنـون فى نفوسهم وتدعو الحالة مرة اخـرى الى اجتياز نفس الصعاب التى ما زالت عالقـة بالبال . ومن رأيه أيضا انه لا يجب السماح لأى انسان كان ان يحظى بشرف انقاذهم ما دام يكون فى استطاعتهم ان ينقذوا أنفسهم بانفسهم بدون معاونة غيرهم وبطريقة ربما كانت اضمن لنجاتهم وسلامتهم . وذهب الى ابعد من ذلك وقال : ان حمـلة استانلى وقد انخفضت الى عددها الحالى يبدو له ان فيها خطرا عليهم لانه ذاع وشـاع بين النـاس ان الحملة هلك منها كثيرون من الجوع والنصب وحسبك أن تعرف ان ٦٠ جنديا سودانيا سافروا من مصر فلم يبق منهم إلا ١٨ جنديا اصحاء . ولا يمكن ان تقع مثل هـذه الاخبار من نفوس رجال المديرية وهم يعيشون هنا فى رغـد من العيش موقعا حسنا . فقـد مر عليهم خمسة أعـوام وهم منقطعون عن العـالم انقطاعا تاما ومع ذلك فملابسهم لو قيست بملابس رجال استانلى لعدت ثيابا من زخرف وكل ذلك لا يمكن أن يبث شيئا من الطمأنينـة والثقة فى روع رجالنا المطبوعين على الحذر الذين لم يضربوا فى سبل المدنية إلا بسهم صغير .

سفر أمين باشا لمقابلة استانلى

وبدا لهما أن أمينا باشا يشاركهما فى الرأى . ولما كان الوقت قد تقدم ودقت الساعة الحادية عشرة مساء افترقوا . وارسل أمين باشا فى غداة اليوم التالى — ٢٨ ابريل — الى حواش افندى و سليم افندى و كودى افندى امرا خطيا بان يسرعوا على قدر الامكان بالقدوم الى مسوه ليرافقوه فى الذهاب عند استانلى . وأخذ معه من محطتى تونجورو ومسوه كمية من نسيج الدامور والجوخ ووزعها على الزنزباريين وجنود جفسن واحتفظ بالباقى لجفسن و استيرز Stairs و بارك . وتبادل أمين باشا الحديث مرة اخرى مع جفسن قبل أن يسافر . وقال فى مفكراته التى نقلها عنه شويتزر Schweitzer فى كتابه « حياة أمين باشا ج ١ ص ٢٧٠ » انه يبدو ان القلق سائد فى القاهرة بخصوص مغادرته مديرية خط الاستواء . وهذا صحيح الا ان القلق لم يكن سائدا فى نفس الحكومة المصرية بل فى نفس هؤلاء الذين كانوا سيحلون محلها .

وتزودت الباخرة الخديو بالوقود ووسقت بالمؤن والمواشى والطيور برسم استانلى وأتباعه . وفى ٢٩ منه نزل فيها أمين باشا و جفسن و كازاتى و فيتا حسان وولوا وجوههم شطر نسابى فدخلوها فى الساعة السادسة والنصف مساء . وحيا الزنزباريون قدوم أمين باشا مرات بطلقات عديدة . ولبث فيتا حسان بالباخرة أما أمين باشا و كازاتى فنزلا الى البر وذهبا لزيارة استانلى الذى كان قد جعل مركزه على بعد نصف ساعة من المحطة فقابلهما بالبشاشة والترحاب وكان بصحبته الطبيب بارك . أما الاوربيون الآخرون فقد كانوا تخلفوا مع الامتعة . وكان وصول استانلى عقب سير



أول مقابلة من أمين باشا و كازاتى لاستانلى فى ٢٩ أبريل سنة ١٨٨٨ م

حثيث قاسي فى خـــلاله رزايا ومحنا يشيب لهولها الولدان وهلك منه خلق كثير جوعا . وطال بينهم الحديث واستمر الى ان انقضى الهزيع الأول من الليل حتى أن أمينا باشا و كازاتى لم يرجعا الى الباخـــرة إلا فى منتصفه . واحضرا معهما طـــردين صغيرين تسلماهما من استانلى وكان أحدهما يشتمل على منسوجات وجوخ وملابس وغيرها وكلها تالفة من الرطوبة والثانى به جملة جرائد ومكاتيب برسم أمين باشا و كازاتى من اصدقائهم فى اوربا وأمر من سمو الخـــديو توفيق وخطاب من نوبار باشا رئيس مجلس النظار .

وهذا نص الأمر الذى أرسله اليه الخـــديو توفيق فى ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ هـ ـ أول فبراير سنة ١٨٨٧ م ـ « وقد وجد مقيدا بالدفاتر تحت نمرة ٣ » :ـــ

الى محمد أمين باشا مدير خط الاستواء

قد سبق اننا شكرناكم على بسالتكم وثباتكم أنتم والضباط والعساكر الذين معكم وتغلبكم على المصاعب وكافأناكم على ذلك بتوجيـــه رتبة اللواء الرفيعة الى عهدتكم وصدقنا على جميـــع الرتب والمكافآت التى منحتموها للضابطان كما أخطرناكم بأمرنا العالى الصـــادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ٨٦ نمرة ٣١ سايره (١) ولا بد أنه وصل اليكم أمرنا المشار اليه مع البوستة المرسلة من طرف دولتلو نوبار باشا رئيس مجلس نظار حكومتنا . وبما ان ما بذلتموه من حسن المساعى وما كابدتموه من الأعمـــال الخطيرة التى قمتم بها قد

(١) — بحثنا عن هذا الأمر فى دفاتر دار المحفوظات المصرية بالقلعة فلم نعثر عليه .

استوجب زيادة محظوظيتنا منكم أنتم والضباط والعساكر الذين معكم فقد تروت حكومتنا فى الكيفية التى يمكن بهـا إنجادكم وتخليصكم مما أنتم فيه من المشقات . والآن قد تشكلت نجدة تحت رياسة جناب المستر استانلى العالم الشهير والسائح الخبير الذائع صيته بين الممالك بكمال فضله على أقرانه . واستعدت هـذه الرسالة للذهاب اليكم ومعها ما أنتم فى حاجة اليه من المؤونة والذخائر بقصد حضوركم أنتم والضباط والعساكر الى مصر على الطريق الذى يتراءى للمستر استانلى المومى اليـه أنه اكثر موافقة وأسهل عبورا . وبنـاء عليه أصدرنا أمرنا هـذا لكم ومرسلينه بيد المستر استانلى المومى اليه إعلاما بالكيفية . فبوصوله تبلغونه الى الضباط والعساكر المومى اليهم وتقرئونهم سلامنا العالى ليحيطوا علمـا بما ذكر . واننا مع ذلك نترك لكم وللضباط والعساكر المومى اليهم الحرية التامة فى الاقامة أو تفضيل اغتنام فرصـة الحضور مع هذه النجدة المرسلة اليكم . وقد قررت حكومتنا بأنها ستصرف لكم ولجميع المستخدمين والضابطان والعساكر كامل ماهياتهم ومرتباتهم المستحقة . أما من يريد البقاء فى تلك الجهـات من الضابطان والعساكر فله الخيار انما يكون ذلك تحت مسئوليته وبارادته المطلقة ولا ينتظر بعد ذلك أدنى مساعدة من الحكومة . فافهموا ذلك جيدا وبلغوه بتمامه لسائر الضابطان والعساكر المذكورين ليكون كل منهم على بينة من أمره . وهذا كما اقتضته إرادتنا »

خطاب نوبار باشا الى أمين باشا

وهـذا نص الخطاب الذى أرسله اليـه حضرة صاحب المطوفة نوبار باشا رئيس مجلس النظار فى ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ هـ (٢ فبراير سنة ١٨٨٧ م)

وقد وجد بدفتر صادر رياسة مجلس النظار سنة ١٨٨٧ م تحت رقم ٢ :ـــ

سعادة أمين باشا مدير خط الاستواء .

قد بعثنا لكم بواسطة قنسلاتو انجلتره بزنجبار كتابا من الحضرة الخديوية تشكركم به على حسن مساعيكم وعلى الأعمال الخطيرة التى قمتم بها أنتم والضباط والعساكر وتمدحكم على ثباتكم وبسالتكم وتغلبكم على المصاعب المحدقة بكم . وانها إيذانا لمحظوظيتها منكم قد أحسنت عليكم برتبة اللواء الرفيعة وأقرت على جميع الرتب والمكافآت التى منحتموها للضباط . وكنا أفدناكم بأنه سيصير ابعاث نجدة لكم فالآن هذه الرسالة قد تشكلت تحت رياسة المستر استانلى الذى يسلمكم خطابنا هذا مع ارادة سنية من الحضرة الخديوية . وهذه الرسالة قد تشكلت واستعدت للذهاب اليكم ومعها المؤونة والذخائر التى أنتم فى حاجة اليها ولتحضركم أنتم والضباط والعساكر الى مصر عن الطريق الذى يتراءى للمستر استانلى أنه اكثر موافقة . ولا لزوم لاسهاب الشرح عن الغاية المقصودة من هذه الرسالة إلا أن الحضرة الخديوية تترك لكم وللضباط وللعساكر الموجودين معكم الحرية التامة إما بالاقامة فى الجهات الموجودين بها وإما باغتنام الفرصة للحضور مع النجدة المرسلة اليكم . إنما يلزم ان تعلموا وتفهموا ايضا جميع الضباط والعساكر وخلافهم بأنه اذا كان البعض منهم يروم البقاء فى الجهات الموجودين بها فله الخيار فى ذلك . إنما يكون ذلك تحت مسئوليته وبمطلق إرادته وانه لا ينتظر فيما بعد أدنى مساعدة من الحكومة . فهذا ما تريد الحضرة الخديوية أن تفهموه جيدا لمن يريد البقاء هناك ولا حاجة لى بأن أخبركم

بأنه ستصرف لكم أنتم وجميع الضباط والعساكر والمستخدمين ماهياتكم ورواتبكم المستحقة لكم إذ أن الحضرة الخديوية قد أقرت على رتبكم . هذا وانني اتأمل بأن مستر استانلى يراكم جميعا بغاية الصحة والسلامة فان هذا هو أقصى رغبتنا وما نشتهيه لكم من كل قلوبنا ؟

رئيس مجلس النظار

« نوبار »

قدوم استانلى ومقابلة أمين باشا له
وما دار بينهما حول مغادرة المديرية

وفى يوم ٣٠ أبريل قدم استانلى على نقالة يحملها جماعة من الزنزباريين لأن رجله كانت مرضوضة ، لزيارة أمين باشا . وكان الاعياء والتعب ظاهرا عليه وكان يبدو أن سنه تزيد عن عمره الحقيقى وهذا أمر يمكن أن يدركه بسهولة من عرف المتاعب الهائلة التى عاناها فى سفره الشاق . وتناول استانلى الطعام مع أمين باشا واستقبل الضباط الموجودين . ولما كان معسكر نسابى قائما فى أرض ذات غدران ومستنقعات غير صحية قام أمين باشا و استانلى بجولة صغيرة على ساحل البحيرة لاستكشاف موضع يكون اكثر صلاحية فتكلل سعيهم بالنجاح ونصب كل منهما معسكره فى المكان الذى وقع اختياره عليه .

وفى أول مايو ذهب أمين باشا لمقابلة استانلى وطلب هذا من الأول أن يكاشفه بما عقد عليه النية وهل صحت عزيمته على السفر أو البقاء . وقال له استانلى ان لديه اقتراحين يقدمهما له غير انه لا يستطيع عرضهما عليه

قبل أن يعرف ما استقر عليه رأيه فجاوبه أمين باشا انه لا يمكنه أن يصدر قرارا باتا قبل أن يعرف نيات اعوانه وما يبدونه من الرأى . فاذا كان هؤلاء يبغون الاقامة فهو يظن ان يبقى كذلك بشرط أن يرافقوه الى جهة يكون الاتصال منها مع العالم ميسورا . وهذه الحالة غير متوافرة فى الجهات التى كانوا فيها لانه عندما ينسحب استانلى وحملته ينقطع بحكم الطبع كل اتصال بالعالم .

وسأله استانلى فى أثناء الحديث كيف يكون الحال اذا أوجد له انسان اجرا كافيا وكذلك مبلغا سنويا للقيام بنفقات جنوده . وهل ترغبه منحة كهذه فى البقاء . فأجابه أمين باشا جوابا سلبيا قائلا ان عملية التموين فى المواضع التى كانوا فيها والحالة على ما كانت عليه ، من المستحيلات . وقبول اعانة من هذا النوع وفى هذه الظروف يعد اختلاسا لاموال أولئك الذين يدفعونها .

وأوضح استانلى انه فى حيز الامكان احتلال ركن بحيرة فكتوريا نيانزا الشمالى الشرقى ومنه يمكن فى الحال ترتيب المواصلات بسهولة . وذكر أن هذه الجهة صحية وانه يعتقد أن مشروعا كهذا يلقى معاضدة من انكلترا بسرعة (١) . وارتأى أمين باشا أن هذا المشروع فى متناول اليد للغاية ومن السهل تنفيذه فارتاحت له نفسه وانشرح صدره . وسر سرورا لا مزيد عليه إذ رأى استانلى الذى كان من دأبه التحرز لدرجة كبرى يهتم به كل هذا الاهتمام . ثم دار الحديث بعد ذلك حول

(١) — هذا المشروع انما يلقى معاضدة انجلترا له بالطبع لمطامعها فى هذه الجهة كما لا يخفى .

شئون اخرى .

زيارة استانلى لأمين باشا
ومفاتحته فى أمر الانسحاب الى مصر

وفى ٢ مايو أتى استانلى لزيارة أمين باشا وأحضر له الرئيس كافاللى وهذا الرجل كان قد حاز اعجاب الجميع نظرا للخدم التى أداها للحملة . وأصغى أمين باشا للقصة الطويلة العريضة التى أبداها كافاللى بالشكوى فى حق أخيه لكنه ارتأى انه يجب عليه أن يتجنب التدخل بينهما رأسا . واعرب عما يخالج أفكاره بصدد ما قد يحيق بأهالى هذه النواحى من البؤس والشقاء الذى لا حد له اذا نفذ أمر الخديو وانسحب بجنوده . لأن كباريجا لا يتأخر عندئذ لحظة هو وأتباعه عن أن ينقض على البلد ويخربها ويبث الأحزان فى قلب كل من كان مواليا له . وكانت هذه المسأله تتراءى له فى شكل مزعج حتى انه لم يستطع أن يمحوها من فكره وأخيرا منح الرئيس كافاللى بعض الهدايا فأخذها وانصرف .

وفاتح استانلى مرة اخرى أمينا باشا فى ذلك اليوم فى الاقتراحات التى اقترحها عليه فى العشية ولكن هذا أبى أن يبت فيها بأى وجه من الوجوه ووعد مع ذلك انه حالما يستقر رأى أتباعه على أمر يبلغه إياه بلا توان . وصرح بأنه مستعد تمام الاستعداد لأن ينفذ أمر الخديو بالانسحاب الى مصر بشرط أن يقبل ذلك اتباعه . أما اذا أبوا فعندئذ يكون من واجبه بالطبع ان يفكر أولا فى المصريين الذين بالمديرية وفى أمر نقلهم .

وكان أمين باشا يحدث نفسه قائلا ان جميع اعضاء حملة استانلى يميلون ميلا خاصا لاقناعه بالانسحاب الى مصر أو الى انكلترا (١) .

وكان استانلى قد طلب من أمين باشا مرارا وتكرارا الوقوف على ما انتواه كازاتى فكان يجيبه فى كل مرة انه يجهل ذلك جهلا تاما . ولما أعاد على أمين باشا هذا السؤال فى ذلك اليوم عرض عليه ان يسأله هو نفسه فتعلل استانلى بانه غير ملم باللغة الفرنسية إلا قليلا فقدم أمين باشا نفسه للترجمة . وفى مساء اليوم عينه رجع أمين باشا الى استانلى وأخذ معه كازاتى ولما طرحت على كازاتى هذه المسألة قال انه سيحذو حذو أمين باشا .

وقدم جفسن فى اليوم التالى الموافق ٣ مايو ليتبادل مع أمين باشا الحديث وفاتحه هو الآخر بصدد مشروع بحيرة فكتوريا نيانزا الذى كان عرضه عليه استانلى والذى حسبما ابداه جفسن كان حائزا اعجاب استانلى التام . وجال فى خاطر أمين باشا اثناء الحديث ان المشروع المعروض عليه ربما لا يكون فى جوهره الا مشروعا لتحقيق اغراض ساسة وتجار انجليز . ثم دارت المناقشة فيما يمكن القيام به من الاعمال كانشاء سكة حديدية وايجاد بواخر وغير ذلك الا ان اهم ما شغل البال فى هذا الحديث هو تكرار جفسن لأمين باشا قوله الاوفق ان يترك مديرية خط الاستواء ويعود الى ديار مصر أو لندن .

(١) — هذه كانت رغبة الانكليز بالطبع حتى تخلو هذه المديرية من الجنود المصرية فتلتهمها مطامعهم الاستعمارية وهذا هو الذى حصل فعلا وياللاسف .

افضاء استانلى لأمين باشا بدخيلة نفسه وحقيقة مهمته

وفى ٤ مايو قدم استانلى ليرى أمينا باشا ويحادثه بشأن موقفه فطلب منه أن يجاوبه اجابة شافية وخالية من كل لبس وابهام عما اذا كان قد عقد النية على البقاء أو عزم على السفر وذلك بدون انتظار ما يستقر عليه رأى رجاله .

وهاك ما أجاب به أمين باشا :ــ

« لقد فوض الينا الخديو أنا ومن بمعيتى الأمر فى سفرنا أو بقائنا . ومعنى هذا انه يوجد هناك ريب فى ولائنا . وفى ذلك جرح لاحساسنا لا سيما ونحن ما زلنا للآن مخلصين . ولكن هنالك شيء آخر وهو مسألة المسئولية التى لا استطيع ان احملها على عاتقى . فمن الواضح فى نظرى تمام الوضوح ونظر اتباعى أيضا ــ انه بعد سفر الحملة لا يمكننا الاقامة هنا بعيدين عن كل اتصال محرومين من جميع وسائل المواصلات الا انه مع ذلك اشك كثيرا فى انه يقوم فى نفس اتباعى الاهتمام أو حتى الرغبة فى الذهاب الى مصر ويستثنى من ذلك المصريون . وهؤلاء كما سبق أن عرفتكم انا مستعد ان اسلمهم لكم لتوصلوهم الى ديار مصر . ولو كان الخديو الذى لم يقطع بكل تحقيق كل أمل من احتلال السودان ثانية أمرنى بأن أجمع جنودى فى نقطة ادنى الى البحر من هذه أو فى موضع تكون المواصلة منه اكثر سهولة وأنتظر هناك اوامره لكنت أذعنت لامره ولكان جنودى حذوا حذوى واقتفوا اثرى . وانى متحقق من ذلك كما انى متحقق من كرههم الذهاب الى ديار مصر اللهم الا النزر

اليسير وهم الذين من هذه الجهـــة . أما فيما يختص بى أنا شخصيا فالامر هين لين . ذلك انى لا ارغب قط التوجـــه الى مصر . غير انى اتحاشى أن اتدخل فى أى أمر كان . أما انت يا استانلى فقد وعدتنى بان تدع معى جفسن والثلاثة الجنود السودانية الذين قـــدموا بمعيته من مصر . وذلك اثناء ذهابك للبحث عن اعضاء الحملة الآخرين . وعليك ان تزوده بنداء توجهه الى اتباعى وتذكر فيه رغبة الحكومة وبذا يعلم جفسن ما يريده وما يبتغيه أولئك الاتباع . فاذا عزموا الرحيل فانا اكون أول من يقودهم فى سفرهم . أما اذا كان المصريون وفئة قليلة من السودانيين هم فقط الذين يريدونه فانا اسلمهم لك وابقى اذ لا ينبغى أن اترك اناسا قـــد سبق أن اعطيتهم وعدا بالبقاء . ولا ينبغى للخـــديو ان يغضب من اجل ذلك وانى لا استطيع أن اعده بان استمر مقيما هنا لاضطرارى ان اجد محلا آخر استطيع منه المخابرة مع العالم . اما اذا كان الوصول الى ذلك المكان عن طريق ممبتو أو بحيرة فكتوريا نيانزا أو بحيرة تانجانيقا فالمسألة تحتـــاج الى وقت وتفكير » .

وقد سمع استانلى هذا القول باصغاء تام وبعد أن سكت بعض لحظات جاوب أمينا باشا بما يأتى :

« لقـــد فهمت مما سمعته منك الآن انك لا ترغب مطلقا الرجوع الى مصر وانك تريد الاقامة هنا اذا وجـــدت لك عونا . وانا اعتبر الخطة التى عقدت النيـــة على اختيارها بصدد جنودك وما يوجه اليهم من الاسئلة هى خطة قويمة . فاذا كانت الجنود تقرر الاياب الى مصر فعندئذ يكون من واجباتك ومن واجباتى انا ايضا أن نقتادهم اليها . اما اذا كانت الجنود

أو على الأقـــل الأغلبيـة المطلقـة منهم تأبى السفر وتؤثر ان تلبث تحت قيادتـــكم وتأتمر بأوامركم وتذهب معكم اينما تريدون فعند ذاك تنفصم عرى رابطتكم بالحكومة المصرية فعلا ولا يكون لكم بهـــا صلة . ولما كان هذا الأمر قد يمكن ان يحدث فلدى اقتراحان يلزمنى أن اعرضهما عليكم . ولوثوقى بما تحليتم به من الشرف انقـــدم وابادر باحاطتكم علما بهما مذ الآن . وانى بالطبع ابتدىء بالقول انه من واجباتكم مهما كان الأمر ان تعملوا بما يتفق مع ارادة مصر على قدر الامكان وان لا تبوحوا بما اعدكم به وبما قد عقدت النية على أن اعمله .

« فالاقتراح الأول هو أن ملك البلجيك يعرض عليكم أن تلبثوا حيث انتم بصفة وال لهذه المديرية نيابة عنه فتكون وظيفتكم فيها وظيفة مدير عام ويمنحكم لقب جنرال ويترك لكم حرية تعيين مقـــدار راتبكم ويضع تحت تصرفكم مبلغا سنويا يتراوح بين ٨ آلاف وعشرة آلاف جنيـــه انكليزى للقيام بنفقـــات الادارة ونفقـــات الجنـــود وذلك الى ان يحين الوقت الذى تستطيع فيـــه المديرية أن تقوم هى نفسها بنفقاتها وجميع الامور الاخرى يمكن بسهولة تسويتها . واما التموينات فجاهزة تحت طلبكم .

« والاقتراح الثانى هو ان تجمع سائر جنودك الذين لديهم استعداد لأن يتبعوك واتخذ لك مقرا فى ركن بحيرة فكتوريا نيانزا الشمالى الشرقى وابتن لك فيها محطات وأخبر بذلك حالا المستر ماكينون Mackinnon « رئيس اللجنة التى ألفت لتخليص أمين باشا » ويوجد فئة من التجار الانكليز تترقب وصولك بفارغ الصبر لتولف جمعية تشبه شركة الهند الشرقية

East Indian Company . وقــد اعد لذلك مبلغ قـدره ٤٠٠٫٠٠٠ جنيه انكليزى . وهذه الجمعية (١) تريد منك الثقة والاطمئنان وكل الامور تسوى فى الحـال وتقـوم أول قافلة بالتموينات برسمك من الساحل بلا توان » .

وردا على سؤال وجهه أمين باشا بشأن مصير ضباطه من جهة الرتب والراتب اجـاب استانلى ان الشركة الجـديدة المزمع تأليفها ستثبت كلا منهم فى مركزه الحالى وطلب منـه أن يفكر فى الأمر ويفيده بمـا يستقر عليه رأيه فيما بعد . وانصرف عنـد غروب الشمس ودعا أمينا باشا للحضور لزيارته فى العشية لأن لديه مستندات يريد أن يطلعه عليها .

ولبى أمـين باشا الطلب وذهب الى استانلى فاطلعـه على خريطة نواحى الكونغو وأراه كذلك نسخة معاهـدة اقامة حدود بين فرنسا والبلجيك نيابة عن حكومة الكونغو الحـرة وأراه أيضا الورقة التى سطر عليها اقتراحـات الملك ليوبولد Leopold عـلى أثر مقابلتـه له . واتضح مما ذكر أن الملك كان مهتما اهتماما شديدا ليضمن لمملكته طريق النيل . ولم يرجع أمين باشا الى داره الا فى الساعة العاشرة مساء وحكى أن ذلك اليوم ربما كان هو أحق ايام حياته بالذكر .

(١) — نلاحظ على هذا القول ان الاقتراح الاول لم يكن سوى مقدمة للدخول فى الموضوع اما الثانى فهو الاقتراح الجدي ومن اجله تألفت لجنة الانقاذ الذائعة الصيت كما برهنت على صحة ذلك الحوادث التي وقعت بعد كأن الحكومـة المصرية لو كانت مطلقة اليـدين كانت تعجز عن ارسـال قافلة للتموين كالقافلة المزمع أن ترسلها الشركة التي كان فى النية تأليفها .

وقال فيتا حسان اذا كان أمين باشـــا استطاع أن ينظر بعين الرضا لوصول صوت استغاثته لغاية بلاد الانكليز فانه رأى بعين الاشمئزاز من جهة اخرى انهم عوضا عن أن يوجهوا اليه امدادا وذخـــيرة ارسلوا اليه حملة مكلفة بحمله على ترك بلد صار عزيزا عليه ولا يمكنه تركه بدون أسف ولا بدون أن يستولى عليه شيء من النـــدم بسبب تلك القبائل البائسة التي ستتخبط فى دياجير الخـــراب والدمار على أثر سفره . وأدركته حيرة بالغة وهـــذه الحيرة لا تخلو من سبب . ذلك أنه لو أراد الاقامة بجانب أولئك القبـــائل قياما بواجبه نحوهم اعترضه الواجب الآخـــر وهو تلبية نداء الحكومة المصرية ولجنة الانقاذ . ومن الوقت الذى زاره فيـــه استانلى أخذت الهموم تساوره بشدة تفوق شـــدة هموم مدة الأمير كرم الله . ومن يوم وصوله الى نسابى لم تقل همومه بل بالعكس أخذ باله يزداد اشتغالا .

وفى ٢٢ مايو وصلت الباخرتان الى معسكر استانلى وقدم عليهما الضباط حواش افندى و ريحان افندى و سليم افندى مطر و كودى افندى وجاء عليهما ايضا ٨٠ جنديا و ١٣٠ حمالا . وكان هؤلاء الحمالون قـــد قدموا لمرافقة استانلى فى عودته فسر بهم سرورا لا مزيد عليه . وكان بالباخرتين كذلك حبوب وأقوات لأتباع استانلى . وهنا مثار للعجب إذ انقلبت آية هـــذا الانقاذ من اسداء المعونة الى الاحتياج اليها . وفى الحـــال أخذ أمين باشا أولئك الضباط الى هـذا الأخير وبعـــد أن قابلهم تحادث معهم وقتا ما ووعدهم بشرح أوامر الحكومة لهم فى مساء اليـــوم بداره وعلى ذلك انصرفوا .

وتوجه أمين باشا ومعه الضباط الى حيث يوجد استانلى وهذا فسر لهم أوامر الخديو . وتكلم حواش افندى اكثر من سواه أما كودى افندى فقال : « انه يذهب حيث يذهب رئيسه » . وصرح الجميع انهم مستعدون لاطاعة الأوامر وانفض على ذلك الجمع وراح أمين باشا يسائل نفسه عن الاجل الذى يستمر فيه هذا الاحساس راسخا فى نفوسهم .

وفى ٢٣ مايو أمر استانلى باعداد معدات سفره للغد . وكانت مدة اقامته مع أمين باشا على شاطىء البحيرة استغرقت نحو شهر . وقبل أن يسافر سلم إليه ٣٤ صندوقا من مهمات الحرب منها ٣١ صندوقا برسم سلاح رمنجتون و ٣ صناديق برسم سلاح وينشستر . وصدر الأمر أيضا الى جفسن بان يلبث مع أمين باشا ليتحقق بالاتفاق معه من أولئك الذين يريدون الذهاب الى مصر من رجال المديرية .

وفى ٢٤ مايو جمع أمين باشا حرسا مؤلفا من ٥٠ جنديا ليقوم بعمل تشريفة لاستانلى بمناسبة سفره . وبعد الوداع سار استانلى وبمعيته پارك Parke ليستحضرا مؤخرة الحملة . وفى الوقت نفسه ركب أمين باشا وبصحبته جفسن و كازاتى و فيتا حسان ظهر الباخرة وأقلعت بهم ميممة شطر مسوه .

ومن وقت رجوع كازاتى من الاونيورو كان يبدو عليه دواما شىء من الغضب نظرا للاهانة التى لحقته هو واتباعه فى ذلك البلد . تلك الاهانة التى لم يلاق مرتكبوها عقابا للآن . وله الحق فعلا فى أن يغضب لأن

الاهانة لم تلحق به وحده لانه أهين وهو نائب عن المديرية . وعلى ذلك يكون من واجبات الحكومة الحصول على ترضية . وهذا أمر ليس فيه شيء من الصعوبة ولا الخطر لانه كان فى حيز الامكان بواسطة الباخرتين و ١٠٠ جندى فتح بعض الممتلكات الخاصة بكباريجا الواقعة على شاطىء البحيرة لا سيما كيبيرو .

ثم بواسطة ٣٠٠ جندى يكون فى حيز الاستطاعة التوغل فى جهات أبعد من ذلك بكثير والوصول لغاية كيتانا Kitana مثلا وهى محل اقامة أم الملك وعند ذلك يضطر كباريجا الى تقديم تمام الترضية . غير أن أمينا باشا كان قد أضمر ان لا يفصم عرى علاقته بالملك كلية وأن لا يطرح من فكره أمر اعادة الصلات الحسنة مع الاونيورو اذا انسحبت الجنود . ولكن من وقت ما تغيرت الأحوال بقدوم استانلى لم يعد أمين باشا يرى ضرورة لان يراعى الملك اكثر مما مضى . ولدى وصوله الى مسوه أصدر امرا الى سليم افندى مطر و كودى افندى احمد بان يقلعا بالباخرتين مع ٧٠ جنديا ويستولوا على كيبيرو . ونفذ فعلا هذا الأمر ووضع الجند ايديهم على كيبيرو وكمية جسيمة من الملح وزهاء ٥٠٠ رأس من الضأن فكانت هذه الغنيمة نعمة من اجزل النعم على المديرية لان حيوانات الذبيح فى محطات الجنوب كانت تركت لحملة استانلى وكانت قد أخذت أيضا عند عودته ١٨٠ رأسا من الماشية .

وانتقل أمين باشا من مسوه الى تونجورو مع من كان بمعيته . ولدى وصوله الى هذه المحطة اعلن سائر المستخدمين والموظفين من ملكيين وعسكريين بارادة الخديو لإخلاء المديرية والاياب الى

ديـــار مصر واعطى أمرا بان كل واحد يظل مكانه حتى يرجع اليهم استانلى .

وزار أمين باشا يوما فيتا حسان وهو كاسف البال تبدو عليه سيماء الملال والضجر . ولما سأله عن السبب فى ذلك قال انه سمع أن احمد افندى محمـــود و عبد الوهاب افندى طلعت اشتكيا منه الى استانلى قائلين انه غير كفء للحكم . ثم استطرد فى الكلام فقال انه كان يعاملها بالحسنى وانه قد اخطأ فى معاملتهما بذلك وانه لم يبق فى قوس صبره منزع وانه عقد النية على أن يعاملهما معاملة غير التى كان يعاملهما بها قبلا . فقال له فيتا حسان ان كل ما اعتراه من السآمة والملل سيزول عند سفرهم القادم وانه يجمل به أن يغمض جفنيه أيضا هذه المرة لا سيما انه غض بصره فيما سلف عن خطيئات تفوق هذه الخطيئة كثيرا فى الجسامة فى اوقات اكثر شدة . ومن المستغربات مع ذلك ان استانلى لم يفه ببنت شفة لامين باشا بصدد ذلك وعد الباشا سكوته أمرا غير لائق .

ما دار حول سفر الجنود واقامتهم

وعند ما أبلغ أمين باشا الموظفين والعساكر أمر السفر مع استانلى زاد جفسن على ذلك بان قال . « ان اطعتم الباشا واتبعتموه لن تنساكم أمة الانكليز » . وهذه الكلمات مضافة الى الكلمات التى فاه بها أمين باشا قبلا بصدد الانسحاب عن طريق الاونيورو وكذلك التقدمة التى عرضها على الحكومة البريطانية بالاستيلاء على مـــديرية خط الاستواء كما هو مذكور فى الملحق الخاص برحلة استانلى والتى لا بد ان خبرها اتصل بمسامع الجميع . كل ذلك أكد وأيد ظنونهم بصدد بيعهم وشيكا للحكومة

الانكليزية .

وان هو إلا أن تفرقت الجنود حتى أخذوا يتساءلون ويقولون : « ماذا يريد منا الشعب الانكليزى . ان أولئك الناس غير قادمين من مصر لانهم عوضا عن أن يتكلموا باسم افندينا نراهم يتكلمون باسم الشعب الانكليزى ونراهم مرتدين بملابس رثة بالية فلا يمكن أن يكونوا قادمين من قبل افندينا » .

وكان لا يوجد شخص واحد تقريبا راضيا بالسفر خصوصا وقد علموا بالظروف التى صادفتها حملة استانلى حين مجيئها . تلك الظروف التى لا تشجع الا قليلا على السفر . فلقد مات منها خلق كثير وجرح جمع كبير زد على ذلك القحط وسوء الحال وشظف العيش ومقاساة العذاب بأنواعه الى أن وصلت الى المديرية . كل ذلك كان لا يمكن أن يغرى أولئك الناس على مبارحة بلد يعيشون فيه نسبيا عيشة رخاء . وهذه الأسباب مضافا اليها الحذر المتأصل فى نفوس أغلب السودانيين أدت الى القلق وهذا القلق تحول فيما بعد الى تذمر لا ترتاح اليه النفوس .

وفى ٢٠ يونيه وصل بريد وادلاى و دوفيليه . وجاء به انه بينما كان جنديان يجتازان النهير على ظهر مركب إذ قلبها فرس بحر فمات الجنديان غرقا . وتكدر أمين باشا لهذا الحادث كدرا عظيما لا سيما ان احدهما كان رفيقه الوحيد لدى رحلته الأولى الي اوغنده فى أيام غوردون باشا . وورد أيضا بهذا البريد تقرير من دوفيليه جاء فيه ان الرؤساء المجاورين لهذه المحطة يأبون الطاعة بسبب اشاعة أذاعها الضباط المصريون وانهم ممتنعون عن المجيء اليها . فكتب أمين باشا ردا على هذا التقرير انه سيحضر

هو نفسه لينظر فى هذا الأمر .

تـــلاوة أمر الخـــديو ونداء استانلى
على الجنـود والموظفين فى لادو وغيرها

وبعـــد أن أقام أمين باشـا شهرا فى تونجورو سـافر منها فى ٢٥ يونيـه الى وادلاى . وكان بمعيته جفسن و فيتا حسان فقط . أما كازاتى فلبث فى تونجورو بسبب نزاع قام بينـــه وبين أمين باشـا على أمر تافـه . ذلك انهما كانا تبادلا بعض عبارات جافـة بصدد ضابط يقـــال له مصطفى افنـدى العجمى وكان حواش افنـدى قـــد أهانه فتدخل كازاتى ودافع عنه . ولما كان كازاتى لا يستطيع أن يوجه الكلام رأسا الى أمين باشا توجه الى فيتا حسان قبل سفرهم وأشار عليه بأن يبذل كل ما فى وسـعه ليمنعه من السفر لأن لديه دواعى تحمـــله على الاعتقاد بانه ستحل بهم كارثة . وانه لا يقـدر هو نفسـه أن يذكر ماهيـة هـــذه الكارثة بالضبط لأن نفسه تحدثه بأشياء غـــير معينة وألح على فيتا حسان أن لا يتجاوز السفر الى وادلاى على كل حـــال . فوعـده هـــذا بذلك واقلع الكل على الباخرة الخـــديو وولت وجهها شطر هـذه المحطة الاخيرة فوصلت اليهـــا فى ٢٧ يونيـه .

وفى وادلاى أمر أمـــين باشـا بتلاوة أمر الخـــديو عـلى الموظفـين والجنـود مجتمعين . أما جفسن فتلا عليهم أيضا نـــداء استانلى وهـذا نصـه :

« أيها الجنود

« بعد أن قضينا بضعة شهور فى اسفار محفوفة بالاخطار وصلنا فى نهاية المطاف الى شواطىء بحيرة نيانزا . وقدومى هذا كان بناء على أمر خاص صادر من لدن الخديو توفيق والغرض منه خروجكم من هنا والرجوع الى دياركم . ولا بد لكم من معرفة ما يأتى :

« ان طريق البحر الأبيض مسدود والخرطوم وقعت فى قبضة رجال محمد احمد . وغوردون باشا وكافة رجاله قتلوا . وسائر البواخر والمراكب وغيرها بين بربر وبحر الغزال استولى عليها المهديون وان أقرب محطة مصرية هى الآن وادى حلفا الواقعة فيما وراء دنقلة . ولقد حاول الخديو واصدقاؤكم أربع دفعات انقاذكم . ففى أول مرة أرسلوا غوردون باشا الى الخرطوم ليرجعكم جميعا الى أوطانكم . ولكن بعد أن قاتل قتالا عنيفا مدة عشرة اشهر سقطت الخرطوم وقتل غوردون وجميع رجاله . وعقب ذلك اتت الجنود الانكليزية بقيادة اللورد ولسلى Wolesley ولكن تأخر مجيؤهم أربعة أيام عن الوقت اللازم أى بعد ان كان قد قضى الأمر وانتهى كل شىء . وأتى بعد هذا الدكتور لنز Dr. Lenz وهو من كبار السياح . واجتاز بغية انقاذكم طريق الكونغو . الا انه لم يجد العدد الكافى من الرجال لمرافقته واضطر لان يرجع بعد أن وصل الى الطريق المذكورة . وكذلك حصل للدكتور فيشر Dr. Fisher الذى كان أرسله والد الدكتور جونكر المعروف لديكم اذ اعترض مروره خلق كثير العدد فاضطر هو الآخر أن يعدل عن متابعة سفره .

« ولقد أوردت لكم كل ما ذكرته لأبرهن لكم ان مصر لم تطرحكم من بالها وانها ما زالت تفكر فى أمركم وان الخديو ووزيره نوبار باشا ما زالا واضعيكم نصب أعينهما . فلقد علما عن طريق اوغندة انكم أديتم واجباتكم كجنود بشجاعة وبسالة . ولهذا أرسلونى لأقول لكم انكم فى افكارهم وانهم فى انتظار مكافأتكم وينبغى أن ترافقونى الى مصر حتى تؤجروا وتكافئوا . ويقول لكم الخديو فوق ذلك انكم اذا كنتم ترون أن الطريق طويلة كثيرا وتخشون السفر فيمكنكم أن تلبثوا هنا . وفى هذه الحالة تمسون جنودا غير تابعين له وتنقطع رواتبكم فى الحال . ولا يعود الخديو يفكر فيما قد يحيق بكم من الاخطار سواء قلت أم جلت بل تقع مسئولية ما قد يحدث على عاتقكم . أما اذا قررتم الذهاب الى مصر فأنا هنا مستعد لأن اقتادكم الى زنزبار وأقلكم على بواخر الى السويس ومنها تتوجهون الى القاهرة . ومتى وصلتم اليها تدفع لكم فى الحال رواتبكم ويثبت كل منكم فى درجته والمكافئات التى وعدتكم بها هنا تصرف لكم بتمامها .

« ومرسل لكم من قبلى المستر جفسن وهو ضابط من ضباطى وقد أمنته على سيفى وسيكون نائبا عنى لديكم وسيقرأ لكم أيضا بالنيابة عنى هذا النداء . وقد عزمت على السفر عاجلا لأبحث عن اتباعى وامتعتى وأحضرهم الى نيانزا وبعد اشهر اكون قد رجعت وعندئذ نرى ما وطدتم العزم عليه . فاذا كنتم شحذتم غرار العزم على السفر الى مصر ذهبت بكم اليها من طريق مأمون واذا قلتم انكم ستظلون حيث أنتم الآن ودعتكم وانصرفت موليا

وجهى أنا ومن بمعيتى شطر ديار مصر والله يحفظكم » .

صديقكم الصادق

« استانلى »

وبعد تلاوة هـــذه المستندات تعهد الجميع بالاستعداد للسفر وقبلوا شروطه .. ولما كانت الامور جرت فى مجراها العادى ولم يحـــدث شىء خارق للعادة فى وادلاى بعد اقامة اسبوعين ســـافر أمين باشا مع جفسن و فيتا حسان الى دوفيليه وكان ذلك بتاريخ ١٥ يوليه فاستقبلهم فيها حواش افندى استقبالا باهرا كانت الجنود فيه مصطفة على ضفة النهر . ولدى نزولهم من الباخرة ذبحت جاموسة تحت أقدامهم وكان الطريق الطويل العريض الممتد بطول المحطة مفروشا برمال صفراء الأمر الذى ألبس الناحية بهجة أيام العيد .

وفى وسط الطريق نصب حواش افنـــدى تحت ظل أربع شجرات ضخمة من شجر الجميز شبه مصطبة لأمين باشا و جفسن و فيتا حسان والضباط . وان هو الا ان أخذوا مقاعدهم حتى قدم لهم الشربات ثم القهوة أربعة من الزنوج مرتدين بثياب بيضاء مع الابهـــة المألوفة فى سرايات القاهـــرة . وكانت الفوط مزركشة بالذهب والفناجين من الصيني المزين بالزهور .

وكان جفسن لا يتوقع أن يرى مثل هـــذه الخيرات ومثل هـذا الغنى



المستر جفسن وهو يتلو نداء استانلى فى دوفيليه
والشيخ المعمم فى أقصى اليمين من الصورة هو الشيخ مرجان قاضى المديرية

والرفاهية لدى اناس يعيشون فى قلب افريقية وكان يظن انهم يعيشون فى أشد حالات القحط ويقاسون أهوال وآلام الجوع وفى حالة تستوجب الاسعاف ولذلك دهش وجمدت أعصابه وصار يقلب الطرف ذات اليمين وذات الشمال ويقول لأمين باشا وللحاضرين انها لعمر الحق خسارة وأى خسارة ترك بقعة كهذه .

وكان جفسن أبدى فيما سلف نفس هـذا الدهش فى مسوه عندما رأى الضباط متشحين بالقمصان النظيفة المنشاة وكان بـلا ريب يترقب أن يراهم لابسين ثيابا بالية . على أن الذين كانوا يرتدون كساوى ممزقة مع قرب عهد مجيئهم من أوربا هم بلا امتراء ضباط استانلى .

وكان حواش افندى أعد لهم مساكن استوفت شروط الراحة تمكنوا فيها من تمضية الوقت الذى أقاموه فى دوفيليه ناعمى البال قبل أن يسافروا الى لابوريه ومحطات الشمال . وكان أمين باشا يريد أن يرى الأورطة الأولى بعينى رأسه ليعرف أميالها نحوه وافكارها من جهة السفر مع استانلى .

وفى ١٧ يوليه سافر أمين باشا و جفسن و فيتا حسان بعد وقوف يوم فى دوفيليه الى جهات الشمال فمروا بلابوريه وموجى وكان يحتل هاتين المحطتين الأورطة الثانية ولم يقفوا بهما ثم وصلوا الى كرى وهى أول المحطات التى تحتلها الأورطة الأولى . وفيها أصدر أمين باشا أمرا الى البكباشى حامد افندى بأن يرسل المراكب من الرجاف الى كرى ومر اسبوع ولم تأت المراكب المطلوبة . وأرسل جادين افندى Djadine قائد

الرجاف ينبئهم بأن المراكب تشتغل بنقل الذرة وعلى ذلك لا يمكن ارسالها . فاعتبر حامد افندى هذا الفعل تمردا وانه مقدمة لحدوث ما هو أشد وأنكى وانسحب اعترافا بعجزه حتى لا يتورط فى تصرفات اورطته الخارجة على النظام . وطالت المكاتبة فيما بين أمين باشا وجادين افندى بدون جدوى . واتضح بعد وقت قصير أن جنود الرجاف معارضة فى مسألة السفر التى لا بد أن يكونوا سمعوا بها . بل زعموا انهم أوعزوا الى على افندى جابور فى مكرا كا بالمجىء عاجلا والقاء القبض على أمين باشا .

واقترح جفسن على أمين باشا أن يتابع السفر مع فيتا حسان الى جهة الشمال ليرى رأى العين الأحوال على حقيقتها . الا أن أمينا باشا عارض فى ذلك إذ قد تجلت الآن آراء الأورطة الأولى وظهر التمرد علنا ولبثت أوامر أمين باشا حبرا على ورق وكل يوم تشرق شمسه يأتيهم بخبر مسير جنود هذه المحطة أو تلك على محطة كري بغية القاء القبض على أمين باشا ومن بمعيته .

أما فى كري فأبدى الجنود استعدادهم للسفر بعد أن تلى عليهم أمر الخديو ونداء استانلى وفى اليوم التالى عدلوا عن هذا الرأى اذ علموا أن فى غير استطاعتهم استصحاب كل ذويهم فصرحوا بأنه فى غير امكانهم ان يعزموا على السفر . وأراد جفسن أن يحملهم على الرحيل نخاب مسعاه وكانت نتيجة سعيه عكس ما يبتغى . ذلك بأن قال ان استانلى يود بلا ريب أن يأخذهم معه هم وآلهم اذا رغبوا فى ذلك ولكن وجودهم فى القاهرة على هذا النحو يجعلهم يشعرون بالضيق لأن المعيشة فيها ليست مرضية كما هو الحال هنا وفوق ذلك فان أثمان الحاجات هناك

مرتفعة .

ولما كانت اطالة الاقامة زيادة عما مضى لا يرجى منها أية فائدة وقد يجوز أن الأحوال تزداد سوءا قرر أمين باشا ومن بصحبته أن يقفلوا راجعين لصوب الجنوب . وكتب أمين باشا من موجى مرة أخرى الى ضباط الأورطة الأولى طمعا فى ردهم الى الصواب ولكن محاولته هذه ذهبت ادراج الرياح . وسلك منهم ضابطان فقط وجنودهما مسلك التعقل والتروى وهما بخيت افندى برغوت قائد كرى وعبد الله افندي منزل قائد موجى . وكدس جنود المحطة الاخيرة حبوبهم وأخذوا فى تحضير خبزهم استعدادا للمسير . وبينما كان أمين باشا فى هذه الناحية انضم اليه ١٤ جنديا من الاورطة الأولى كانوا قد تعلقوا بأذيال الفرار . ولما علم ضباط الرجاف الثائرون بأن الجنود الهاربين وصلوا الى كري بدون أن يقف فى طريقهم ممانع ألقوا بخيت افندى برغوت فى غيابة السجن . وعند وصول هذا الخبر قرر أمين باشا بموافقة جفسن و عبد الله افندى منزل ارسال جندى برتبة ضابط صف و ٤٠ عسكريا لاطلاق سراح بخيت افندى برغوت . الا انه مع ذلك تولى قيادة هذه الشرذمة ضابط يقال له اسماعيل افندى حسين بعد أن أغرى بالترقى وسافر هو وعساكره ليلا ورجع بالفعل فى اليوم التالى ومعه بخيت افندى برغوت وقد أنقذه بعد مشقة .

وأصدر أمين باشا قبل ان يبارح موجى امرا الى قومندان المحطة بأن يرسل الى دوفيليه كافة الذخيرة التى فى المخزن . ووقع هذا التدبير غير الصائب الذى اشار به جفسن حسب قول أمين باشا موقعا سيئا من نفس الجنود الذين كانوا لبثوا هم وحدهم تقريبا موالين لغاية

ذلك الوقت . فلقد يؤثر الجندى السودانى أن يجرد من كل ما يمتلك على أن يسلم ذخيرته تلك التى يستمد منها قوته وتفوقه على غيره . وقد حاول فيتا حسان أن يحول دون صدور هذا القرار ولكنه لسوء الحظ حبط مسعاه ولم يجن غير الفشل .

هياج الجنود فى لابوريه

وذهب أمين باشا هو ورفاقه من موجى الى لابوريه فدخلوها فى ١٢ اغسطس وكان القضاء قد خبأ لهم فى زواياها حادثا مكدرا ذلك أنهم ما كادوا يدخلون محطتها حتى رأى فيتا حسان العساكر الذين رأوا الذخيرة تنقل من موجى يتذمرون ويقولون ان الباشا جرد اخوانهم فى الشمال من السلاح ليتركهم عزلا من وسائل الدفاع .

وفى عصر اليوم التالى الموافق ١٣ منه حشد أمين باشا الجنود فى شكل مربع ووقف هو و جفسن و فيتا حسان والكاتب غبريال افندى شنوده فى وسطه وتلا أمر الخديو ونداء استانلى . وعندما سألوا الجنود عما اذا كانوا يريدون السفر اجابوا بأنهم سيسافرون بكل ارتياح ولكن بعد أن يحصدوا زراعتهم ويحضروا الزاد للسفر .

وكان « بنزا » ترجمان جفسن ملما الماما سيئا سواء أكان باللغة العربية أم بلغة الساحل فخلط فى الترجمة ولم يؤدها على صحتها . وذلك انه حينما سأل جفسن الضباط أن يحيطوه برأيهم فيما يتعلق بالسفر ترجم بنزا Bensa هذه العبارة ترجمة سيئة فقال للضباط انه يجب عليهم أن يسافروا فى



تمرد جنود محطة لابوريه يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٨ م
عندما قرأ عليهم جفسن أمر الخديو توفيق باخلاء المديرية والعودة الى مصر

الحال فلم يجاوب أحد من العساكر بشيء والتزموا جانب الصمت ولاح عليهم عدم استحسان هذا الانذار كما كان يبدو ذلك من وجوههم وعند ذلك خرج من الصف بغتة بلال شرقاوى مراسلة سرور افندى قائد المحطة وحثهم بصوت عال على فحص مضمون الأمر والنداء فأمسك أمين باشا بعنق الجندى وقد استشاط غضبا من لهجته وأمر اليوزباشى سليم افندى مطر بالقاء القبض عليه وسجنه . وما كاد الضابط يقترب من بلال حتى عبأ الجنود بنادقهم كأنهم تلقوا أمرا بذلك وصوبوها على أولئك الذين كانوا فى قلب المربع واندفعوا الى الأمام صائحين : « لماذا يسجن اخونا . اخلوا سبيله » . فاكفهر وجه جفسن أما أمين باشا فلبث هادئا واستل سيفه وتقدم بضع خطوات لصوب الجنود فتقهقر هؤلاء مذعورين واسلحتهم مرفوعة .

وفى هذا اليوم عينه اقيمت فى لابوريه حفلة ختان وفيها أفرط الجنود حسب عادتهم فى شربهم المريسة فحملهم السكر على أن يأتوا أعمالا غير لائقة . ولو كان عند ذلك وقع أى حادث مهما كان تافها لذهبت حتما أرواح من كان فى قلب المربع . ولما كان الموضع الذى به أمين باشا ورفاقه يشرف على الناحية تمكن فيتا حسان من أن يرى خلف صفوف الجنود الذين كانوا يحيطون بهم خادمين من خدم أمين باشا وبعضا من خدمه يركضون . فجال فى خاطر فيتا حسان انه لا بد من حدوث كارثة اذا حاول هؤلاء الخدم الدفاع عن مخدوميهم فشق له طريقا بين الجنود وقبض على الخدم وصفعهم بعض صفعات وقفوا عندها جامدين . ثم اجابوا وقد تملكهم الغضب : « اننا نريد الدفاع عن أسيادنا أو نموت معهم » . فردهم فيتا حسان وبذا امتنع حدوث قتال بين الجنود والخدم .

وكان أمين باشا فى اثناء ذلك لم يزل فى نفس موضعه محاطا بالجنود فعدا فيتا حسان الى الدار وأتى بمسدس معبأ واندفع فى الزحام فوجد الجنود قوضوا المربع وأسرعوا عدوا الى مخزن الذخيرة . وكان الباعث لهم على احداث هذه الحركة رؤية الجنود المنوطين بمراسلات أمين باشا والمنوطين بمراسلات جفسن يغدون ويروحون بجانب ذلك المخزن فظنوا انهم يحاولون الاستيلاء على الذخيرة نخفوا ليمنعوهم عن هذا العمل لانهم ما كانوا يريدون ان يدعوهم يأخذونها منهم كما حدث فى موجى .

وظل أمين باشا فى المكان الذى وقعت فيه هذه الحوادث سابحا فى بحر افكاره بينما كان جفسن قد اختلط بالجنود امام المخزن محاولا تهدئة خواطرهم . ودنا فيتا حسان من أمين باشا وأشار عليه بأن يرجع الى المنزل فرفض وآثر ان يبقى ليرى على أى وجه سوف تنتهى هذه المسألة . فأفهمه فيتا حسان ان كافة الجنود سكارى وانه لا يمكن القيام بأى عمل مجد اللهم إلا الرجوع الى الدار وتركهم ينامون حتى يفيقوا من سكرتهم وعند ذلك يخجلون من فعلتهم ويندمون على ما فرط منهم ويخلدون الى الطاعة . وعاد جفسن فى هذه اللحظة يضحك من وقوع هذا الحادث الذى كان لا يبعد أن ينتهى بأشأم العواقب وعلى ذلك رجع الجميع الى البيت مع أمين باشا .

وجاءهم عشية فى الوقت الذى يقوم فيه عادة بعض الجنود بالحراسة أمام بيت الباشا ضابط واخبرهم بأن هؤلاء الجنود يرفضون القيام بالحراسة ويطلبون مقابلة جفسن . فأقلقهم هذا الخبر وسهروا الى أن

انصرم النصف الأول من الليل ثم أدوا هم أنفسهم تلك الحراسة بالمناوبة باعتبار كل منهم ساعتين مبتدئين بفيتا حسان ثم جفسن فأمين باشا .

وفى الصباح ذهب جفسن الى الجنود فوجدهم على أتم حالة من الهدوء والسكينة فدهش من ذلك . وكان يبدو عليهم انهم نسوا حوادث العشية وطلبوا من جفسن أن يتوسط لدى أمين باشا ليصفح عنهم معتذرين بالسكر . وقالوا انه ليس يوجد عندهم أى باعث يدعوهم لكره أمين باشا وقد عرفوه من مدة ١٢ عاما وانه ابوهم وطبيبهم وربهم . وانهم لا يمتنعون مطلقا عن السفر إلا انهم يطلبون ايضا أن يؤخذ اخوانهم جنود الاورطة الأولى . وأتى بعض الضباط مع جفسن ليطلبوا العفو من أمين باشا بالنيابة عن جنودهم . وبارح أمين باشا ومعيته لابوريه بدون أن يحدث حادث آخر . وأراد الضباط عند سفره القيام بالتشريفات العسكرية المعتادة فأبى .

امتناع الأورطة الثانية عن السفر

وقد خبأ لهم القضاء والقدر فى خور أيو مفاجأة أخرى أدهى وأمر . ذلك انه بينما كان أمين باشا و جفسن و فيتا حسان يتناولون الطعام فى ١٨ اغسطس أى يوم وصولهم اذا بزنجى من زنوج حواش افندى يقال له ريحان قد قدم من دوفيليه يجرى بكل ما استطاع من قوة وسلم للباشا خطابا من سيده يقول فيه انه مسجون فى دوفيليه وأن نيران ثورة قد اندلع لهيبها بغتة فى الاورطة الثانية التى تعارض الآن فى أمر السفر . وان اليوزباشى فضل المولى افندى الأمين قائد محطة فابو

وصل فجأة الى دوفيليه ومعه ٦٠ من عساكره وخض على الثورة وقبض على زمام حركة التمرد وسجن حواش افندى فى داره وتولى قيادة دوفيليه .

ويؤخذ من خطاب حواش افندى ومن قصة خادمه ان الامور وقعت بالكيفية الآتية :

صعد فضل المولى افندى النيل بالتواطؤ مع نوتى دوفيليه ادريس الدنقلاوى ودخل دوفيليه خلسة بدون أن يشعر به أحد . وكان معه اثنان من الضباط الذين تحت رياسته وهما احمد افندى الدنكاوى وعبد الله افندى العبد والستون جنديا التابعون له . وبينما هو على وشك أن يمر على الحرس الكبير صادف حواش افندى في طريقه فطلب هذا منه معرفة السبب الذى حدا به للقدوم بدون استئذان . فأجابه فضل المولى بأن ليس له أن يعطيه اوامر وانه قدم ليضع حدا لاساليبه التى ليس لها عاقبة اخرى سوى خراب المديرية وأمر حواش افندى أن ينصرف الى منزله . فأدرك حواش افندى مبلغ الخطر وحاول تجنب وقوعه قائلا :

« هلم نشرب معا كأسا وبعد ذلك يمكنك أن تعرفنى الداعى لقدومك الى هنا » . فلم يقع فضل المولى فى الشرك وأجاب :

« اذهب . أتدعونى الآن للأكل والشرب فى منزلك ولكن عندما تكون أخذتنا أنت وصاحبك النصرانى الحقير كما يؤخذ قطيع الغنم فماذا تعطينا عند ذاك . نحن لا نريد أن يدركنا الموت فى الطريق وعلى كل حال لا نسافر » وبعدئذ أمر بالنفخ فى الناقور إيذانا بالمسير .

ولما اجتمعت جنود دوفيليه فى الميدان أراد حواش افندى أن يوجه اليهم أمرا بان يلحقوا به ليرى اذا كان لم يزل فى استطاعته أن يعتمد عليهم غير أن هؤلاء قد كانوا بلا مراء أغروا سرا على العصيان ومع كل فلم يترك له فضل المولى افندى وقتا وقاطع كلامه وذلك بتوجيه خطبة للجنود يحضهم فيها على العصيان . وهاك ما قاله :

« انهم يريدون تسفيركم من طريق مجهول ويريدون أن ييتموا اطفالكم . لقد سمعتم قصة جنود النصرانى . تلك القصة التى يؤخذ منها ان أولئك الجنود اضطروا فى الطريق الى اكل كل شىء حتى الجذور والحشائش مع أنه لم يكن عليهم ان يجروا وراءهم جيشا من النساء والاطفال . وكان الجميع مسلحين ومع ذلك فقدوا اكثر من ثلث عدد رجالهم . فماذا تنتظرون انتم من وراء سفركم مع آلكم ونسائكم وأولادكم . انكم ولا شك سيدرككم الموت فى الطريق ان لم يكن من الجوع فمن سهام الهمج المتوحشين الذين ستمرون فى قلب بلادهم . وفضلا عن ذلك فمن ذا الذى يضمن لكم ان هذا النصرانى قادم من الديار المصرية . أولايوجد لدى افندينا بك من البكوات يستطيع أن يرسله إلينا اذا كان يريد حقا وصدقا استدعاءنا الى مصر . وهل من المعقول ان الباشا عندما يطلب منا أمرا يقول لنا : « اعملوا هذا أو ذاك » ، وافندينا الذى يسمو عنه بمراحل عندما يطلب منا شيئا يقول : « اعملوا ذلك ان اردتم » . وهل انا اذا امرت خادمى بفعل شىء ما أقول له : « اعمله اذا اردت » . ألا يداخلكم الشك فى أن هذا النصرانى آت من القاهرة . أوليس من واجباتنا أن نعارض فى هذا السفر الذى لا يعلم سره إلا علام الغيوب والذى يريدون أن يحسنوا لنا الاقدام عليه . فاذا أوليتمونى ثقتكم اطيعونى وانا اضمن لكم أن لا يصيبكم شىء يكدركم

ولا تتبعوا حواش افندى واذا أتى الباشا وهو لن يتأخر عن المجىء أنظر عند ذلك فيما سنفعل » .

ولقد عرف فضل المولى افندى كيف يصيب من سامعيه عرقا حساسا وكيف يعبر عن وجهة عدم رضاهم . وأمال الجميع الى كفة فضل المولى افندى فرحهم وابتهاجهم للخلاص فى نهاية الأمر من نظام حواش افندى الصارم . ولم يحاول هذا بعد ذلك أن يستعمل أى شىء من سطوته ودخل الى داره خائفا من الانقلاب الذى وصلت اليه الحالة وطلب المعونة من أمين باشا . وأراد منه على الأخص الثبات ورباطة الجأش اذا رأى اختلالا فى النظام لدى دخوله دوفيليه .

وقرأ أمين باشا الخطاب وألقاه على المائدة وقد انخلع قلبه وأخذ لحيته فى قبضته كعادته ولبث لحظة كاسف البال خائر القوة وأخذ جفسن و فيتا حسان ينظر كل واحد منهما الى رفيقه دهشا . وشعرا بحدوث شىء ذى بال ولكنهما ما كانا يترقبان وقوع حادث كهذا اذ انه كان قد وصل اليهم قبل ذلك ببضع ساعات من حواش افندى كتب وخطاب بالتهانى بعيد الاضحى .

وشرع أمين باشا يتحدث الى جفسن بالانكليزية وظل فيتا حسان لا يفهم من كلامهما شيئا سوى « حواش . دوفيليه . فضل المولى تمرد وعصيان » . وأخيرا ناوله أمين باشا مكتوب السوء فعلم منه ما حدث تماما .

وأجاب أمين باشا حواش افندى انه سيأتى هو نفسه الى دوفيليه

فى الغد . وسافر ريحان افندى فى الحال بالرد واستدعى فى الوقت نفسه اليوزباشى سليم افندى مطر ، وكان لهذا الضابط حرمة واعتبار فى ارجاء المديرية ، ثم افترقا . وانقضى بعد ذلك هزيع كبير من الليل بدون ان يستطيعوا اغماض جفونهم لحظة . فلقد أمسى موقفهم غاية فى الحرج إذ ما كادوا يخرجون من مخاطر كثيرة حتى رأوا انفسهم محاطين بجنودهم الثائرين بدون ان يستطيعوا ايجاد مخرج لهم .

تمرد فضل المولى افندى وتأسيسه لحكومة وقتية

وقدم سليم افندى مطر فى اليوم التالى قبيل الساعة العاشرة . وكان يبدو لهم ان كل العناصر من ماء وسماء وانسان تحالفت عليهم . فكان البرد فى ذلك اليوم قارسا تصطك من شدته الاسنان والمطر ينهمر ماؤه كالطوفان وعلى ذلك كان يتعذر السفر لعدم امكان العثور على حمالين فى ايام النوء التى تتغطى فيها جميع الطرق والمسالك بالماء .

وبينما كان امين باشا ورفاقه ينتظرون بفارغ الصبر ان يتمكنوا من الرحيل ورد خطاب آخر من حواش افندى يقول فيه إن الحكومة الوقتية التى أسسها فضل المولى افندى اطلقت سراح كل المسجونين . وهكذا يستطيع احمد افندى محمود ومن التف حوله أن يذكوا نار الثورة بدسائسهم ودناءة اعمالهم .

وفى اليوم التالى تبددت الغيوم وصحا الجو وجفت الطرق حتى كأن ذلك حدث بسحر ساحر . وخاطر بعض الزنوج بالخروج من اكواخهم فأخذوا قسرا بصفة حمالين . ولما كان عددهم لا يفى بالمطلوب دعت الحالة

الى ترك الجانب الاكبر من متاعهم فى خــــور أبو . وكان فيتا حسان قد أشــــار على الباشا منـذ مجيء سليم افندى مطر أن يرسله الى الامام فى اتجاه دوفيليـــــه ليهـدىء الخواطــــر المتهيجـة عوضا عن الانبعاث مرة واحـدة فى قلب الثورة ولكن هـذه النصيحة لم يعمل بهــــا وسافر سليم افندى معهم .

ولدى وصولهم الى دوفيليـــــه فى ٢٠ اغسطس الموافق آخــــر ايام عيد الاضحى كان اختلال النظام فيها قــــد بلغ غايتـه إذ خرجت الجنود عن حـدودها واختلطت بالأهـــــالى اختـلاط الحابل بالنابل وأخـذوا يرتعون ويلعبـون ويحتسون المريسة فى كل الزوايا والاركان . أما الحــــرس وقد كان باقيـــا فى مكانه بالمصادفة فلم يبـد حراكا ولـكنه لم يؤد التعظيم بالسلاح للباشا .

وقـــــوع أمـين باشا و فيتا حسان
فى أسر الثـــوار

وعندما دخلوا فى الطريق القصير الموصل الى دار الباشا ووصلوا اليها حطوا بها رحالهم بدون أن يعترضهم معترض . وأراد فيتـا حسان أن يستطلع الاحوال على الفور فوجـــد بالباب جنديا سد عليـــه الطريق بحربته ومنعه من الخروج وهـكذا قضى عليهم بالأسر . وأحاط فيتـا حسان الباشا علما بالحالة فلم يبـد لذلك دهشة وعلى اثر هـذا الحادث أرسل اليهم حواش افـندى بعض المرطبات وقهوة مع خادمـه . وكان هو الآخر محجوزا فى داره فلا يمكنه الخروج منها الا أنهم تركوا خـادمه مطلق السراح وبذا استطاع أن يتصل بهم ويرسل اليهم ما يحتاجون اليه .

مطالب الثائرين

ولم يكن سليم افندى منطر مقضيا عليه بالسجن مثلهم فسمح له بالخروج وعند عودته أخذ يهدىء خاطرهم قائلا لهم انه قابل فضل المولى افندى وان هذا قال له انه ليس على الباشا من بأس وان الثائرين لا يريدون به شرا غير انهم كانوا يطلبون منه دواما اقالة حواش افندى فلم يلب طلبهم . وانهم حاقدون على هذا الاخير لانه كان يسىء دواما معاملتهم وانهم يطلبون أمورا ثلاثة هى عزل حواش افندى من الخدمة ، وابعاد فيتا حسان عن الباشا لانه كان على حسب قولهم مشير سوء ، وعدم السفر مع استانلى . واذا كان لا بد للخديو ان يأمر حقيقة بالسفر فليكن رجوعهم الى مصر عن طريق الخرطوم وهو الطريق الوحيد الذى يعرفونه . أما فيما يتعلق بسجن الباشا ومن معه فلا ينبغى اهتمامهم به لانهم لا يقصدون بذلك الا ابعادهم عن الموظفين والضباط حتى لا يشتبكوا معهم . وقالوا علاوة على ما ذكر ان فى استطاعة جفسن أن يغدو ويروح بلا ممانعة لكونه ضيفا . واختتم سليم افندى كلامه فقال انه لا ينبغى لهم قط أن يتألموا وان المياه لن تلبث ان تجرى فى مجاريها ويستتب النظام كما كان .

وخوفا من تواطؤ أمين باشا مع ربانى الباخرتين واحتمال هروبه فصل فضل المولى ومحازبوه من باب الاحتياط بعض عددهما حتى لا يمكن الانتفاع بهما .

وفى اليوم التالى قابل جفسن فضل المولى افندى فأيد هذا له بعض

ما قاله فى العشية لسليم افندى وزاد على ذلك بان قال إن الثوار فى هذه الدفعة يشتكون مباشرة من الباشا وانهم يترقبون قدوم جميع ضباط الاورطتين لمحاكمتهم . (أى أمين باشا وفيتا حسان وحواش افندى) .

وأذاع الثوار اشاعة بناء على اقتراح وكيل المديرية عثمان افندى لطيف الذى كان يحتاط دواما حتى لا يجلب على نفسه عداوة انسان ، فحواها ان أمينا باشا لم يكن مسجونا بل انه هو (أى عثمان لطيف) دعاه فقط أن يلازم عقر داره خوفا من أن يعتدى أحد على حياته كما حدث ذلك فى لابوريه .

وفوق ذلك وجه فضل المولى افندى ومن والاه ابتغاء اخفاء تمردهم بستار من الرياء الالتماس الآتى الى أمين باشا وها هو :

« الى صاحب السعادة مدير مديرية خط الاستواء .

ان عبد الوهاب افندى طلعت و احمد افندى محمود وآخرين أمسوا من أمد مديد مغضوبا عليهم . وبما أن الحكم الصادر ضدهم لا تبدو عليه صبغة قانونية لأنه لم يصدر من مجلس تأديب ولا من هيئة عسكرية أتينا بهذا نلفت نظر سعادتكم الى ما يعانونه من عدة شهور من أحوال البؤساء والعناء . وهى أحوال فى حد ذاتها عقاب زاجر . لهذا نلتمس من مراحمكم الصفح عنهم ورجوعهم الى مراكزهم . وهذا ونحن لم نزل خدامكم الطائعين الخ . . » .

ومع ان لهجة هذا الاسترحام الرقيقة لم تخدع أحدا منهم إلا أن

أمينا باشا ابتغاء حفظ كرامته جارى الثائرين فى عبثهم وأجاب بأنه مراعاة لوساطتهم صفح عن عبد الوهاب افندى طلعت و احمد افندى محمود ورفاقهما وأمر بارجاعهم الى وظائفهم .

تقليب وجوه النظر فى خلاصهم

وجال بخاطر فيتا حسان ان كازاتى يستطيع ان يفيدهم نظرا لطول المدة التى أقامها فى مديرية خط الاستواء وخبرته بناسها . ولما كان أمين باشا لم يشأ أن يستدعيه أخذ فيتا حسان على عهدته أن يبلغه كافة هذه الحوادث ويستقدمه . فقال له الباشا إنه لا فائدة من وراء مجىء كازاتى وانه لن يأتى . غير أن فيتا حسان كان عارفا بما انطوى عليه كازاتى من البسالة والاقدام وشرف المبدأ . وكان يعتقد انه بمجرد ما يصل اليه خبر ما حل بهم من البلايا والرزايا لا بد أن يبادر ويبذل كل ما فى وسعه فى سبيل انقاذهم . ومع ذلك فقد التزم لعدم سفر البواخر كلية ان ينتظر فرصة اخرى ليرسل اليه خطابا .

وقال أمين باشا ذات ليلة لفيتا حسان ان جنديا يقال له سرور أتى من جهة البحيرة وأخبر بوصول استانلى وانه سر لهذا الخبر لان معناه وضع الحد النهائى لمدة أسرهم . وانه لهذا السبب بادر بابلاغه هذا الخبر . ولسوء الحظ كان خبر هذا القدوم لا نصيب له من الصحة اذ ان استانلى ما كان ليرجع الا بعد خمسة أشهر . ومع هذا فقد باحث جفسن أمينا باشا بحثا مستوفيا فى الخطة التى ربما يقبل استانلى العمل على تنفيذها ابتغاء خلاصهم . فقال انه يريد أن يتوجه الى استانلى مع كافة كبار الضباط ويبلغه كل ما حدث وان يبدأ بالقبض على الضباط ثم يأتى

بعد ذلك الى دوفيليه بالبواخر وينزل فى ضفة النهر الشرقية مقابل دوفيليه ويحتم على الثائرين اطلاق سراح أمين باشا وفيتا حسان وحواش افندى . فاذا امتنعوا عن اجابة الطلب يهاجم دوفيليه وينهى المسألة هو ورجاله بمدافعه الرشاشة من طراز مكسيم فى دقائق معدودة .

واستولى الحماس على جفسن وأمين باشا وخال كلاهما ان يوم الخلاص أصبح قاب قوسين أو ادنى . أما فيتا حسان فيقول انه كان ينظر الى هذه الخطة التى كان يستحيل تنفيذها بوجه من الوجوه مبتسما . فلاحظ أمين باشا منه ذلك وسأله عما اذا كان هو على غير رأيهم . فأجابه فيتا حسان بأنه بلا شك غير متفق معهم فى الرأى وما ذلك إلا لأن استانلى لم يصل حتى الآن إذ انه قال عند سفره انه يتوقع أن لا يرجع من رحلته قبل خمسة أو ستة أشهر وها نحن والحالة هذه لم يكد ينقضى الا نصف هذه المدة ولا بد لنا فوق ذلك من عمل حساب للطوارىء وما عساه أن يقع بعد هذا أو ذاك من الحدثان . ولنفرض لحظة انه وصل بل نفرض اكثر من ذلك فنقول انه صار أمامنا على الضفة المقابلة لنا وانه أرسل انذارا نهائيا للعصاة . ولكن ألا يرون هلاكهم من خلال هذا الانذار ويفتح أعينهم القبض على رفاقهم . ان من شيم السودانيين العناد فهم يرفضون اطلاق سراحنا وعندما يدوى صوت أول مدفع فى الفضاء يغيرون علينا وينتقمون منا .

وعندما سمع أمين باشا ذلك ساورته الافكار . أما جفسن فاقتصر على اجابة فيتا حسان وهو ممتلىء حماسة لخطته بأن استانلى من أعاظم القواد ويعمل بحسب وحى أفكاره . فقال له فيتا حسان ليكن قائدا ماهرا بل

أكبر مارشال فى العالم فهو لا يستطيع أن يقينا من أشأم الخواتيم اذا تحولت الحوادث هذا التحول وانقلبت هذا الانقلاب وان الطريقة المثلى هى استعمال الحيلة وان كانت هذه الوسيلة ربما لا تنجح أيضا فى انقاذنا لأن الثوار ليسوا أطفالا .

تشكك الثوار فى حقيقة أمر استانلى

ووجه الثوار الى الأونباشي وجندي جفسن وابلا من الأسئلة المتناقضة ليتبينوا اذا كان استانلى أتى حقا من قبل مصر . وكلفوهم بالقيام بجملة تمرينات عسكرية . ولما سئلوا عن مجرى الحوادث الجارية فى مصر ما استطاعوا أن يأتوا باجوبة شافية الأمر الذى لا عجب منه لأنهم لا يخرجون عن كونهم عساكر سودانيين إلا أنهم حتى فى التمرينات العسكرية أظهروا العجز وعدم الكفاءة فكان ذلك داعيا لتقوية ظنون الثائرين وحملهم على الاعتقاد بأن استانلى لم يك آتيا بالفعل من قبل مصر .

استدعاء فضل المولى افندى للضباط لعقد مجلس

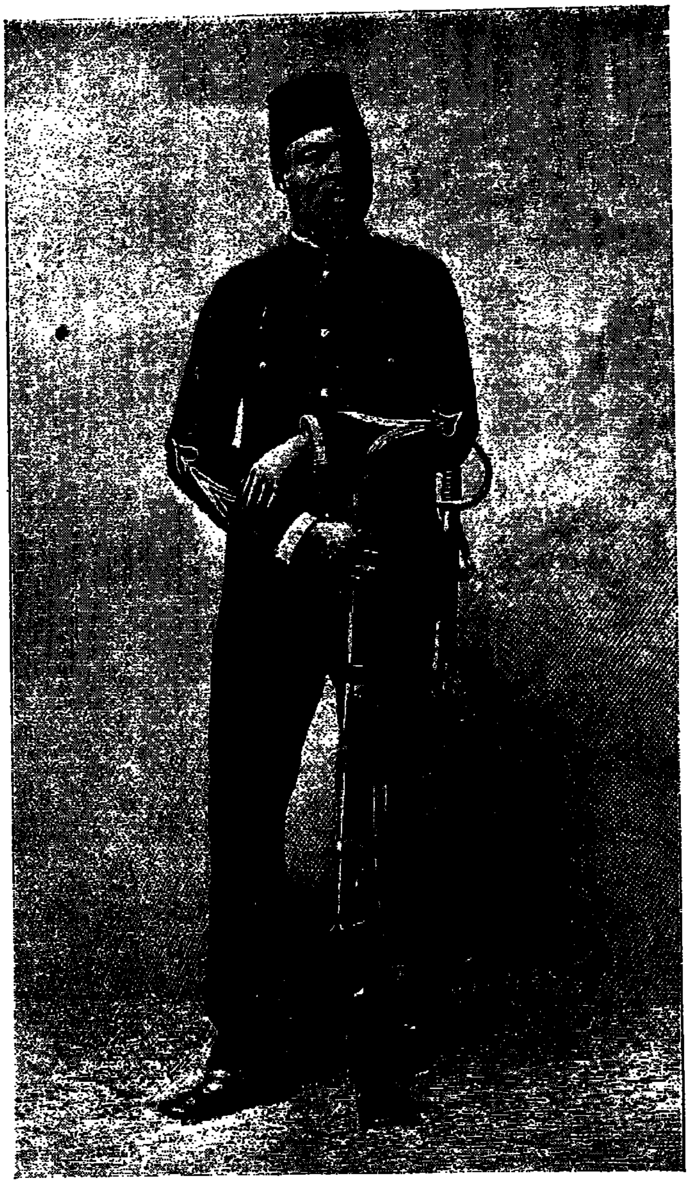
وفى ٣٠ أغسطس أى بعد عشرة أيام من مجيء أمين باشا ورفاقه الى دوفيليه قدم ضباط الأورطة الأولى بناء على استدعاء فضل المولى افندى . وهؤلاء الضباط هم اليوزباشية على افندى جابور قائد مكراكا و بلال افندى الدنكاوى قائد بيدن و بخيت افندى برغوت قائد كري و سرور افندى قائد لابوريه و عبد الله افندى منزل قائد موجى و الملازمون الأول الشيخ بخيت (أمين مستودع موجى) و على افندى شمروخ

(أمين مستودع الرجـــاف) و حسين افندى محمـد من خور أيو و فرج افندى الدنكاوى من لادو و حسن افنـدى بريه من الرجاف وكان معهم خمسون جنديا .

ووجه هـــؤلاء الضباط الى الجنوب لمقابلة استانلى وليستدعوا رفاقهم الذين فى محطـــات وادلاى و تونجـورو و مسوه لحضـــور المجلس المزمع انعقاده . وكـان سفــــرهم مع جفسن إذ أن هـذا كان يريد مقـابلة رئيسه استانلى .

تفتيش الثوار منزلى فيتا حسان و أمين باشا

وانتهز فيتـا حسان فرصـة سفر البواخـــر ليلتمس من جفسن ان يحمل خطابا منه الى كازاتى . وبما أن جفسن طلب من فيتا حسان أن يسمح له بالنزول فى داره فى مسوه فقد كتب الى خادمه عنبر أن يقوم بخدمته كما لو كان هـو نفسه . وحـــل جفسن بتلك الدار وبـذا استطـاع أن يحضر تفتيشهـا وكان هـذا التفتيش بناء على أمر صادر من ثوار دوفيليـه نظرا لتشككهم فى وجود مستندات يمكن الارتكان اليها فى اتهـــام الباشـا و فيتا حسان . ولكنهم لم يعثروا عـلى شىء من ذلك لأن فيتا حسان كان يحمـل دواما أوراقه وجريدته ومذكراته اليوميـة معـــه وكان لا يتركها تفارقه قط . وكانوا يظنون أن يجدوا لديه بضائع أو أشياء من متعلقات الحكومة لا سيما الـ ١٤٫٠٠٠ المـــود الكبريت المشئومة التى سببت هـلاك محمد برى المسكين والتى كانت محفوظة لدى أمين باشا فى وادلاى منذ أحضرها ذلك التعس .



شكرى أفندى قومندان محطة مسوه

وبما ان استانلى لم يكن قد وصل بعد فقد عاد الثوار الى دوفيليه مع كازاتى و عبد الوهاب افندى طلعت واحمد افندى رائف وسليمان افندى سودان وآخرين واحضروا معهم الـ ٣٤ صندوق الذخيرة التى احضرها استانلى وسلمها . وفتش الثائرون منزل أمين باشا فى وادلاى تفتيشا دقيقا ولكنهم لم يعثروا فيه على شئ اللهم الا على بعض وريقات لا قيمة لها . وأبى شكرى افندى قائد مسوه أن يتتبع خطوات المتمردين ويحذو حذوهم اذ أن هذا القائد كان من اطيب ضباط المديرية وأحسنهم ولذا امتنع عن الاشتراك فى أعمال رفاقه السافلة .

وبحال وصول الباخرة الى دوفيليه ذهب جفسن لمقابلة أمين باشا و فيتا حسان . أما كازاتى فانطلق الى فضل المولى افندى وزاره بادىء ذى بدء . ولاح على أمين باشا عدم الارتياح من هذا السلوك غير انه بعد ان تروى فى ذلك تبدى له ان ما عمله كازاتى مبنى على التروى والحكمة اذ كان من اللازم التزلف للثوار وارضاء عواطفهم حتى يتيسر الاتصال بهم بسهولة وبدون أن توقظ فى نفوسهم عوامل الحذر .

وقابل فضل المولى افندى كازاتى بغاية اللطف والبشاشة ووعده كما وعد جفسن قبله بأن يظل مطلق السراح لكونه ضيفا وأن يكون حرا فى أعماله . وحضر بعد ذلك كازاتى رأسا عند أمين باشا وعانقه حتى كأنه لم يحدث بينهما شيء .

محاكمة الثوار لأمين باشا و حواش افندى

ولما كان عدد ضباط الاورطتين وموظفى المديرية أوشك أن يكتمل فى

دوفيليه فقد عقد المجلس جلساته فى ٢٤ سبتمبر لمحاكمة أمين باشا ومحازبيه . وحضر كازاتى المداولة بناء على طلب الثوار .

ونظروا بادىء ذى بدء قضية أمين باشا . وبعد جدال عنيف تقرر ان يكتب اليه بطلب تعيين لجنة تحقيق للنظر فى جميع الشكاوى . ولما كان كتبة المديرية قد نشروا تقريرا ذكروا فيه ان أمينا باشا كتب الى مصر بأن كافة الضباط السودانيين اندسوا فى غمار الثورة دعت الحالة الى استحضار دفاتر صور الخطابات الخاصة بأمين باشا . وبعد فحصها اتضح أن الأمر بعكس ما أذاعوه فى تقريرهم .

وقدم الكتبة الطيب افندى ومصطفى افندى احمد وصبرى افندى التماسا للمجلس طلبوا فيه اقالة أمين باشا من منصبه وتلوا عريضة اتهام طويلة ضده وهذه العريضة حرروها بلا نزاع بالاتفاق مع فضل المولى افندى . وبعد مناقشة طويلة قرر المجلس اقالة أمين باشا وتعيين حامد افندى بدلا منه بصفة مدير خط الاستواء وترقيته الى رتبة قائمقام وتعيين عبد الوهاب افندى طلعت قائدا للأورطة الاولى مكانه ومنحه درجة بكباشى .

وتلا ذلك نظر قضية حواش افندى وكانوا قد اتفقوا سلفا على مصيره . ولذا تقرر عزله من وظيفته بدون مناقشة . وهكذا صار فى قدرتهم الانتقام من ذلك الذى كان قابضا على ناصيتهم زمنا طويلا بيده الحديدية . وان هو الا ان صدر هذا القرار حتى ذهبوا للاتيان به من داره ووضعوه أمامها وأقاموا عليه حرسا شديدا . واضطر أن يرى بعينى رأسه كيف صودرت رياشه وانعامه وسائر ممتلكاته فلم يتركوا له حتى قميصا ولم يستطع أن يدخل الى عقر داره الا بعد نهب كل ما كان

فى حوزته .

وأخذ حواش افندى ذلك الذى أبلى بلاء حسنا فى مواقع ممبتو المريعة وأظهر شمما وهمة عالية فى مواقف اخرى حرجة ، يبكى الآن من شدة ما اعتراه من الغيظ عندما رأى ثمرة جده وكل اتعابه تلاشت وذهبت ادراج الرياح . وردت الى حواش افندى جملة أشياء من ممتلكاته بهمة حامد افندى الذى ارتقى رغم ارادته الى رياسة الحكومة الجديدة . ومنح سليم افندى مطر رتبة بكباشى وعين قائدا للاورطة الثانية .

وكان عثمان افندى لطيف يرسل سرا الى أمين باشا ورفاقه بيانات بسير الحوادث وتطوراتها . ومن جهة اخرى كان كبار الضباط يجتمعون احيانا تحت الجميزات الاربع القائمة فى وسط الميدان الواقع بين البيت النازلين به وبيت حواش افندى ويجادل بعضهم بعضا بشدة لدرجة يستطيع معها المسجونون أن يسمعوا كل ما يدبرونه فى امرهم . واقترح بعض الضباط فى جلسة من تلك الجلسات الخلوية ابقاء أمين باشا فى مركزه وضم لجنة اليه مؤلفة من ستة ضباط . وهذه اللجنة تقرر برياسته باغلبية الاصوات كل أمر يختص بالمديرية .

واحتج عبد الوهاب افندى طلعت بشدة على هذا الاقتراح صائحا : « ما ذا تخشون . نحن لا نمس الباشا بسوء وينبغى أن يظل دائما فى داره محترما وأن نقدم له جميع لوازمه ولكن لا يجب أن يبقى بعد الآن على رأس المديرية . نحن لا نريد أن نرهقه عسرا ولكننا لا نريد كذلك أن يكون حاكما علينا » .

وكان عبد الوهاب افندى ضابطا من ضباط العرابيين وأبعد الى السودان . ومن وقت أن وصل الى المديرية حاول بكل وسيلة اضعاف سلطة المدير .وكان ذات يوم قد حرر التماسا يطلب فيه عزل أمين باشا . ولما شرع فى عرضه فى السر على الموظفين والجنود للتوقيع عليه عنفه القاضى الحاج عثمان تعنيفا شديدا لدرجة انه آثر بعد ذلك أن يلتزم جانب الهدوء والسكينة ولكنه كان دواما يعترض الحكومة حتى بلغ من امره أنه لا يحدث شيء يخل بالنظام الا وله حتما ضلع فيه .

وعرض فى المساء على جمعية فى دار عبد الوهاب افندى نفس الفكرة المتقدم ذكرها وهى ضم ستة ضباط الى أمين باشا فقبلت باجماع الآراء بناء على الايضاحات التى ابداها فضل المولى افندى ..وكتب عثمان افندى لطيف بذلك للمسجونين وكذلك فعل عارف افندى نديم وبذا علموا ما تقرر فى شأن مصيرهم فى نفس المساء . وما كادوا يتنفسون الصعداء حتى نمى اليهم فى اليوم التالى انه حدث أن على افندى جابور رغما عن موافقته فى العشية جمع فى داره بعض رفاقه وبث فى قلوبهم الخوف والرعب بان وصف لهم ما سيحيق بهم من البلايا والرزايا من جراء سخط الباشا اذا ظل قابضا على زمام الاحكام حتى انه انتزع منهم وثيقة موقعا عليها من ٧٢ شخصا تحتم خلع أمين باشا من وظيفته على أن ثلاثة ارباع الموقعين وقعوها بدون أن يدروا شيئا من مضمونها . وعرضت تلك الوثيقة على المجلس فى اليوم التالى فاضطر بعض من الضباط الذين كانوا لم يزالوا مواليين للباشا أن يوافقوا على ما شاءته الاغلبية .

وأول عمل قام به المدير الجديد هو التوقيع على أمر خلع أمين باشا

و حواش افنـدى و فيتا حسان غير انه تعذر عليهم تنفيـذ فصل هـذا الاخير لعدم اهتداء الثوار الى ايجاد من يفوض اليه القيام بأعمال الصيدلية والمستشفى . وكان قرارا عزل أمين باشا وحواش افنـدى مكتوبين بعبارات متقاربة ومؤرخين بتاريخ واحـد أى أن كليهما مؤرخ فى ٢٧ سبتمبر . وهـذا هو قرار عزل الباشا :

الى حضرة صاحب السعادة محمد أمين باشا .

« ايماء للشكاوى المتقدمـة فى حقكم للمجلس ونظرا لاشتراككم مع حواش افنـدى فى تدبير تسفير موظفى المديرية الملكيين والجنـود مع حملة استانلى فى اتجاه الجنوب تقرر فصلكم الى أن يتم البت فى هذه الشكاوى . وسنحيطكم علما بنتيجة التحقيق عند اتمامه . وحررنا لكم هـذا حتى تسووا ما لديكم من الاعمال . واذا كان لديكم بعض مستندات تهم المديرية فحرروا بها كشفا وأرسلوها الينا » .

رئيس مصلحة خط الاستواء

« حامد محمد »

* * *

ومنح الثائرون انفسهم رتبا أخرى غـير التى سبق ذكرها . فأخذ اليوزباشى على افندى جابور رتبـة صاغ والجاويش حمد شاويش رتبة ضابط هذا عدا ترقيات جمة بين الضباط والجنود . وأبى فضل المولى افنـدى محرك الثورة وروحها كل الاباء ان يقبل اية ترقية جديدة وقال انه لم يدر بخـلده

الحصول على فائدة شخصية من وراء الثورة وان همه الوحيد ايجاد نظام للمديرية أحسن وأوفى والضرب على ايدى استبداد حواش افندى وخصوصا منع السفر مع استانلى والحيلولة دون عواقبه المشئومة .

ولم يحرم المستخدمون الملكيون من نصيبهم فى الغنيمة ونال الجانب الأكبر منهم علاوات بحسب أهمية مراكزهم . أما حامد افندى فكان تعيينه رئيسا للمديرية على غير رغبته وقبل وظيفته الجديدة وهو شبه مكره . إذ ان هذه الحكومة كانت مقدمة لتولى السلطة العسكرية الحكم وكانت النية معقودة على إيجاد حاكم عسكرى . ولما كان أرقى الضباط رتبة فى خط الاستواء هما البكباشيان حامد أفندى و حواش افندى وكان بحكم الطبع لا يمكن الكلام بشأن هذا الأخير وهو أول ضحايا الثورة فلم يبق سوى حامد افندى وهذا اضطر رغم أنفه أن يأخذ على عاتقه عبء قيادة الثوار وهو عالم بثقله وان يحكم بلدا تدهور فى لجج الفوضى . وعندما هنأه كازاتى بمنصبه الجديد قال :

« أخشى كثيرا أن نكون قد ضيعنا كل شيء . ان السمكة اذا قطع رأسها تنتن . فاذا كان أمين باشا مع توليه حكم هؤلاء الناس منذ اثنى عشر عاما عجز عن إخضاعهم ولم يجد له من نفسهم شفيعا فكيف أنجح أنا فى قيادتهم » .

وسلك أمين باشا مسلكا يليق بمنزلته ولم يدع الحيرة تتطرق الى نفسه ولم يقم بعمل يقصد به استرجاع سلطته . ووضع كل آماله فى الزمن والزمن حلال المشاكل . وكان لا يود أن يتغلب على تصاريف الحوادث بل اتبع سياسة التربص . وأشار عليه فيتا حسان فى أول يوم أن يقدم

على عمـــل وذلك بأن يخرج فجـــأة أمام الجنـود ويحاول بيسالته إرجاعهم لطاعته . وبعد وقت أشار عليه كازاتى بنفس هـــذه المشورة . غير ان أمينا باشا أجاب بأن الزمن وحده كفيل بعلاج كل هذه الأحوال وان واحدا من الحادثين المنتظر حصولهما وهما قدوم المهديين أو وصول استانلى يكفى لتغيير وجه الحالة . وانه يبدو له ان هذين الأمرين وشيكا الوقوع . وكان يظهر فعلا ان الزمن سيحقق ما ارتآه .

وكان رؤساء الحكومة الجدد شغلهم الشاغل دواما المسجونين على ان تصريف أشغال الحكومة العادية كان لا يدع لهم وقتا للراحة . وكان كازاتى ملازما دائما لهم ويشترك معهم فى المناقشة والجـــدال ويغلظ لهم القول لا سيما عندما يتخذون قرارا ضد المسجونين . وهكذا جر على نفسه سخط على افندى جابور وجماعته . وأذيع ذات يوم أن هـذا ينوى القبض عليه والقاءه فى السجن ونظرا لكونه لبث متغيبا زمنا طويلا زيادة عن الزمن المعتاد جزع المسجونون لذلك جزعا شديدا .

ولما نمى الخبر الى كازاتى ذهب هو نفسه عند على جـــابور ورجع بعد ساعة يجـــر خلفه خروفا . وذلك ان هـــذا الأخير داخله الخوف لما رآه من ثبات ورباطة جأش كازاتى وأكد بأنه لم يخطر بباله قط مثل هـذه النية وأهدى اليه خروفا .

وأصدرت الحكومة الثائرة أمرا الى جماعة من الضباط بتفتيش منزل أمـــين باشا فى وادلاى ومنزل فيتا حسان فى مسوه وعلى ذلك سافرت الباخرة الخديو فى ٦ أكتوبر وعلى ظهرها كودى افندى و عوض افندى و احمد افندى محمود و الطيب افندى و صبرى افندى لتأدية هـــذه المأمورية

ورافقهم فى هـذه الرحلة كازاتى ليحضر التفتيش وليدعو الضباط ان يلازموا جانب الاعتدال فى تأدية مأموريتهم .

وأبلغ عثمان افندى لطيف ذات يوم أمينا باشا أن لجنة التحقيق قررت استجوابه . وحضر فعلا القضاة المحققون فى نفس اليوم غير انهم ما كادوا يلفظون بعض كلمات حتى قاطع الباشا كلامهم قائلا إنه لا يجاوب إلا اشخاصا يعلونه فى الرتبة .

ورغب أمين باشا فى خلال سجنهم له ان يكتب وصيته فأحضر لهـذا الغرض الضابطين مصطفى افندى العجمى وفرج افنـدى الجوك واحضر كذلك إمام الاورطة الثانيـة بصفة قاض والاثنين الاولين بصفة شهود وأمر بتحرير اشهاد شرعى وعين ابنته فريدة بصفة موصى لها بجميع ممتلكاته وان يكون الوصى سمو الخديو توفيق وعينه منفذا للوصية وكازاتى وصيا مؤقتا وذلك لغاية أن تصل ابنته الى القاهرة . وفى اليوم نفسه أعتق جميع ارقائه من رجال ونساء .

وكانت التحقيقات فى اثناء ذلك آخـذة مجراها . وتقدمت فى حق أمين باشا و حواش افندى شكاوى جمة كلها سخيفة ومضحكة الا انهم لم يجدوا شيئا يوجب الشكوى من فيتا حسان . وفى ذات يوم ادعى ضابط انه يدين هـذا الاخير بمبلغ ٤٥ ريالا ومع أن المطالبة كانت على غير اساس فقد دفع فيتا حسان هذه القيمة بناء على مشورة كازاتى حسما للمشاكل . وفى مرة اخرى استدعى امام المجلس ليجاوب على تهمة وجهت اليه فحواها انه خبأ بمنزله زنجية من الرقيق لحواش افندى فأجاب أن فتشوا بيتى لتتحققوا من وجود هذه الزنجية أو عدم وجودها .

قدوم أتباع المهدى الى لادو وتحول مجرى الأمور لدى الثوار

وكان يوجد من بين الشكاوى الموجهة الى أمين باشا شكوى يرجع تاريخها الى أوائل المدة التى قبض عليهم فيها . ذلك ان واحدا من الثائرين وهو كاتب يقال له ميخائيل افندى عوض أصيب بجرح فى صدره وهذا الجرح ازدادت حالته سوءا وعند ذلك فقط استدعى الباشا لمعالجته ولكن الطب لم يستطع أن يمد فى أجل المجروح غير يومين . وعلى ذلك اتهم الباشا بتجريعه السم على اساس محضر مستوف الشروط . وبعد أن انتهى التحقيق أمرت حكومة دوفيليه مستندة الى التقرير بنفى المسجونين وذلك بنقل أمين باشا الى الرجاف وحواش افندى الى كري و فيتا حسان الى مكراكا . غير أن خبر وصول الدراويش حول اهتمام الثائرين الى اتجاه آخر وحال دون تنفيذ الحكم مؤقتا .

ففى ١٥ اكتوبر قدم بغتة جندى من المحطات الشمالية مسرعا ومعه خطاب ينبىء بوصول ثلاث بواخر تجر تسعة مراكب كبيرة الى محطة لادو التى أخليت من مدة طويلة . وهذه البواخر الثلاث والمراكب التسعة محملة كلها بالرجال . وسافر ذلك الجندى ليلا ونهارا الى أن بلغ دوفيليه لكى يوصل الخبر سريعا . وظن بعض الناس أولا أن هذه السفن لا بد أن تكون للحكومة المصرية . ولكن هذا الظن ما لبث أن تبدد بقدوم رسول آخر من الرجاف فقد قال هذا الرسول انه عندما ورد هذا الخبر سافر ضابط و ٥٠ جنديا من المحطة لاستكشاف الحالة واستطلاع طلع أولئك الناس ثم قفلوا راجعين بعد أن تحققوا أن القادمين هم من أتباع المهدى . وقال الرسول أيضا ان ثلاثة دراويش

قادمون فى الطريق الى دوفيليـــه ومعهم خطاب (١) لأمين باشا من عمر صالح قائد الحمـــلة مؤرخ فى ٦ صفر سنة ١٣٠٦ ﻫ (١٢ اكتوبر سنة ١٨٨٨ م) .

خطاب عمر صالح عامل المهدى الى أمين باشا

وفى ١٧ اكتوبر وصل الى دوفيليه فعلا الثلاثة الدراويش ومعهم حرس والخطاب المذكور وهذا نصه وقد اثبتناه كما هو بأخطائه فى الرسم واللغة :—

« وبعد فمن عبد ربه عمر صالح عامل المهدى عليـــه السلام وقايد سريت (٢) خط الاستوى الى المكرم محمد أمين مدير خط الاستوى وفقه الله لطريقه الهداية آمين .

بعد السلام نعلمك أن الدنيا دار زوال وارتحـــال . وكل ما فيها ذاهب كانه لم يكون .ولا ينفع العبد منها الا ما قدمه لآخـــرته . واذا اراد الله بعبده خيرا اسطفاه لنفسه ووفقـــه لجميع أموره وألهمه الحق فى جميع سره وجهره . ولا يصدر منـــه قول ولا فعل الا ويكون موافقا للصواب . وان الله هو القـــاهر فوق عباده وبيده مفاتيح كل شىء . ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ولا ينجو منـــه ناج ولا هارج . والخير والشر بيده والملك ملكه يأتيه لمن يشاء واذا قضى أمرا فان نما

---

(١) — نقلنا هذا الخطاب بنصه العربى من كتاب « التمرد في خط الاستواء » لمستر جفسن أحد أعضاء حملة استانلى وقد نقله له من نسخته الأصليه عبد الرحمن افندى رحمى ابن عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء وكان مع والده فى ذلك الوقت بهذه المديرية وسيرى القارىء فى هذا الكتاب أخطاء كثيرة ولا ندرى أهى من الاصل أم من الناقل وقد نبهنا على بعضها وتركنا البعض الآخر لفطنة القارىء . (٢) أى سرية خط الاستواء .

يقول له كون فيكون . وبما انك من ذو (١) الفهم السديد والرأى المفيد . ومظنون عندنا بكل الخير وعليا بلغنا من بعض اصدقايك الذين يفهمونا حالك وأحوالك كمثل الحبيب عثمان ارباب مندوبكم الذى حضر معنا الان وغيره . ان سيرك مع الناس حسن وتحب الحق فلذالك اردنا ان نوضح لك بعض حالنا وما نحن عليه لأن الناس كلهم لا يخلو من الضضديات (٢) ولا يقولون الحق ولو على انفسهم ولربما يجحدوه (٣) فانا جند الله لا يقاومنا احد لقوله تعالى وان جندنا له (٤) الغالبون . وحسب الامام محمد المهدى بنى (٥) عبد الله عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وعد به سيد الوجود بقوله يخرج من عطرتى (٦) رجل فى آخر الزمان يملو الأرض قسطا وعدلا كما مليت (٧) جورا وظلما . وان قيامنا هذا هو بامره ولا يريد به جاها ولا مالا الا السواب (٨) فى دار المأب . وقد بعنا له ارواحنا واموالنا واولادنا فى سبيل الله فاشتراه الله منا بقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلونا ويقتلونا وعدا عليه حقا فى التورات والانجيل والقران ومن اوفا بعهده من الله فاستبشروا بيعكم الذى بايعتوا به ذالك هو الفوز العظيم (٩) . وقد اظهره الله تعالى بين اظهرنا فى شهر رمضان سنة ١٢٩٨ وبشره صلى الله عليه وسلم

---

(١) ـ أى ذوى الفهم . (٢) أي لا يخلون من الضديات . (٣) الصواب يجحدونه . (٤) الصواب لهم . (٥) أى ابن عبد الله . (٦) أى عترتى . (٧) أي يملأ كما ملئت . (٨) أى الثواب . (٩) صحة الآية : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

بانه هو المهـــدى المنتظر وأجلسه على كرسيه وأقـــلده بسيف النصر فى الحضرتين وبشره بأن جميع من يعاديه كافر بالله ورسوله ويخـــذل فى الدارين وماله وأولاده غنيمـــة للمسلمين ومنصور على جميـــع من يعاديه ولو الثقلين . وبشره ان من بادءه بالعـــداوة ياخـــذه الله ايما بالخسف وايما (١) بالغرق وأيده الله بالملايكة والأوليه (٢) من لدن آدم الى يومنا هذا والجن الانس . وله راية يحملهـــا عزرايل عليه السلام . ويقـــدم رايته النصرى (٣) أربعين ميـــلا وكثيرا من البشارات التى لا يحصا عددها . فصدع بالأمر وظهر كالشمس فى رابعة النهار الذى (٤) لا ينكر ضواها (٥) الا علي خفـــاش ينكر الحق ودعي الخلـــق الى الله ورسوله بأمر الله ورسوله وأمرهم بالهجرة اليهم وبمحـــاربة من أعداه (٦) بأى جهة كانت . وخاطب فى وقتهـــا الحكمدارية وباقى مـــديريات السودان وبلغ الأمر منتهاه وخاطب كافت الملوك وخصوصا سلطان اسلانبول عبد الحميد و محمـــد توفيق والى مصر و فكتوريه ملكت برطانيه كونها توسطه بالمحاربة (٧) مع الحكومة المصرية فاتوه النـــاس أفواجا أفواجا يهرعون اليه من جانب وبايعوه وصفة بيعتـــه : بايعنا الله ورسوله وبايعنـــاك على توحيد الله . ولا نشرك بالله شيئا . ولا نسرق . ولا نزنى . ولا نأتى ببهتـــان . ولا نعصيـــك فى معروف . بايعناك على زهـــد الدنيا وتركها . والرضى بماضى الله . ولا نفر من الجهـــاد . وانتهى . فوجدنـــاه أشفق علينا من الوالدة الشفوقة . ويوقر كبيرنا . ويرحم صغيرنـــا . ويألف أهل الشرف . ويكرم أهل الفضل . ويمـــزح ولا يقول الا الحـــق .

---

(١) - أى إما وإما . (٢) أى الأولياء . (٣) صوابه النصر . (٤) صوابه التى . (٥) أى ضوءها . (٦) الصواب أمرهم بالهجرة اليه . أو اليها . وبمحاربة من عاداه (٧) أى توسطت .

ودل الخلـــق الى الله . وفــــدهم فى الدنيا . وشـوقهم الى الاخــــره . وحكم فينا على الكتاب والسنه . وطرح جميع اقـــوال الفقهه والمذاهب والمسلمين كلهم صاروا اخواننا . وعلى الخير اعواننا . وصاروا يقفوا اسر (١) رسول الله صلى الله عليــــه وسلم ويشبهه فى الخلق والخلق كما قال صلى الله عليه وسلم يشبهنى فى الخلق والخلق وبشره ايضا بان زمنه منــــدرج بزمنه . واصحابه كاصحابه والعام منهم له مرتبــــة عند الله كعبد القادر الجيـــلى فتبعه وصدق بمهديتـه من ختم الله له بالسعادة فى الدارين وخالفه وجحد مهديته من كفر بالله ورسوله كاخبار النبى له بذالك . فجميع الترك الذين حاربوه بالسودان بعد تكرار الانذارات وحصول الكرامات وخوارق العادات التى حصلة فى زمنـــه وشاهدوه بالعيان قد خذلهم الله . وقتلوا على يد اصحابه اشر قتـــلا . واول جرده توجه فى رأسها ابو السعود بيك بوابور منذ كان بأبا وهو فى ضعف شـــديد فقتلهم الله الى آخرهم ثم أمره رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بالهجره الى ما شا بقدير ففعل فلحقه راشد ايمن مدير فشوده وما معه من الجموع . ثم بعدها يوسف باشا الشلالي و محمد بيك سليمان الشايقى وعبد الله ولد دفع الله من تجار كوردفان بجرده اخره بقوة كافية فقتلهم الله . ثم وجرده الهكس احـــد الرجال المشاهير وعلاء الدين باشا الحكمدار وكثير من الضابطان ومعهم جيش عرمرم بألوف من أجناس شته (٢) فى عـدد وعدد ومدافع كرب لا يعلم عـــددها الا الله فقتلوا فى أقل من ساعة وسار يفتح حصونهم حصنا بعد حصنا (٣) لغاية الخرطـــوم الذى هو مركز الحكمدارية ومحل المدد والعدد وبين مرج البحرين فقتل من داخله غوردون باشا وما معه (٤) من القناصل كهزل

(١) ـ الصواب وصار يقفو أثر (٢) أى شتى (٣) الصواب حصنا بعد حصن (٤) ومن معه .

و نقـوله لونديزى الرومى و عـاذر القبطى وغيرهم من النصارا وكثيرا من المسلمين المخالفين كفرج باشا الزينى ومحمـــد باشـا حسن وبخيت بطرا كى و احمد بيك على جلاب . وكل مقتولا منهم (١) تأكله النار فى الحـــال . وكلما (٢) يقتل على يد اصحاب المهدى تأكله النـــار . وهذه أكبر معجزة وأعظم آية فى تعجيل العقوبة فى الدنيـــا قبل الآخره . واعجبه من ذالك آية اخره (٣) أن ارماح اصحاب المهـــدى جميعها تلمع الأنوار فى رأسها وتهلل بفصيح اللسان كما شوهد بالاعيان (٤) . وليس بعد الاعيان (٥) بيان . وهكذا واقعه بعد واقعه بسواكن ودنقله حتى قتـل الجنرال استورت باشا وكيل الحكمدارية وما معه (٦) من القناصل بوادى قمر . واستورت الثانى بابى طليـح الذى كان حضر لذمـة أخـــذ غوردون باشـا بجيش انجليزى فقتلوا ورده الله جيش (٧) خائبا . وجميع السودان وما معهم (٨) صاروا فى سلك المهدية . وسلموا الأمر للامام المهـــدى فسلموا بمالهم وعيالهم وجناهم وصاروا من أصحابه ومن خالف قتله الله وأمواله واولاده غنيمه للمسلمين . والان جيـوش المهديه محاصرة لأرض مصر بجهـــة وادى حلفـه بالحبيب ولد النجومى . وجهـــة ابو حمد وعتباى بقصاد اقصر ابو الحجـــاج الحبيب عثمان دقنه . وأرض الحبشة فى كفالة الحبيب حمـدان ابوا عنجه . وقـاتلوه فاعانه الله عليهم وقتلهم بما فيهـم مقـدام جيشهم المسمى راس ادرانجى بنفسه . وقتلوا (٩) بعضا من اولاده واسروا (١٠) البعض من نسأه (١١) واولاده . ووصل الى كنيستهم التى ببندر قندر التى من أعظم شعائرهم النصرانية وجهـة دارفور

---

(١) صوابه وكل مقتول . (٢) أى وكل من يقتل . (٣) أى وأعجب من ذلك آية أخرى .
(٤) و (٥) صوابه العيان . (٦) الصواب ومن معه . (٧) الصواب ورده الله وجيشه (٨) أى ومن معهم . (٩) و (١٠) الصواب قتل . وأسر . (١١) أى من نسائه .

وشكا وبحر الغزال الحبيب عثمان ادم ومعـــه كرم الله والزبير الفحل . والارض كلها مملوة (١) من الانصار لجهاد اعدا الله المخالفين للامام المهدى عليه السلام وانهم منصورون بحول الله وقـــوته كما اوعـــدهم الله بذالك بقـوله تعالى يا أيها الذين امنـــوا ان تنصروا الله ينصركم . وقـــوله تعالى حقا علينـا نصر المؤمنين . وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيـــل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٢) . وحيث ان قـد حضرنا بداخل ثلاثة وابورات وصنادل ونقوره مشحونه من حزب الله الانصـــار وتحت قيادتنا مرسولين اليكم منطرف الوسيلة العظما (٣) ووالى أمر المسلمين القـــايم فى نصرة الدين المعتصم برب العالمين خليفة المهدى عليـه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق رضى الله عنـــه . وبأوامره الشريفة التى هى أمر الله ورسوله الواجب طاعتها عليكم كتابا وسنة لك ولمن معك من المسلمين والمسيحيين والمسبوبين بالبشارة . ولما فيـه صلاح حالكم فى الدارين وارشادكم لما يرضى الله ورسوله والعفـو منكم ولمـن معكم من أموالكم وأولادكم لله ورسوله بشرط الانـــابة الى الله . ومرفوق معنا جـوابات بأذن سيادته من بعض اخوانكم الذين يحبونا لكم الخـــير كمثل عبد القادر سلاطين الذى كان مـــدير عموم دارفور . ومحمـــد سعيد الذى كان مسمى سابقا بجورجى اسلانبوليه . واسماعيـل عبـــد الله الذى كان سابقـا مسمى ببولص صليب القبطى . وباقى الاخوان شفقة عليك . وقد فـازوا بصحبت (٤) المهـــدى وخليفته عليـه السلام المذكورين . وفمن هما (٥) اسوتكم لعبد الله لبـــتن الذى كان مـدير بحر الغزال . وابراهيم باشا فـوزى . والنور بيك ابراهيم

(١) أى مملوءة . (٢) صحة الآية إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص . (٣) أى مرسلين اليكم من طرف الوسيلة العظمى . (٤) الصواب وقد فاز بصحبة الخ . . (٥) الصواب ومن هم اسوتكم كعبد الخ . .

مدير سنار . والسيد بيك جمعـــه مدير الفاشر . واسكندر بيك قيمقام اورط كردفان . فتداركم (١) الله بلطفه . والان فى ارغد عيش . وا كمل راحة وعوضهم الله خيرا مما كانوا فيـــه سابقا دنيا واخرا (٢) لصحبتهم للمهدى فى هنيا لهم بذالك وطوبة لهم ثم طوبه (٣) . ولزيادة شفقـــة خليفة المهدى عليه السلام عليك وعلى المسلمين وتحيزكم فى بلاد العبيـــد وانقطاع اخباركم الزمن الطويل وتشتت شملكم زادت شفقتـه عليكم وارسلنا لكم بجيش كما ذكرنا لانقاذكم من دار الكافرين وانضمامكم على اخوانكم المسلمين . فينبغى أن تجبوا (٤) داعى الله بالتلبيـة وتحضر مسرعا لمقابلتنا باى جهـــة كانت حيث اننـــا بالقرب منك لاجل تشريفكم بالاوامر الشريفة وتسليمها اليك بما معها فتجدها مملوءة بالحكمة والموعظا (٥) الحسنة . وتنيل بهـــا (٦) السلامه فى الدارين وتجد بهـــا رضى رب العالمين . وزيادة عليذالك فانا مامورا من الجناب الشريف التى لا تسعها مخالفتـــه باكرامكم ومراعاتكم (٧) . وعنـد المقابـلا معنا ستظفروا بمقصودكم وتكونوا (٨) من رجال الدين حسب اشارة سيد الجميـع . فطب نفسك ولا تكن من المغرضين . حماك الله . وفيهذا كفايه لمن ادركته العناية . وفقنا الله واياك لاتباع مرغوب سيادته وجعلنا واياك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وفى الحقيقة هو الهـــادى الله . ثم ومنضمن ما سرى (٩) خليفة المهدى عليـه السلام حضور جواباتك التى حضرة مع الحبيب عثمان ارباب بالتسليم فقبلها ووقعه (١٠) عنده

---

(١) الصواب فتداركهم (٢) أى وأخرى . (٣) الصواب فهنيئالهم بذلك وطوبى لهم ثم طوبى (٤) الصواب أن تجيبوا (٥) أى مملوءة بالحكمة والموعظة الخ . (٦) الصواب وتنال (٧) الصواب وزيادة على ذلك فأنا مأمور من الجناب الشريف الذى لا تسعنى مخالفته الخ .. (٨) الصواب وعند المقابلة معنا ستظفرون بمقصودكم وتكونون الخ .. (٩) الصواب ومن ضمن ما سر خليفة المهدى الخ ... (١٠) الصواب ووقعت عنده .

موقع الاحسان . ومع هذا وشفقة خليفة المهدى عليكم حضرنا كما ذكرنا بالمتن . بارك الله فيكم وحمد مساعيكم والسلام م؟

٦ صفر سنة ١٣٠٦

* * *

رجوع الثوار الى أمين باشا واستشارتهم له فى أمر المهديين

وقدم الضباط بخيت افندى برغوت و فرج افندى الجوك و عبد الله افندى منزل ليستشيروا أمينا باشا فقال لهم انه أقيل من وظيفته ومسجون وانه على ذلك ليست له أية صفة ليبدى رأيا فى المسائل العامة إذ لم يعد له فيها شأن .

ولقد زعزع قدوم المهديين عقيدة الضباط وخلع قلوبهم خلعا . وفى الحال تألف بين صفوف الثوار حزب ميال للمسجونين وأخذ هؤلاء يحركونه سرا بواسطة البعض من أصدقائهم . وتحادث ابراهيم افندى حليم مع فريق من ضباط الصف والجنود ليقفوا فى سبيل قرار نفيهم والحيلولة دون تسفيرهم اذا أريد تنفيذ هذا القرار . وأقسمت الجنود بأن لا يدعوهم البتة يسفرون الباشا صوب الشمال وذلك لأن اشاعة كانت قد أذيعت مقتضاها انه تقرر اعدام المسجونين فى خور أيو . وكأن الجنود قد عادوا الى صوابهم أمام الخطر المحدق بعديرهم وصرحوا بدون التباس أو تصنع انهم يمانعون فى حدوث جريمة كهذه .

وازداد الحزب الميال للمسجونين قوة فأشار فيتا حسان على الباشا مرة اخرى بأن يخرج أمام الجنود ويوجه اليهم نداء فامتنع قائلا انه وقتما يضايق المهديون الثوار يرجع هؤلاء من تلقاء أنفسهم الى رشدهم ويلتمسون منه أن يتسلم قيادتهم . وأخذ الجنود فعلا يتذمرون ويطلبون بالحاح ولجاجة تفويض أمر قيادتهم للباشا حتى يتيسر النصر على العدو .

ولما رأى حزب الثوار أن فريقا كبيرا من رجاله نأى بجانبه وأعرض عنهم ازداد عتوا وعنادا وقرر ابعاد جميع أولئك الذين يعطفون على المساجين ويوالونهم . وعلى ذلك أبعد ابراهيم افندى حليم الى وادلاى .

وأخذ القلق والهم يتسربان الى نفس جفسن . ففى داخلية المديرية الفوضى ، وخارجها المهديون . والخطر محدق من الناحيتين . هكذا كان الموقف . فطلب جفسن من أمين باشا أن يأذن له بالسفر صوب الجنوب للبحث عن استانلى وقد كان يتمنى سرعة إيابه .

وكان كازاتى وقتئذ غائبا فاذا سافر أيضا جفسن يمسى المسجونون بدون صديق يواسيهم فى شدتهم وعلى ذلك التمس منه أمين باشا أن لا يتركهم وحدهم فعدل عن طلبه .

تعزيز الثوار لحامية الرجاف

وعندما جاء خبر وصول المهديين الى لادو سافر فى الحال القائمقام حامد بك و البكباشى عبد الوهاب افندى طلعت و اليوزباشى سليم افندى خلاف و الملازم فرج افندى الدنكاوى ومعهم ٦٠ جنديا واربعة صناديق ذخيرة للرجاف لتعزيز حاميتها . وقام على أثرهم بعد ثلاثة أيام الصاغ على

افندى جابور و اليوزباشى فرج افندى الجوك و الملازم على افندى شمروخ ومعهم ٦٠ جنديا آخرون و ١٨ صندوق ذخيرة لنفس الجهة ولأجل الغرض ذاته .

استيلاء المهديين على الرجاف

وما كادوا يسافرون حتى جاء فى ٢٩ اكتوبر رسول من دوفيليه يحمل خبر استيلاء المهديين على محطة الرجاف وذبح كافة حاميتها تقريبا وسبى النساء والأولاد وأسر بعض الضباط ومن بين هؤلاء أسرة القائمقام حامد بك . وأبلغ عثمان افندى لطيف هذا الخبر الى أمين باشا بخطاب هذه ترجمته .

ولى نعمتى .

لقد ظهر بجوار الرجاف فى ١٩ أكتوبر فى الساعة الرابعة مساء رجال من الخرطوم وآخرون غيرهم من أتباع الرئيس بافو Befo متظاهرين بأنهم يقصدون نهب ماشية الرئيس لاكو . فبارحت الجنود المحطة ليحولوا دون تنفيذ مرامهم فانتهز رجال الخرطوم سنوح هذه الفرصة ودخلوا المحطة . وبعد أن احتلوها أداروا وجوههم نحو الجنود وقتلوا منهم ثلة كبيرة منها الضباط على افندى العبد و حسن افندى بن بريه والكاتب احمد زنيل . أما رجالنا فتعلقوا بأذيال الفرار وفريق منهم ولى وجهه شطر مكراكا والفريق الآخر لاذ بلابوريه ووقع فى الأسر كافة من لم يستطع السفر من نساء واطفال وخادمات ومن هؤلاء أسرة حامد بك و على افندى جابور و على افندى شمروخ و جادين افندى .

ولاذ بلابوريه أيضا حاميات بيدن و كري و موجى ناجين بحياتهم . والى الآن لم يبد شبح رجال الخرطوم لا فى بيدن ولا فى كري بل ما زالوا فى الرجاف مشغولين باقتسام النساء والاولاد والرقيقات ممن وقع فى سبيهم . وختاما اقبل يديكم ويدى المستر جفسن م؟

عثمان لطيف

محاولة الثوار استرداد الرجاف وفشلهم فى ذلك

وقال حامل هذا الخبر ان الحكومة الوقتية أزمعت ان تحشد جيوش حاميات المحطات الشمالية الممكن الاستغناء عنها لمهاجمة الرجاف ومحاولة استرجاعها .

وفى ٣٠ اكتوبر رجع كازاتى ومن كان معه من الجنوب على الباخرة الخديو بدون أن يجد المندوبون لتفتيش منزل أمين باشا فى وادلاى ومنزل فيتا حسان فى مسوه ، شيئا يوجب الشك أو الريبة رغم ما أبداه أولئك المندوبون من التدقيق فى التفتيش والبحث . وتمكن كازاتى من انقاذ جميع موجودات الباشا اللهم إلا المنسوجات الجديدة التى اعتبرت ملكا للحكومة وحجزت . أما ممتلكات فيتا حسان فصودرت جميعها ولم تأت احتجاجات كازاتى بأية فائدة أو عائدة ولم يدعوا له حتى قطعة نسيج بالية ولا قبضة من الذرة وحملهم الشر الى أن انتزعوا من خادمته السيدة أساورها الفضة .

وبعد انقطاع الأخبار بضعة أيام ورد فى ١٤ نوفمبر الى دوفيليه نبأ بأن

الفرقة التى كانت أرسلت بقيادة القائمقام حامد بك وكبار ضباط الثورة لاسترداد الرجاف انهزمت انهزاما تاما ومع ان قسما من الجنود تمكن من النجاة فقد قتل أغلب الضباط .

كيف هزم المهديون الثوار

وتفيد الأخبار التى وردت أن الأحوال جرت بالكيفية الآتية :

لما استولى المهديون على الرجاف أسرع بالذهاب اليها الضباط الذين فى دوفيليه والذين لهم منازل وأسر بها ومعهم ١٢٠ جنديا من حاميات دوفيليه و خور أيو و موجى و كري و ٢٧٠ رجلا من مكراكا لينقذوا من نجا من المجزرة وينتقموا من رجال المهدى . وكان هؤلاء قد تركوا مراكبهم بجوار الشاطىء وانطلقوا الى الجبال . ولما لم ير الجنود بعد أثرا للعدو ورأوا المراكب مهجورة فاتهم اتخاذ أية حيطة وتشتتوا سواء أكان فى القرية أم فى اتجاه المراكب ظانين انها أضحت غنيمة باردة لهم . وانتهز المهديون هذه الفرصة وسطوا على الرجاف وذبحوا العدد الأكبر من الجنود ومن ضمنهم القائمقام حامد بك و البكباشى عبد الوهاب افندى طلعت و الصاغ على افندى جابور و اليوزباشى سالم افندى خلاف و الملازم فرج افندى الدنكاوى وغيرهم .

تأليف حزب من ضباط دوفيليه
وتقرير فك أسر أمين باشا

وفى اليوم التالى أذيع هذا الخبر فى دوفيليه وشرعت الجنود تتذمر علنا وبصوت جهورى وعزوا الخطأ الى الضباط الذين على رأس الحكومة ولجوا

فى اطلاق سراح المسجونين وحتموا رجوع الباشا الى وظيفته لأنهم لا يثقون إلا به دون سواه فى انقاذ المديرية . وكان الثوار الأشد تمردا قد قتلوا فى واقعة الرجاف وكان الرؤساء الذين ما زالوا فى دوفيليه قد قرروا فى نهاية الأمر تسليم أعنة السلطة الى الباشا .

ومن ناحية اخرى كان قد تكون عدا ذلك حزب من ضباط دوفيليه من مدة ليسعى فى صالح أمين باشا . وارسال بعض هؤلاء الضباط الى وادلاى جعل البعض الآخر يجاهر بما يكنه صدره وما يبطن .

وكان هذا الحزب يتألف من سليم افندى مطر و بخيت افندى برغوت و حسين افندى محمد و سليمان افندى عبد الرحيم وغيرهم . وأخذ سليمان افندى سودان من وقت عودته من فابو يقدح فى المتمردين ويذمهم دواما وبواسطة ضغطه هو و كازاتى على سليم افندي انطوى هذا هو الآخر فى نهاية الأمر .

وكان قد طلب بلجاجة من فضل المولى افندى من مدة سلفت ان يصادق على سفر أمين باشا فكان على الدوام يتمنع محتجا بالوعد الذى اعطاه الى على افندى جاور بأن يبقى الباشا حتى يرجع الى دوفيليه . غير انه فى صباح يوم ١٦ نوفمبر استدعى سليم افندى مطر كافة الضباط ولم يزد عن ان احاطهم بانه نظرا للحوادث التى وقعت فى الرجاف قرر ان يسافر الباشا الى وادلاى حتى صادق الجميع على ذلك فى الحال ولم يشذ عن هذا الاجماع سوى اثنين من المصريين وهما اليوزباشى مصطفى افندى العجمى والكاتب مصطفى افندى احمد وطلبا ضمانات لطمأنينتهما وسلامتهما .

وأرسل سليم افندى بلا توان فى طلب الكتبة الذين كانوا بتحريضهم السبب فى حدوث كل هذه الملمات وهم : احمد افندى محمود و صبرى افندى و احمد افندى رائف و ميخائيل افندى اسعد وغيرهم وأفهمهم بثبات وحزم ما قرره الضباط فحاول الاثنان الاولان أن يبديا شيئا من التحذير والنصيحة وصرحا بأنهما يؤثران الموت على قبول هذا القرار . ولكن سليم افندى أغلظ لهم القول وعرفهما أن ايامهما مضت وانقضت وان ليس لهما أن يشتغلا إلا بالامور الخاصة بهما وانهما لن يدعوا بعد اليوم فى الاجتماعات . وطلب سليم افندى بعد ذلك من جميع اليوزباشية أن يرافقوه بملابس التشريفات ليبلغوا أمينا باشا هذا القرار فلبى الجميع الطلب إلا مصطفى افندى العجمى الذى صرح بأنه لا يريد ان يزور الباشا .

واستدعى سليم افندى كازاتى وطلب منه أن يبلغ أمينا باشا أنهم سيذهبون عاجلا لزيارته . وفعلا قام كازاتى بهذه المهمة . وعند منتصف النهار حضر لمنزل أمين باشا البكباشى سليم افندى مطر واليوزباشية فضل المولى افندى الأمين و سليمان افندى سودان و بخيت افندى برغوت و عبد الواحد افندى مقلد وبلغه سليم افندى قرارهم وانه اتضح للكل انه لو سارت الأحوال على هذا المنوال لساءت العقبى وحل الدمار . ولما كان العدد الاكبر من الضباط والكتبة يتخيلون ان الباشا سوف ينتقم منهم اذا عادت اليه مقاليد الامور فقد قرروا من أجل طمأنينتهم والحصول على الوقت اللازم لاحاطة الضباط الذين كانوا غائبين والذين كانوا اشتركوا فى أول مؤتمر ، ان يلتمسوا من الباشا أن يذهب الى منزله فى وادلاى وان يشرع فى الرحيل فى بكور اليوم التالى لان سليمان افندى كان يريد أن ينتظر حتى

يصل الى منزله قبل أن يسافر هو الآخر .

واكد الضباط لأمين باشا أنهم يعتبرونه دواما رئيسهم والمحسن اليهم وطلبوا منه الصفح عما فرط منهم وعن الاضرار والآلام التى حاقت به بسبب اغراء بعض عمال السوء وقالوا له انه بمجرد ما يرجع كافة الضباط الذين فى الشمال تنصلح الاحوال جميعها وترجع المياه الى مجاريها ويقصون على مسامعه كيف حدثت كل هذه الامور ويطلبون منه ان يتولى قيادتهم وتسييرهم بالحالة التى قادهم بها وسيرهم عليها الى الآن .

فشكر أمين باشا الضباط على ما أبدوه من الود والصداقة وصرح بانه مستعد لان يسافر غدا فى البكور . ولكن فيما يتعلق برجوعه للقبض على أعنة الحكم فهذا شيء خارج عن الموضوع . وانه حتى اذا كانوا هم يرغبون فى هذا الرجوع فهو لا يستطيع أن يجيب طلبهم . وعلى هذا طلب منه سليم افندى أن يؤجل قراره فى هذا الصدد الى وقت آخر . وبعد ذلك تكلم ببعض عبارات استعطاف فى مصلحة فضل المولى افندى وهنا صافحه أمين باشا واعدا اياه بأن يضرب صفحا عما وقع من المومى اليه فى حقه باغراء المضللين . وعلى اثر ذلك انصرف الضباط وقبل أن يبارحوه التمس سليم افندى من أمين باشا السعى لما فيه مصلحتهم لدى رجوع استانلى . وبعد انصرافهم انسحب الحراس من أمام منزل أمين باشا واستبدل بهم الحرس المعتاد وأضحى المسجونون مطلقى السراح احرارا فى أن ينصرفوا الى حيث شاءوا وأرادوا . وكان كازاتى و جفسن يحضران اجتماع أمين باشا بالضباط .

تهنئة الأهالى لأمين باشا باطلاق سراحه

وجاء الى أمين باشا فى عصر هذا اليوم خلق كثير ليقدموا له التهانى . وفى عشيته انطلق هو لزيارة سليم افندى وزاره زيارة قصيرة وشكره على ما بذله من المجهودات . وذهب معه جفسن ليستأذن فى أخذ مركب استانلى الذى كان قد قدم عليه فأذن له بذلك فى الحال . وأبدى سليم افندى غاية اللطف والايناس والتمس من أمين باشا أن لا يدع فى نفسه أية حفيظة من جهته . وكان قد صدر أمر الى عبد الله افندى منزل بان يحضر الجنود الى دوفيليه حالما يكون ذلك فى حيز الامكان وبعد ذلك يتوجهوا الى وادلاى ليكونوا بمعيته اذا رغب ذلك .

وأتى ضباط الصفوف والعساكر الى منزل سليم افندى ليقبلوا يد أمين باشا . وفى المساء أنزلوا متاع الباشا ومن كان بمعيته الى الباخرة .

سفر أمين باشا الى وادلاى واستقباله بها

وفى الغد ١٧ نوفمبر اقلع أمين باشا و جفسن و كازاتى و فيتا حسان على الباخرة الخديو . وكانت الجنود عند مرسى المراكب مصطفة على الشاطىء ليحيوا الباشا التحية العسكرية وعندما أبحرت الباخرة اطلقت المدافع سبع طلقات .

ووصلت بهم الباخرة إلى وادلاى فى عصر اليوم التالى ١٨ منه . وقوبل

أمين باشا مقابلة فخمة للغاية أشبه شيء بحفلات الأفراح ومواكبها البديعة واضطر ان يقوم بتشريفة رسمية فى داره واتاه الضباط والموظفون ليقدموا له واجبات الاكرام والطاعة . وكان حواش افندى قد ارسل قبل هؤلاء الى وادلاى غير انه ما كان مطلق السراح حتى ذلك الوقت لأنه كان يوجد امام عتبة داره حرس معين من قبل حكومة دوفيليه . وكان أمين باشا لم يزل كذلك خاضعا لنفس هذا التدبير الا أن كودى افندى قائد وادلاى ضرب بأمر هذه الحكومة عرض الحائط وابدل بالجندى المعين امام منزل الباشا لحراسته ، البلطجى المكلف بخدمته هو نفسه ليقوم بتأدية واجبات الباشا اكثر من أن يقوم بحراسته .

استيلاء المهديين على دوفيليه
وتقرير الضباط والجنود التراجع عنها

وكانت حكومة دوفيليه قد قررت توجيه النساء والاطفال الى وادلاى . وان يحتفظ فى دوفيليه بالجنود فقط وذلك احتياطا لمقابلة ما عساه ان يطرأ من هجوم المهديين . ولتسهيل عملية النقل اضطر اليوزباشى حمد افندى ان يذهب ومعه ١٨ جنديا الى بورا Bora الواقعة بين دوفيليه ووادلاى لسرعة اعداد الوقود حتى لا تضطر البواخر ان تقف زمنا طويلا فى انتظار احضاره .

ورجعت الباخرة الخديو الى دوفيليه بعد أن نقلت أمينا باشا الى وادلاى ومضى زمن طويل على عهد سفرها إذ انه لغاية ٣ سبتمبر لم يرد عنها أى خبر وقد احدث تأخير اخبارها كدرا عظيما . وفى هذا التاريخ أكره كثيرون على السفر الى تونجورو . وامتنع

الكاتب احمد افنـــدى راثف عن السفر فزجه كودى افندى قومندان المحطة فى غيابة السجن .

وأرسل أمين باشا ساعيا عن طريق البر ليتسقط الاخبـار إذ كانت قد أذيعت اشاعات مكدرة فحواها ان دوفيليه سقطت فى أيدى الاعداء وان هؤلاء استولوا أيضا على البواخر . وازعج هـذا الخبر الجميع لانه لو كان صحيحا لأمسى الموقف حرجا للغاية . اذ يكون فى استطاعة المهديين ان يأتوا فى كل وقت وساعـة الى وادلاى وكانت هذه غير معدة لابداء مقاومة جـدية إذ المحطة عندئذ لم تكن محصنة ولم يكن بهـا سوى حامية ضعيفة وقليل من الذخيرة . وهى الذخيرة التى كان قد تركها ثوار دوفيليه .

وفى ٤ ديسمبر قدم حمد افنـدى وجنوده وروى ان رئيس بورا وهو صهر كودى افندى أتاه وقص عليه ان المهديين هاجموا محطتى دوفيليه وفابو واستولوا عليها عنوة وصيروهما اثرا بعـد عين وابادوا جميـع المقيمين بهما واسروا الباخرتين وان الزنوج المقيمين بالمركزين المذكورين انضموا جميعهم الى المهديين وان هؤلاء اصبح فى وسعهم القدوم الى وادلاى على الباخرتين فى كل وقت ولحظة والاغارة عليها .

وعهد أمـين باشا الى الصاغ ابراهيم افنـدى حليم وكان وقتـئذ معه بان يستصحب ناقل هـذه الاخبار فى الحال الى كودى افندى لكى يتمكن من استدعاء مجلس من الضباط للمداولة وتقرير الخطـة اللازم اتخاذها لانه لم يعـد بعد مديرا ولا يريد بعـد ذلك أن يتدخل فى اعمال المـديرية بل يود الذهاب الى تونجورو حتى يكون بعيدا على قـدر

الامكان من المهديين . وأرسل جفسن فى طلب كازاتى وتوجها معا لمقابلة كودى افندى ايضا . وجرى كل ذلك عند الساعة الحادية عشرة صباحا .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر أتى الضباط بجملتهم لمقابلة أمين باشا واوضحوا له انهم جمعوا الجنود لاستشارتهم فاستقر رأيهم جميعا على ترك المحطة لانها فى حالة لا تستطيع معها الدفاع وان يغرقوا المراكب ويلقوا المدافع فى اليم ويوزعوا الذخيرة على الجنود ويتراجعوا الى تونجورو ومسوه ليستطيعوا من هاتين المحطتين الاتصال باستانلى . وصرح جفسن انه هو الآخر مستعد لان يضحى بمركبه . وبما انه هو و كازاتى حضرا المداولة ووافقا على ما تم فيها فلم يبق امام أمين باشا الا أن يوافق هو الآخر على ذلك القرار الذى كان يرى انه يوجد هنا لك من الاسباب ما يبرر اتخاذه . وعلى هذا قرر الجميع السفر فى بكرة اليوم التالى وان لا يأخذوا معهم إلا الاشياء الضرورية وان يتركوا ما بقى بعد ذلك من المتاع .

استعطاف الضباط أمينا باشا لتسلم قيادهم

واتى الضباط أمينا باشا ليلتمسوا منه الرجوع الى تولى القيادة ما دام جميع من كان فى دوفيليه قد هلك فأبى اولا ولكنه نظرا لشدة الحاحهم قبل على شرط أن تنفذ أوامره بالضبط والدقة وبغير ذلك يستقيل فى الحال . وانصرفوا على ذلك الا انه لم تكد تمر ساعة بعد الا ورجع البعض منهم يقول ان سعيد افندى يخالجه شيء من الشك بصدد هذا الانسحاب ويقترح التربص يومين ابتغاء الحصول على اخبار

من دوفيليه .

تنحيه عن قبول القيادة واعتزامه السفر

واجابهم أمين باشا انه يعتبر نفسه الآن خاليا من كل مسئولية وانه عزم على أن يسافر عاجلا وما على الذين يريدون البقاء الا ان يبقوا . واتى الجنود الى داره فكرر وأعاد على مسامعهم هذا الكلام لانه شاهد ان كثيرا منهم كانوا مترددين فى امرهم .

وما ان وافقوا على هذا القرار حتى هب الجنود وفى مقدمتهم الضباط والعلم المصرى يرفرف على رؤوسهم للقيام بمظاهرة امام منزل أمين باشا وحتموا اعدام اثنى عشر من الخطرية المقيمين فى وادلاى انتقاما لرفاقهم الذين قتلوا فى دوفيليه وما ذلك الا لأن الخطرية ابناء جلدة المهديين . وكان فى استطاعة هذه المظاهرة ان يتولد عنها تعد واراقة دماء وهذا شىء يجب اجتنابه بأى طريقة كانت . وحاول فيتا حسان أن يهدىء الخواطر ونجح لحسن الحظ فى سعيه . فقد اختلط بالجنود وأفهمهم أنه اذا كان المهديون قتلوا اخوانهم فليس للخطرية الذين معهم يد فى ذلك وان الاحسن معاملتهم معاملة المسجونين واستخدامهم حمالين . واذا كانوا يخافون منهم الهرب فما عليهم الا أن يسجنوهم حتى تحل ساعة السفر . وعلى ذلك زجوا الخطرية فى السجن عملا بمشورة فيتا حسان وهدأ بال الجند .

سفر أمين باشا ومن رضى بالسفر معه

وفى ٥ ديسمبر فى الساعة الخامسة صباحا كان أمين باشا متهيئا للسفر .

ولم يستطع كودى افندى ان يستحضر له سوى ٣٧ حمالا اعطى جفسن أربعة منهم و كازاتى خمسة و فيتا حسان عشرة وبما أن رجال جفسن اخذوا عدا ذلك ثلاثة فلم يبق لنقل متاع أمين باشا الخاص الا ١٥ حمالا . وحمل خدم أمين باشا كل منهم متاعه الخصوصى . وكان كازاتى يشكو انحراقا ألم بصحته فأعطاه حماره الذى كان يركبه عادة واعطى عثمان افندى لطيف الحمار الثانى لركوب اولاده .

ولما لم يستطع كودى افندى جمع العدد الكافى من الحمالين للسفر رأى أنه من اللازم توزيع احتياطى الذخيرة على الجند . وبدا لفيتا حسان أن هذا التدبير لا يخلو من الخطر لانه عندما يكون النظام مهددا بالاختلال يحمل الخوف العساكر وهم مزودون بالكثير من الذخيرة أن يزايلوا الحملة ويلوذوا بالجبل قبل هجوم المهديين أو السفر مع استانلى .

ونصح فيتا حسان كودى افندى أن لا يفعل ذلك ولكنه لم يعمل بمشورته وفى صبح اليوم الذى سافروا فيه فرق الذخيرة .

وازدادت الاخبار التى كانت ترد وخامة . وقيل ان المهديين استولوا على البواخر وبلغوا منتصف طريق وادلاى . ولم يكن لديهم طريق للانسحاب الا الطريق الوحيد الذى أزمعوا أن يسلكوه أي الذهاب الى تونجورو برا . واتخذت القافلة سبيلها فى الساعة السادسة صباحا متبعة شاطىء النهر . وبعد مسيرة بضع ساعات من وادلاى لاحظ فيتا حسان أن الجنود كانوا يختفون بالتدريج وان ما قدره سلفا اضحى امرا مقضيا . وامست الحملة مؤلفة فقط من أمين باشا و جفسن و كازاتى و فيتا حسان و حواش افندى و ماركو جسبارى و عثمان افندى لطيف والكاتبين احمد

افنـدى ابراهيم و احمـد افنـدى رائف وأسر باسيلى افنـدى بقطر و احمـــد افنـدى البراد . ومن عدد قليل من الزنوج والزنجيات . اما الجنود فرجعوا جميعا الى وادلاى .

وفى خـلال يـاض اليوم لحقهم اونبـاشى ليخبر الباشا أن الزنوج نقلوا نبأ مقتضاه ان البواخر اضحت بين دوفيليه ووادلاى ويطلب منـــه باسم الجنود الذين عادوا فاحتلوا هـــذه المحطة الاخيرة ، ان يرجع . وبطبيعة الحـــال أبى واستمروا سائرين فى طريقهم الى أن أدبر النهار وقضوا ليلتهم فى أرض مملكة بوكى Boki وعاودوا المسير من بكرة نهار اليوم التـالى . وقبيل الظهر عاين فيتـا حسان دخان باخرة يتصاعـد من خلال حشائش ضفة النهر على مسافة بعيـــدة . وهذا الدخـــان لدى اقترانه بالاخبار السيئة التى وردت فى العشية لا يبعث فى النفس الطمأنينة . وما دام قـد قيل ان الباخرتين وقعتا فى قبضة المهديين فهذا الدخان لا يمكن الا ان يكون صادرا منهما بفرض انهما لما لم يجداهم فى وادلاى تعقبتاهم وسارتا خلفهم .

انجلاء الحقيقة

وكان فيتا حسان و ماركو جسبارى يمشيان فى مقدمة القافلة ورأى الاول ان لا فائدة ولا عائدة من تبليغ أمـــين باشا بما شاهد وعاين اذ انه كان يذهب الى أن سلامتهم امست بعـد ذلك مقضيا عليها قضاء مبرما ، وان لا مفر ولا نجاة من الخطر الذى كان يهـدد حياتهم . ولما اقـتربت البـاخرة تبـين لهم العـــلم المصرى وسمعـوا نوبات اطـلاق البـارود لفتا لانظارهم وفى الوقت عينـه طـــرق آذانهم صـوت البـــوق اشارة « بتحية العلم » غير أن هـذا لم يسر عن نفسهم الهم والخوف لانه طالما

استعمل المهديون قبل الآن حيلا كهذه اذ الاعلام المصرية وآلات الموسيقا العسكرية متوافرة لديهم . وانطلقوا مع ذلك الى الضفة وبعد ذلك بقليل استطاعوا أن يروا فرحين مبتهجين الباخرة الخديو تحمل اصدقاء . فلقد كان على ظهرها اليوزباشى ريحان افندى حمد قادما للبحث عنهم وعندما وقع نظره عليهم سألهم عن الباشا ولما علم انه فى المؤخرة انتظر مجىء باقى القافلة وحدثهم عن الحوادث التى جرت فقال :

الحوادث التى وقعت فى دوفيليه

عند هجوم المهديين على دوفيليه قسموا قوتهم امام المحطة الى قسمين . ولدى دخول معظم القوة المحطة عن طريق البساتين التى على الضفة كانت بقيتها تحيط بها وتهاجم الباب الغربى وذلك للاحاطة بالجنود من الناحيتين معا . أما الدراويش الذين دخلوا من ناحية النهر فهزموا الجنود وألجئوهم الى الفرار بغير انتظام فى اتجاه الغرب حيث اصطدموا بفرقة الاعداء الثانية . وعندما رأوا أنفسهم واقعين بين نارين اسرعوا بالدخول فى المحطة وانقضوا على قوة العدو الرئيسية وكانت هذه مشتغلة بالسلب والنهب فاخذوها على غرة وفاجئوها مفاجأة تامة وابادوا الدراويش عن آخرهم تقريبا ولم يستطع النجاة منهم الا القليل وظل الميدان فى الوقت ذاته فى قبضة الجنود . وكان بعض الدراويش فى بادىء القتال انقض على البواخر واستولى عليها ولكنه لما رأى اصحابه طردوا من المحطة تركها ولاذ باذيال الفرار فى الحال . وخوفا من هجوم المهديين فى المستقبل شحن سليم افندى النساء والاطفال واقلعوا صوب الجنوب . وخسرت الدراويش خسائر فادحة فى هذه الموقعة وتركوا ١٨٠ قتيلا فى الميدان غير من نقلوه معهم

من القتلى والجرحى .

ولما وجد ريحان افندى وادلاى خاوية على عروشها استمر سائرا فى الطريق ليلحق بأمين باشا وكان حاملا له خطابا من سليم افندى مطر به تفصيلات الواقعة السالف ذكرها . وهى التى رواها فى الخطاب الآتى الذى أثبتناه بنصه العربى نقلا من كتاب كازاتى « عشر سنوات فى مديرية خط الاستواء » :ـــ

خطاب البكباشى سليم افنـــــدى مطر
المرسل الى امـــــين باشا

مدير عموم خط الاستواء   سعادتلو محمد أمين باشا حضرتلرى

افندم بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٨ حضروا العساكر من محطتى موجى واللابوريه ومايه وعشرون نفر من عساكر برنجى اورطه لمركز الاورطة . وفى يوم ٢٤ منه صار تعـــــين بخيت افندى محمود الملازم ومعه فرق عسكرية الى اللابوريه لكشف اخبار الاشقيا . وفى الساعه ٥ حضرت بعض عساكر وعرفوا على ان الاشقيا قابلوهم بخور الطين ولغاية الغروب تم وصول الباقى وحضرت مكاتبة من ريس الاشقيا عمر صالح برغبـــــة التسليم واوضحوا فيها قتـــــل حامد بك محمد وعبد الوهاب افندى طلعت وعلى افنـدى جابور وسالم افندى خـلاف وحسن افندى لطفى وان لم صار التسليم فتصير المحاربة ولم عطى لهم الرد فضلا عن حرق محررهم . وفى يوم ٢٥ منـــــه احطاطت الاشقيا بالحصار وصاروا يهللوا بمقاله انهم مهديه . وفى الساعه ١٠ من هذا اليـــــوم وردت منهم مكاتبة اخرى استعجالا للدولة وصار رميها بمعرفة

العساكر من خارج الحصار . وبالاستفهام من الادمى الذى احضرها عن الكيفية عرف على ان القصد التسليم . وفى يوم ٢٦ منه حضروا المذكورين بجوار المحطة وصاروا يضربوا الاسلحة علينا من الساعة ٣ لغاية الساعة ٩ وفى الحال صار خروج بعض عساكر اليهم وانتشب الحرب بينهم وهزموهم وقتلوهم ١٢ نفر بخلاف المجروحين ولم يحصل لعساكرنا شىء . وفى يوم ٢٧ منه لم يزل حضروا هؤلاء المفسدين وشاغلوا العساكر بضرب النار وفى الساعة ١٠ من ليلة يوم الاربع صار ضرب نوبه كبسه وفى الحال اشتغل ضرب النار من الاشقيا وعساكر الحكومة الخديوية ولغاية الصبح اشتد الحرب بين الفريقين الى ان صار اصابة احمد افندى على الاسيوطى وبخيت افندى على وسليمان افندى سودان بالرصاص والسيف من ايادى الاشقيا بأوجههم واياديهم وقليلا من الصف ضابط والعساكر . وفى هذه الاثناء دخلوا من تلك المفسدين داخل المحطة بقصد امتلاكها وقتلوا محمد افندى على النجار القبودان والاوسطه على احمد المهندس ومرجان ضرار ٢ جى رسل الخديوى وخميس سالم الباشمطشجى وفرجالله مروه العطشجى.. ولما تراءى لجميعنا ذلك صار الاجتهاد فى قتل من دخلوا الحصار والمحطاطين به من خارج . وفى الساعة ٢ تقريبا انفضت المعركة بين الطرفين بانتصار عسا كر الحكومة وهزم عدوهم . وباقتفاء ما صار قتله منهم وجد مائتان نفر وعشرة بخلاف الذين لن امكن تعداده من المجروحين الذين وصلوا لمحل اقامتهم . واكتسبنا منهم احدى عشر بيرق بما فيهم بيرق اميرهم وبعضا من الاسلحة الرامنتون والبيادة وجملة سيوف وحراب وأسر واحد منهم وارتجعت العساكر فى محلاتهم بعد اعمال التشريفة اللازمة . وفى يوم الخميس لم حصل شىء بخلاف المشاغلة فقط وفى ليلة ٢ الجمعة الساعة

١ تكامل حضور جماعة فابو لهنا والساعه ٢ حضر احد اهالى البادية المأسورة بطرفهم وعرف عن قتل اغلبهم وان عزمهم الفرار الى الرجاف . وفى صباح اليوم المذكور حضر ادمى تعلق عبد البين افندى شلمى وعرف عن فرارهم ليلا . وفى الساعة ١ من هذا اليوم حضر واحد عسكرى اصله من ملحوقات ٣ جى لك باللابوريه وصادق على قول من سبق حضورهم وفى الوقت توجهوا العساكر الى المحل الذى كانوا مقيمين به الاشقيا فوجدوا جملة نفوس قتلة ومجروحين بخلاف ما سبق تعداده وقتلوا المجروحين واحضروا بعض صناديق جبخانة فوارغ . وفى يوم السبت الموافق غرة الجارى الساعة ٦ حضر واحد عسكرى اصله كان من توابع المرحوم ريحان افندى ابراهيم وبسؤاله عن الكيفية اوضح انه محضر معهم من الخرطوم وان ما قالوه الاشخاص المحضرين منهم المورين عنهم بهذا هو حقيقى وان قوة الاشقيا صارت ضعيفة جدا . كذا عينا تراجمة لكشف اخبار فتوجهوا لحد خور عبد العزيز فوجدوا جملة اجربة داخلها ملبوساتهم وواحد سنكة رامنتون فأحضروهم . وفى يوم تاريخه الساعه ٥ حضر واحد عسكرى يسمى فضل المولى من جماعة موجى من ضمن المأسورين بحركة الرجاف الاخيرة وعرف بأن الاشقيا توجهوا الرجاف مكسورين مجدين السير والمجروحين الذين كانوا معهم يبلغوا مائة وخمسين نفر وجارى وفاتهم بالطريق ومسيرهم بالعجلة . وكل ما مروا على محطة مثل الخور واللابوريه جارين حرقها . هذا ولاحاطة شريف علم سعادتكم بما قد حصل من عساكر الحكومة وجب ترقيمه بالعرض لسعادتكم افندم م؟

٢ ديسمبر سنة ١٨٨٨ — ختم

سليم مطر

سعادتلو افندم حضرتلرى

افندم مما توضح ان جميع فرسانهم ورؤسائهم وقاضيهم قتلوا فى يوم الواقعة ؟ تاريخه ختم

* * *

وبعد ذلك اضحى من غير اللازم الاستمرار فى السفر برا ولكن ريحان افندى الذى كان يتلقى الاوامر من دوفيليه لم يشأ أن يوصلهم الى تونجورو بل أراد ان يرجعهم الى دوفيليه التى كان رؤوس الحكومة المؤقتة يجنحون للاقامة فيها . ولكن ربان الباخرة احمد الدنقلاوى عنف ريحان افندى تعنيفا شديدا لعدم قيامه بواجبات الاحترام نحو أمين باشا وقد كان على كل حال رئيسه وقرر رغم ما صدر اليه من الاوامر توصيلهم الى تونجورو فدخلوها فى ٨ ديسمبر عند العصر .

ولا ريب ان الحوادث الاليمة التى وقعت بعد سفر استانلى قد حملت أمينا باشا على أن يقرر مبارحة خط الاستواء . ولقد كان فى غير استطاعته ان يفارق هذه الارض التى أمست له وطنا ثانيا ولكنه اصبح يرى الآن انه من المتعذر البقاء فيها اكثر مما مضى والفوضى ضاربة فى جميع اطنابها مع ما لديه من قلة الذخيرة . وعلى ذلك اضمحل وتلاشى تماما تبكيت الضمير الذى كان يجده من نفسه عندما يفكر فى فراق أتباعه .

وكان قد مر على مبارحة استانلى لهم سبعة اشهر كاملة لم يرد لهم فى خلالها عنه أى خبر مع انه كان قد وعدهم بان غيابه لن يتعدى

خمسة أو ستة أشهر .

وبعد خمسة عشر يوما من وصولهم الى تونجورو أحضرت الباخرة الخديو طائفة اخرى من النساء والاولاد وخطابا من الكاتب رجب افندى محمد الى أمين باشا يقول فيه ان حزب الثوار رجع الى تجبره وعجرفته من وقت ما انتصر على المهديين ذلك الانتصار الذى لم يكن فى الحسبان وانه قرر محاكمة الجميع أى أمين باشا و كازاتى و فيتا حسان لمبارحتهم وادلاى .

وفى آخر ديسمبر توفى اليوزباشي سليمان افندى سودان فى تونجورو بحمى أصابته على اثر جرح من قذيفة كسرت عظمة فخذه فى موقعة دوفيليه وكان قد أتى قبل ذلك بعشرين يوما الى تونجورو ليعالجه أمين باشا وكان سليمان افندى هذا من الضباط البواسل ولهذا طرح أمين باشا ظهريا اشتراكه فى الثورة وعالجه باخلاص . ودفن بعد موته باحتفال عسكرى حتى كأنه ظل باقيا على عهد الاخلاص .

١ — ملحق سنة ١٨٨٨ م

رحلة اليوزباشي كازاتى
فى مديرية خط الاستواء

القسم التاسع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

اتهام كباريجا كازاتى وصدور أمره باعتقاله

فى ٣ يناير من عام ١٨٨٨ م بات رسول من قبل الرئيس امبوجا Mboga فى چوايا Djouaia العاصمة الجديدة . وكان هذا الرسول متوجها الى مرولى . وقد روى ان جماعة من الاوربيين معهم عدد جم من المقاتلين مرتدون ثيابا مثل ثياب الزنزباريين ، قدموا من ناحية الغرب ووصلوا الى مسافة قريبة من ضفة بحيرة البرت نيازا الغربية . وهؤلاء بلا شك كانوا رجال حملة استانلى . ففرح كازاتى بهذا الخبر فرحا عظيما حتى انه نسى ما كان يعانيه من الهم والكرب فى ذلك الوقت ونسى برى (١) الذى كان يرتجف خوفا على حياته وأسرته وعاجه واخذ يبتسم .

وكان اجنا كاماتيرا Gnacamatera الوزير الأول الجديد قد عرض

(١) — سبق ذكر هذا الاسم كثيرا فيما مضى وقد جاء في البيان الذى أرسله الينا عبد الرحمن افندى رحمى نجل عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء باسم محمد بيره .

على كازاتى فى ٢٤ نوفمبر المنصرم ان يتبادل معه سرا معاهدة الدم ولكنه لم يقم بتنفيذ ما عرضه . ثم انه فى ٤ يناير بعث اليه برسول ومعه جرة مريسة هدية ليقول له ان غاية مناه مباشرة حفلة معاهدة الدم فى القريب العاجل .

وعاد الرسول فى ٦ يناير ومعه دجاجتان وعنزة هدية وأخبره بأن الحفلة ستتم فى نفس هذا المساء والتمس منه ان يحضر بمفرده عند الوزير الاول عندما يسمع دق الطبل الكبير فوعده كازاتى بالحضور وعلى هذا انصرف الرسول .

وكان كازاتى الى هذا الوقت قد كتم عن برى كل ما تم فى هذه المسألة ولم يبح له بشىء مما جرى بصددها فرأى انه لم يعد بعد من الضرورى اخفاؤها عنه وأحاطه علما بتفاصيلها واتفقا رأيا على أن يذهبا معا الى تلك الحفلة الا أن صوت الطبل لم يدو فى ذلك المساء .

وفى ٨ يناير أتى رسول من قبل الملك واخبرهما ان الحرب مع اوغندة اضحت وشيكة وان لا مندوحة من ذهابهما للتفاهم مع الوزير الأول فقبلا وضربا اليوم التالى موعدا لذهابهما .

وفى ٩ يناير توجه كازاتى وخادمه الوكيل و برى والاونباشى السودانى سرور الى منزل الوزير الاول . وأدخلوا حال وصولهم فى الدار وكانت غاصة بجموع المقاتلين . وبعد أن قدموا لهم التحية أدخلوهم قاعة الجلسات . وبعد قليل فتح الباب ودخل اجناكاماتيرا وساد السكون وبعد خمس دقائق رفع ذراعه . وكانت هذه هى الاشارة التى اتفق عليها . فقبض

عليهم جميعا وربطوا فى جذوع اشجار فنـاء الدار . وأخبرهم الوزير الأول ان هذا بناء على أمر الملك وانه سيشرع فى تفتيش مسكن كازاتى لانه متهم باخفاء رجال مسلحين قدموا سرا من وادلاى على دفعات فى اوقات متباينة ليعاونوه على افتتاح المملكة . فأجابه كازاتى انه لا يستطيع وهو فى الحالة التى هو فيها ان يتحمل مسئولية ما يجده فى منزله وطلب منـه ان يقبل مرافقة خادمه ليبلغ اوامره للمقيمين فيـه . ورضى اجنا كاماتيرا بذلك وأخذ معه الخادم الوكيل بعد أن تلقى من سيده امرا بان يقول لمن يكون بمنزله أن امتثل اوامر الوزير الاول .

اطلاق سراح كازاتى وعودته الى المديرية

وانطلق الوزير مع الوكيل تاركا كازاتى ومن معه فى حراسة ٣٠٠ من القاتلين . وهكذا لبثوا ساعات طويلة معرضين لوهج الشمس . وقبـل الساعة ٣ رجع الوكيل خادم كازاتى مـع بناسورا وأمر هـذا بحل وثاق اذرعتهم وبعـد قليل عاد اجنا كاماتيرا وقال موجها الكلام الى جموع الحاضرين ان هؤلاء الجماعة ـ مشيرا الى كازاتى ورفاقه ـ هم الذين جلبوا الواجندا فى البلد وتآمروا على الملك ابتغاء اسقاطه من العرش . وبناء على ذلك سيطردون من البلد . وأمر بحل عقالهم .

وأحاط الوكيل مخدومه كازاتى علما بكل ما صار وتم فقال ان المنزل كان محاطا بألفى رجل وأرسلت ثلة من جنود كباريجا معه لتفتيشه ونهبوا كل ما كان به مثل سلاح كازاتى وجنوده الثلاثة وجميع المتاع وكذلك نبشوا الارض وبالطبع اتضح فساد كافة التهم التى كانت وجهت الى كازاتى لانهم لم يعثروا على شئ مما عزوه اليه ولهذا أخلوا سبيلهم ماعدا برى وواحدا

من الجنديين السودانيين .

وسافر كازاتى ومن كان بمعيته بعد أن أطلق سراحهم . وبعد أن عانوا تقلبات ومصاعب شتى بلغوا كيبيرو حيث قدم أمين باشا فى ١٦ يناير على الباخرة الخديو لأخذهم . ولقد يستطيع المرء أن يتصور كم ألم بهم من الفرح عندما وجدوا أنفسهم قد نجوا .

وعند تفتيش مسكن كازاتى كان اجنا كاماتيرا قد طلب من الجنديين خورشد الجركسى وفضل السودانى أن يبلغا أمينا باشا ان الملك هو الذى أمر باستعمال الخشونة والقسوة مع كازاتى ابتغاء سلامة المملكة وان ممثله هذا ـ أى كازاتى ـ رفع العلم المصرى وأراد خلعه ـ أى الملك ـ من عرشه بالتواطؤ مع موانجا . وان الملك يريد المحافظة على معاهدة المحالفة والصداقة التى تربطه بأمين باشا وانه سيرسل اليه قريبا رسولا خاصا ليؤكد له ذلك فى وادلاى .

وقد نقل لأمين باشا هذا الكلام وأفسح له صدره وعزا ما حدث الى كراهة كباريجا لكازاتى كراهة شخصية . وهذا التأويل الذى أوله المدير العام لم يرق فى عينى كازاتى .

وطلب كازاتى من أمين باشا أن يسفر احدى الباخرتين الى كيبيرو بخطاب ينذر فيه كباريجا باطلاق سراح برى والجندى السودانى وباعادة ما صادره من السلاح والمتاع ترضية عن الاهانة التى لحقت الحكومة فلم يلب أمين باشا هذا الطلب مع أن كثيرا من الضباط أيدوه وقال انه لا يريد قطع العلائق الحسنة مع اونيورو لكونها طريق مواصلاته

مع أوغنده .

وحصل كازاتى بمشقة على ترقية الجنديين فضل و خورشد فترقى الاول الى رتبة ضابط والثانى الى ضابط صف غير أن خورشد ما لبث أن أدركته المنية على أثر مرض أصابه فى خلال تلك الأيام ايام البؤس والآلام .

وأثرت خطة كباريجا العدائية فى الاهالى تأثيرا سيئا فتغير مسلكهم واتخذوا أماكن لاقامتهم على مسافات بعيدة من المحطات العسكرية وشرعوا يمتنعون عن توريد جزية الحبوب والقيام باعمال النقل . وهكذا كانوا يثيرون عداوة خفية كانت تنقلب الى حرب علنية عندما يأنسون من أنفسهم القدرة على ذلك .

ولم تتقدم الحالة فى داخلية المديرية خلال غياب كازاتى . وأدى التساهل الى التراخى فى النظام فكانت عاقبة ذلك اطلاق ايدى الجنود فى اعمال المديرية وحدوث الاضطراب وصارت سلطة المدير العام اسما بدون مسمى كما يقولون وهيبته التى كان يستطيع الاعتماد عليها أضحت سخرية .

سفر امين باشا للبحث عن استانلى
واغارته على ماجونجو

ومن وقت ما وضع كازاتى قدمه على الباخرة الخديو فى ١٦ يناير أبلغ أمينا باشا الخبر الذى كان قد سمعه عن وصول استانلى فاستقر رأى الباشا على أن يذهب للقائه . وعلى ذلك أقلع فى ٣٠ يناير الى

محطـــة مسوه ليستوثق من قدومه . وعندما بلغ هذه المحطة علم بمقاصد الاهالى العـدوانية فأرسـل فى ٦ فبراير تجريـدة عـلى ارض مملكة ماجونجو الواقعة على ضفة النيل اليسرى اغارت عـــلى قرية من قرى اللوريين Lours المتمردين . وفى ٩ منـــه أرسـل تجريـدة اخـرى فعادت بغنائم من الحبوب والماعز .

وفى ١٢ فـبراير كتب أمـــين باشا من مسوه الى كازاتى يستقدمـه ليتشاوروا فى أمر القيام بغارة على كيبيرو لأنه كان يرغب فى اتلاف الملاحات التى بها والتى كانت ينبوع ثروة للبـلد فرفض كازاتى تلبيـة هـــذه الدعـوة بسبب اعتلال صحته .

وفى ٢٥ فـبراير بارح أمـين باشـا محطـــة مسوه ابتغـاء البحث عن استانـلى ولكنـه لم يحصـل على نتيجـة مرضيـــة لان مشايـخ القـرى لم تبـد الا قليـلا من الاستعـداد لتزويده بالمعلومات ورجـــع الى المحطـة فى ٦ منـه .

وفى ١٨ مارس أذعن كازاتى لالحـــاح المدير العـــام وتوجـه الى مسوه وتوصل الى حمل الباشا على تأجيل مشروع الغارة على كيبيرو وبالاحرى تركه كليـة وهو ذلك المشروع الذى كان الباشا لم يعدل بعد عنـــه لان كازاتى كان لم يزل واضعـا نصب عينيه الحماية التى كان شمله بها رئيس هذا المركز المسمى كاجورو Kagoro .

ومن مسوه قفل أمين باشا و كازاتى راجعين الى محطة « تونجورو » وكانت هـذه قائمة مثل مسوه على ضفة البحيرة الغربيـــة لكنها كانت

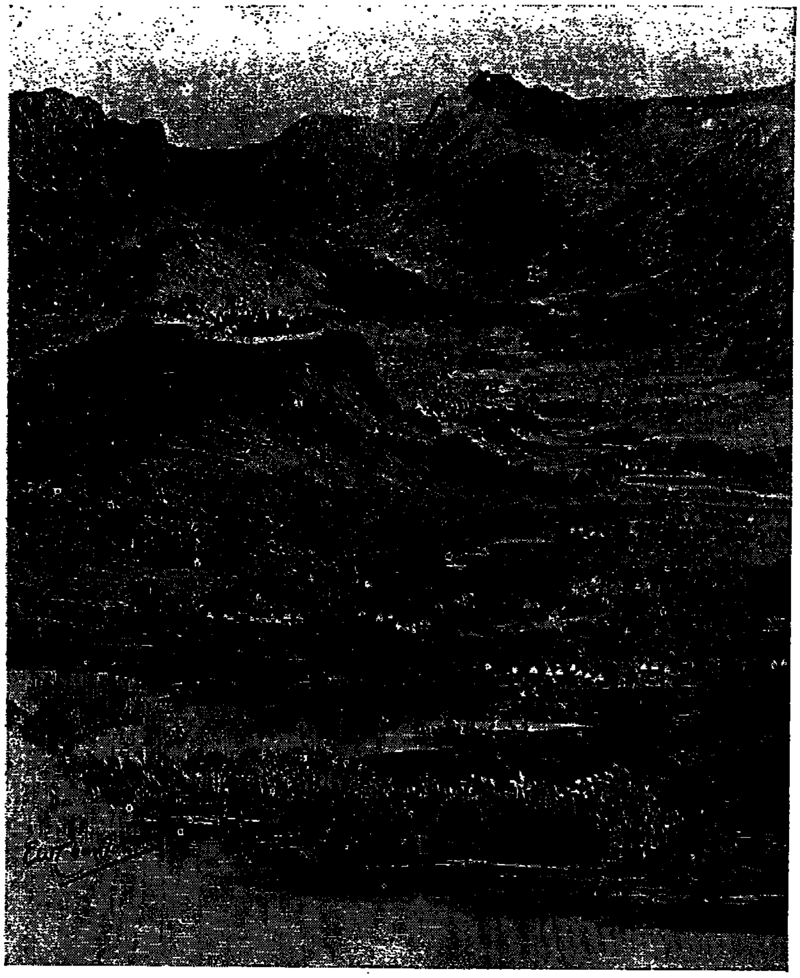
أقرب الى الشمال من هذه . وبما أن أهالى مسوه اكدوا بان خلقا من البيض على مقربة من المحطة فقد قام رسول فى اوائل شهر أبريل ومعه خطاب برسم استانلى .

وصول احد ضباط استانلى بخطاب الى امين باشا

وفى ٢٣ أبريل من عام ١٨٨٨ م بينما كان الكل مجتمعين كعادتهم عند المندير العام والليل مرخ سدوله اذا بصوت طلق نارى يدوى على الطريق النازل من الجبل الى المحطة فوثب الجميع الى الخارج فتبين لهم أن ضابطا من ضباط حملة استانلى وصل الى مسوه أمس عشاء ومعه خطاب من استانلى وهو مقيم فى هذه المحطة فى انتظار مقابلة الباشا .

مضمون هذا الخطاب

والخلاصة أن الخطاب وصل فى عصر يوم ٢٧ أبريل وقرأه أمين باشا على كازاتى و فيتا حسان وهو مكتوب طويل عريض من استانلى روى فيه قصة حوادث واسفار متنوعة ومحزنة مصحوبة بتقلبات وتطورات جمة وأوجاع ومحن شتى . فمن مرض الى جوع وشدة ورداءة فى الجو وطرق غير مسلوكة حتى كأن كافة المصاعب والمتاعب تكأكأت واجتمعت على الحملة . وفوق هذا وذاك اجتيازها غابة شاسعة واسعة غير مطروقة ولا مأهولة فضلا عن استمرار قلة الزاد لديها الامر الذى أدى الى هلاك خلق كثير منها حتى ان استانلى رأى نفسه مضطرا الى أن يشطر قافلته ويترك معظمها فى يالبويا Yalbouya ويدع المرضى فى حصن بودو Bodo . ولم يحضر



محطة مسوه العسكرية الواقعة على ضفة بحيرة البرت نيانزا الغربية

ويرى فوقها العلم المصرى يخفق وذلك عند حضور استانلى لاخلاء المديرية

معه الى شاطىء البحيرة التى كان قد بلغها أول مرة فى ديسمبر من عام ١٨٨٧ م إلا الدكتور پارك Parke والمستر جفسن و ١٣٠ نفسا .

استطلاع امين باشا رأى كازاتى ومقابلته استانلى

وبعد أن تلا أمين باشا هذه الرسالة المثيرة للشجون والتى تركتهم حيارى مبهوتين طلب من كازاتى أن يمده برأيه فى الخطة التى يجب اتباعها فأجاب كازاتى قائلا إن الحالة التى وصل اليها استانلى الآن قد بلغت مبلغا لا يستطيع معها انسان أن ينتظر منها أمرا عظيما لا بالنسبة لنا ولا له . فقد أصبح من شهور عديدة غير متصل بالقسم الاكبر من حملته ومن جهة اخرى فاننا لا نستطيع أن ننضم اليه لصعوبة الطريق الذى وقع عليه اختياره . وتعريض أنفسنا لما قد تأتى به المقادير يعد منا بمثابة الاقدام على تعريض أنفسنا بلا جدال للتهلكة . أما اننا ننتظر أن يرتد على عقبه ويرجع بكل قوته فذلك افضل ولكن يلزم ان لا يعزب عن بالنا أيضا ان هذا الامر يستغرق على أقل تقدير ثمانية أشهر ومن المحتمل أن ننتظر رجوعه بدون جدوى . والاصوب لنا أن نسلك سبيل الجنوب الغربى عن طريق ممبتو المعروفة لدى الجنود والتى سبق لأهلها أن رأوا فيها بينهم اجانب مسلحين . والواجب علينا أن نذهب الى استانلى لنقدم له الشكر على مجهودات الابطال التى بذلها ونمده بما بقى تحت تصرفنا من محصول المديرية الضئيل ونبلغه فى الوقت ذاته بما استقر عليه رأينا .

واستحسن أمين باشا هذا الرأى وصرح بأنه موافق عليه . وكان سفرهم

يوم ٢٩ أبريل . وقبيل آخر النهار ألقت الباخرة الخديو مرساتها امام ويريه Wéré على مسافة غير بعيدة من المكان الذى اقام فيه استانلى معسكره . ونظرا لأن أمينا باشا كان يرغب المبادرة الى لقائه نزل الجميع فى مركب أوصلهم الى اليابسة فى ظرف ساعة . ومن هذه اللحظة علا صياح الفرح ودوت طلقات البنادق وأخذ القوم يصافح بعضهم بعضا الى أن بلغوا مضرب رئيس الحملة فاستقبلهم حاسر الرأس . واستمرت المقابلة وقتا يسيرا ولكنها كانت ودية تناولوا فى غضونها بعض اقداح الشمبانيا .

وفى اليوم التالى توجه اليهم استانلى مع اتباعه الزنزباريين ونصبوا معسكرا فى نسابى . وقدم أمين باشا ما استطاع تقديمه من الاحذية والمنسوجات والتبغ والملح والشهد والحبوب والسمسم للحملة القادمة من أوربا لتقدم لهم امدادا . وهكذا انعكست الآية ومثل المعطى دور المعطى له وأحدث ذلك فتورا فى الفرح الذى كان يجب أن يكون فرحا عاما وشاملا .

ومع ذلك كان استانلى لم يزل واثقا من يمن طالعه وحسن حظه فلم يتردد عن أن يضع على بساط البحث مسألة الاياب . ودارت المناقشة حول معرفة ما اذا كان أمين باشا يريد أن يذعن لارادة الخديو ووزيره نوبار باشا . فكان جواب المدير العام أن علق مشيئته فى هذه المسألة على ما يقرره أغلبية أتباعه . اما كازاتى فرغم رغبته فى الاسراع لوضع حد لآلامه قد صرح بانه لا يريد الانفصال عن أمين باشا . وكان فى الحالة الراهنة ليس من أصالة الرأى من جهة ثانية التصرف بغير هذه الطريقة لان

رجال المديرية لم يتبعوهم الا رغم ارادتهم وانهم اذا كانوا قد قدموا معهم فما ذلك الا رغبة فى مشاهدة تلك الحملة التى أتت لنجدتهم وطار صيتها فى الخافقين والتى صرح أمين باشا بان فى استطاعتها عمل العجب العجاب وبنوا عليها صروحا من الآمال .

ومما لا مراء فيه ان استانلى سلمهم ثلاثين صندوقا بها مظاريف رمنجتون . ولكن هل فى استطاعة هذه الكمية من الذخيرة أن تغير أو تبدل فى الموقف ؟!

لقد أدرك أمين باشا بثاقب فكره ما لا بد أن تكون قد احدثته قصة الحوادث والآلام التى عانتها الحملة والشدائد التى تغلبت عليها من التأثير السيء فى نفوس رجاله إذ انه من المحقق أن الجنود والزنزباريين الذين تتألف منهم الحملة لم يكونوا قد احجموا عن تبليغهم تفاصيل تلك النوازل فألح على استانلى مرارا وتكرارا بأن يعتلى ظهر الباخرة الخديو ويزور المحطات القريبة . وكان قد مر على الجنود والموظفين خمس سنوات لم يقبضوا فى خلالها شيئا من راتبهم ومع أن كل أولئك الخلائق من الناس لم يسلكوا مسلكا لا عيب فيه الا انهم مع ذلك تحملوا بجلد وشجاعة صدمة الثورة وقاتلوا فى سبيل بقاء علمهم مرفوعا وعدد الفارين منهم لم يتعد القليل .

الا ان استانلى أبى تلبية دعوة الزيارة محتجا بضيق الوقت ولكن هذا لم يحل دون بقائه شهرا فى نسابى . أما أمين باشا فاستسلم للمقادير بدون أن يتشجع كما ينبغى لمواجهة الحوادث . وعبثا حثه كازاتى على أن يبين بجلاء ووضوح حالة الموقف والشقاق الذى أدى الى التخاذل والانقسام فى ارجاء المديرية . نعم وعد أمين باشا أن يفعل ذلك الا انه اقتصر على أن يلمح

الى هذا الامر تلميحا غامضا.

ورضى استانلى باقتراح أمين باشا القاضى باستشارة الموظفين والجنود بصدد القرار اللازم اتخاذه بشأن العودة وذلك بينما هو - أى استانلى - يذهب للاتيان بالقسم الاكبر من الحملة والمتاع الذى تركه خلفه كما رضى بوجوب حشد أولئك الذين يقرون الاياب فى نسابى وانتظاره فيها . وانتدب استانلى احد ضباطه ليرافق المدير العام لتسهيل أعماله ولتلطيف الوقع السيء الذى نشأ من تمنعه من زيارة المحطات . وسلم استانلى الى جفسن وهو الضابط الذى فوض اليه تلك المأمورية رسالة ليتلوها على الضباط والموظفين شرح فيها وجهة نظر الخديو وموقف أولئك الذين يؤثرون البقاء على الاياب . وخلاصة النداء المسطر بها انه أرسل اليهم الضابط جفسن ليقف على نياتهم بصدد عودتهم وانه رجع ليستحضر مؤخرة حرسه وانه فى ظرف بضعة أسابيع يرجع اليهم ويوصل الى مصر أولئك الذين عقدوا النية على السفر من طريق مأمون . أما أولئك الذين يريدون البقاء فهؤلاء سيتركهم ويرحل .

وكان يبدو مع ذلك ان استانلى مهتم اهتماما خاصا بمستقبل أمين باشا . ومع انه كان قد أجل مسألة العودة الى الوقت الذى يكون فيه جمع شتات قوته فلم يثنه ذلك عن أن يلوح لأمين باشا ببروق من الآمال . فبعد أن بذل شيئا كثيرا من ذرابة اللسان ليبين له أن مقاومة المهدية الآخذة يوما فيوما فى التقدم والانتشار ضرب من المحال ، عرض عليه ذات يوم أن يسكنه فى ركن بحيرة فيكتوريا نيانزا الشمالى الشرقى حيث تستطيع شركة افريقية الشرقية الانكليزية الانتفاع به وذلك بانشاء محطات على طريق ممبسه

وتتكفل الشركة عند ذلك بأن تضمن له ولمن يكون بمعيته مستقبلا ثابتا موطدا . وعرض عليه في يوم آخر ضم المديرية الى ولاية الكونغو الحرة ولكنه قدم هذا الاقتراح امتثالا لكلمة كان قد تلقاها اكثر من أن يقصد منه الوصول الى غرض معين لان استانلى ما كان يستطيع أن يرتجى ان هذا الاقتراح يصادف قبولا حسنا بعد كل الذى لاقاه فى سفره من المصاعب والمشاق . وكان أول الاقتراحين هو الذى يود استانلى أن يراه مقبولا لان الغرض الاصلى من ارسال الحملة هو استمالة أمين باشا لاسيما الجنود الذين تحت امرته للمصلحة البريطانية كما برهنت على ذلك الحوادث التى وقعت بعد .

اغترار أمين باشا بوعود استانلى

ولسوء الحظ غرت أمين باشا فى البداية تلك الوعود وذهبت به الاحلام وعدم التبصر الى أن يمتدح امام اتباعه هذا التوفيق العجيب . وعلى ذلك كان لا ينبغى له أن يدهش اذا رأى اتباعه يظهرون اشد الحذر ويمتنعون عن السير فى اتجاه الجنوب لانهم كانوا يخشون أن يباعوا كما سبق القول الى ملك الاونيورو أو أوغنده أو يخدموا حكومة غير حكومتهم التى قاعدتها فى الخرطوم .

وكان أمين باشا فى ذلك الوقت فقط (ونقول فى ذلك الوقت فقط لانه فيما بعد تنازل عن رأيه نظرا للمعاملة غير العادلة التى عومل بها منهم) يؤكد امياله الشخصية للانكليز ويهنىء نفسه بصدق نية واخلاص طوية إذ وفق لايجاد خير معين له فى هذه الامة العظيمة الامر الذى يعتبره كأنه حل لمشكلة من اعضل المشاكل . وكان يقول ويردد هذا القول : « ان بحوزتى

العلمية ستؤتى أكلها . ومن ذا الذى كان يظن ان عصفورا أو حشرة تأتى بخدم جليلة كهذه الى شعبي والى أنا نفسى » .

تلك هى عقلية وسجايا المدير العام لمديرية خط الاستواء الذى كان يدير أمورها فى أصعب الاوقات وأحرجها .

وقال كازاتى ان ما كان يقصه عليه أمين باشا من عبارات المجاملة التى كان يبديها فى محادثته لاستانلى كانت تثير فى نفسه افكارا مؤلمة وانه كان لا يفتر عن أن يقول له : « ان قدوم استانلى أظهر ضعف سلطتكم عوضا عن أن يوطدها وان كل ما يمكن أن يقال إن كل أمر يتفق عليه مع استانلى يثير عوامل الريبة والحذر فى النفوس وينشأ عنه خلل فى النظام » .

وفى ١٦ مايو استأذن كازاتى من استانلى ليرجع الى تونجورو . ورجع أيضا استانلى على عقبه تاركا نسابى فى ٢١ منه ومعه زهاء مائة رجل من الحمالين أحضرهم له أمين باشا .

ولما كان كباريجا لم يتحول عن خطته العدوانية وذلك باثارة الفتن فى الخفاء إذ كان قد تآمر مع رئيس الجهات المجاورة لمسوه على مهاجمة هذه المحطة ، أمر أمين باشا انتقاما منه بتدمير كيبيرو وكانت هذه ضربة قاضية لأن فى تدميرها حرمان الاونيورو من مورد تستمد منه معظم ثروتها وهو الملاحات التى بها .

وفى ٣٠ مايو عندما لاح ضوء الفجر ألقت الباخرتان الخديو ونيانزا مراسيهما امام كيبيرو وأنزلوا بها جنودا من اللوريين سرا بدون أن

يشعر بهم احد . وهؤلاء حاصروا القرية وأحرقوها وولى قاطنوها الفرار بعد أن قتل منهم خلق كثير وعقب ذلك صار تدمير الملاحات ورجعت التجريدة الى مسوه .

نتائج اغترار المدير بالسياسة الانكليزية

والشقاق الذى كان لم يزل ينشب مخالبه فى احشاء المديرية نشأ عنه ابعاد الكثيرين من الموظفين عن المراكز السامية وبالتالى أوجد اناسا متذمرين . وكان بعض هؤلاء المبعدين يستحق ما حل به من العقاب الا أن قاعدة العدل والانصاف وعدم المحاباة ما كانت تراعى فى كل الاحوال . وكان المعزولون يتآمرون فى الخفاء لانهم كانوا منفردين . وكان الخوف يكرههم على استعمال اليقظة غير أن قدوم استانلى أنعش ميت آمالهم . ويبدو انه حرك فيهم الشهوات التى كانوا يبطنونها . فأخذوا يتناقشون فى المحطات عندما طرق آذانهم خبر مجىء حملة استانلى ويذكرون المظالم التى وقعت على البعض والنعم التى أغدقت على آخرين . ثم ان اباء استانلى زيارة المديرية والجهل بما كان يذور فى نسابى شق طريقا واسعا لفرض افتراضات من اغرب واعجب الافتراضات . ومن هذه القول إنهم كانوا يسوون فى تلك الناحية التنازل عن المديرية لدولة اخرى وانه لم يبق لتوقيع هذه التسوية إلا خطوة واحدة .

وقابل استانلى فى خلال اقامته فى نسابي الصاغ (سابقا) عبد الوهاب افندى طلعت و احمد محمود افندى سكرتير المدير العام سابقا فقصا عليه ما وقع فى المديرية من الحوادث فى السنوات الاخيرة بلهجة كانت بعيدة عن المدح وذهبا الى ان اتهما صراحة أمينا باشا .

وأرهف استانلى أذنيه لسماع شكواهم ثم نصحهم بالتذرع بالصبر حتى يرجع وان يستخدموا هذه المدة فى اعداد رفاقهم للرجوع الى أوطانهم ولكنه لم ينبس ببنت شفة للباشا بما سمعه سواء أكان ذلك ابتغاء عدم احداث ارتباكات جديدة أم لرغبته فى عدم الظهور بالتدخل فى اعمال المدير العام . وما إن سافر امين باشا حتى طرق مسامعه خبر هذه الشكاوى فاستولى عليه غضب شديد لا يتناسب مع اهمية الحادث .

وفى ٣ يونيه وصل الى تونجورو عابس الوجه ممتلئا صدره غلا وضغينة . وكان ملما بامبال الجنود فاستحسن بناء على مشورة البكباشى حواش افندى عمل تحقيق سرى الغرض منه الوصول الى رؤوس العصابة والمتذمرين غير انه افضى الى تحرير بيان باستبعاد اناس روعى فيه هوى نفس البكباشى وما تكنه جوانحه .

ويقول كازاتى انه كان يتتبع من أمد مديد بانتباه وتأمل تطورات الاهواء والاغراض بين الموظفين المدنيين والعسكريين وانه ألح اكثر من مرة على المدير العام باتخاذ سياسة الوفاق والمسالمة إذ ان هذه هى السياسة الوحيدة التى بها يستطاع ايجاد حالة يمكن احتمالها الى ان يحين وقت الرحيل . وانه كان فى حيز الامكان فى الزمن الماضى توطيد دعائم السلطة المزعزعة الاركان باستعمال الشدة . اما الآن فلا فائدة ولاعائدة من استعمالها لان زمانها قد مضى وانقضى . فضرب امين باشا بهذه النصيحة عرض الحائط وصم دونها آذانه وعول على سياسة القمع وشجعه فى هذا الطريق المستر جفسن مستندا الى المبدأ القائل إن القوة تأتى بأفضل النتائج وخال انه من اللازم استخدام منتهى الشدة

مع أولئك الذين تجاسروا على الوشاية فى حق رئيسهم . ولقد يكون فى الامكان التماس العذر للمستر جفسن لانه كان يجهل حالة المديرية ولكن يجب ان لا تقاس حالته هذه بحالة غيره . وكانت عاقبة جميع ذلك تنزيل درجات بعض الضباط واعتقال بعض الموظفين وعزل عثمان افندى لطيف من وظيفته .

وفى ٦ يونيه كانت الباخرة نيازا متأهبة للسفر ولم يبق امامها إلا ان تتسلم كيس المراسلات لتقتلع مرساتها وكان كازاتى فى تلك اللحظة يبذل لدى امين باشا آخر مجهود ليحمله على العدول عن مسلكه المجرد من كل سياسة فقابل مسعاه باللوم والتعنيف وعزا اليه الرغبة فى التعدى على اختصاصه .

وحضر ايضا جفسن لمقابلة كازاتى وأنبه تأنيبا رقيقا بقوله : ان الباشا لا يمكنه ان يعمل احسن من ان يستخدم سطوته والسيطرة الممنوحة له فأجابه كازاتى بأنه سيأتى يوم يرى فيه جفسن ان الحق فى جانبه وأنه قطع علاقته مع المدير العام .

بدء ظهور تذمر الجنود

وفى ٢٣ يونيه استشار جفسن حامية تونجورو بحضور الباشا بصدد ما عقدت النية عليه فى أمر السفر فلم يجاوب واحد منهم اجابة صريحة وقال الجميع بلسان واحد انهم يمتثلون لما يأمر به الباشا فيعملون مثل ما يعمل . وبعد ان انفض جمعهم انقلبوا يذكرون وعورة الطريق وتعريض انفسهم لخطر البيع للانكليز وارتباط الباشا مع هؤلاء بعروة

صداقة وثقى . وانتقلت تلك الاقاويل وسارت من محطة الى اخرى بسرعة البرق وانتشرت فى ارجاء المديرية وصار كل انسان يؤولها حسبما يحلو له .

وبعد هذه الاستشارة قر رأى امين باشا وجفسن على السفر فى ٢٦ يونيه . فجزع كازاتى لهذا الخبر للخطر الذى يستهدفان له فى هذه الرحلة وكلف فيتا حسان بأن يلح على الباشا بالعدول مؤقتا عن السفر ويترك وقتا للنفوس المتهيجة بسبب الاحكام التى صدرت اخيرا على الخصوص لتهدأ من اضطرابها وان يترك جفسن يسافر وحده اذا لج فى ذلك ولكن لا يلزم على كل حال ان يتخطى الباشا وادلاى لانه يخشى عليه من أى حادث يقع بينما جفسن لا يخشى عليه من أى شىء بل يقابل على الرحب والسعة بصفته ضيفا . وقوبل هذا الرأى بالاعراض وسافرا بدون اكتراث .

الجهر بالعصيان

وما كاد امين باشا يتخذ طريقه حتى رفع قائد تونجورو وهو رجل نوبى يقال له سليمان افندى النقاب عن وجهه بلا مبالاة وحشد الجنود والموظفين اللكيين وحض على المقاومة وكال للنصارى بالكيل الوافى اسفل الشتائم وأحطها ولم يقف عند حد ان يقدم مثلا فى التمرد والعصيان بل جد وكد فى سبيل حمل غيره ايضا على الاقتداء به فأرسل الرسالة تلو الرسالة الى مواطنه فضل المولى افندى (وهذا نال فيما بعد رتبة بك وكانت له اليد الطولى فى اعمال المديرية الختامية) الذى كان قائدا فى فاتيكو طالبا منه مساعدة فعالة لينقذ المديرية من الخراب

الذى يجـــــره عليها امين باشا وان يقـوم على رأس الحركة فى المحطات الشمالية بينما يكون هو نفسه قد استولى على تونجورو و مسوه و وادلاى . وقوبلت اقتراحاته الشـــورية قبـولا حسنا من المتذمرين وصادفت دعـوة سليمان افندى اذنا مصغية فى كل حدب وناحية وقبل فضل المولى ان يقبض على أعنة الحركة .

وظـــل مع ذلك كل من امـين باشا و جفسن مطبقا جفنيه صاما أذنيه بل حسبا ان قدوم وفد اليهـــما من قبل الاورطة الأولى مكلف باعلان ولائها بمثابة ضمان لنجاحهما . وهكذا رأيا ايضا فى المقابلة الودية التى قابلهما بها حواش افندى ولهذا السبب واصلا السفر غير مباليين . ولدى استشارة حاميـــة كري قررت باجماع الآراء اخلاء المديرية والاياب الى مصر غير أن ما رأته الجنـــود من الاستعجال فى فض مسألة الاخلاء ثبط همتهم . وعنـــدما أمر امين باشا بارسال كافة الذخـــيرة التى فى المستودعات الى دوفيليه داخلهم الخوف والجزع وخالوا انه فى حالة ابائهم السفر يتركون هم وذووهم بدون وسائل يدافعون بها عن انفسهم ويبقون تحت رحمة المهديين والاهالى ولذلك قامـوا بنفس واحد وصوت واحـد يعارضون تنفيذ ذلك الامر . وقد أدى هذا مع ما سبق ايضاحه الى رواج سوق الكلمات الآتية فى كافة المحطات :

« لقد خدعنا ولا بد لنا من المداولة فى مسألة الدفاع عن ارواحنا » .

وقد كان من التناهى فى الغفلة مداومة السفر الى الرجـــاف وغندوكورو لان من الجائز ان يكون امين باشا فيهما عرضة للاعتقال اكثر مما كان عرضة له فى السنة الماضية وقلما قفل راجعا من محطات الشمال التى

كان قد عزم على زيارتها لان كافة محطات الشمال هذه يحتلها جنود الاورطة الأولى وهى قلب مركز الثورة وقطبها .

وآثر امين باشا وجفسن المضى الى موجى لأن قائدها اليوزباشى عبد الله افندى منزل كان لم يزل مقيما على عهد ولائه للحكومة وله من السيطرة ما يكفى لحمل جنوده على استماع كلمته واطاعة أوامره . وأدت الحامية التى كانت تبجل قائدها غاية التبجيل وتحترمه أشد الاحترام مراسم النظام حسبما كان يتوقع وينتظر منها وأقرت اخلاء المحطة . وكذلك لم تبد أية ممانعة أو أى عناء عندما أخذ من مخازن محطتها ٢٠ صندوق ذخيرة وأرسلت الى دوفيليه .

وظلت المحطات الشمالية محتفظة بنفس ذلك الصمت الذى لا يبشر بطالع محمود . وبعد أن انتظر امين باشا وجفسن ١٥ يوما انتظارا لا طائل من ورائه امتثلا لحكم القضاء والقدر وارتدا على اعقابهما .

بدء ثورة الجنود على المدير

وفى ١٣ أغسطس احتشدت حامية لابوريه فى ميدان القرية . وقرأ جفسن رسالة استانلى وترجمها امين باشا الى العربية ثم طلب معرفة ما قررته الحامية فى أمر سفرها فأخذ التذمر ينتشر بسرعة فى الصفوف وبدا عليها القلق والاضطراب غير انه لم يتجاسر أحد ان ينبس بكلمة . وبينما هم كذلك إذا بجندى برز من بين اترابه وبندقيته فى يده والوقاحة بادية على وجهه وقال للمدير العام إن الجنود عولوا فعلا على السفر ولكن بعد الحصاد .

وألح جفسن فى طلب الحصول على اجابة فى اليوم التالى . وعندئذ استشاط الجندى غضبا وصاح قائلا : « ان جنود الحكومة لا تعامل هكذا وان ما قيل لهم كذب ومين لان الخديو يأمر ولا يلتمس وعلى هذا لو كان الامر صادرا منه لكان قد اتخذ الاحتياطات اللازمة لانفاذه فلا يدع كل انسان حرا يعمل ما تسول له نفسه » .

وغضب امين باشا من هذه اللهجة وقبض على عنق الجندى وأمر القائد بتجريده من السلاح واعتقاله .

وفى الحال تحفز الجنود على بكرة ابيهم واختلت صفوفهم وازدحموا حول الباشا بشكل ينذر بالتهديد والوعيد واسلحتهم محشوة ومصوبة نحوه وجرد هو الآخر سيفه من غماده ليخضع ذلك المتمرد ويحمله على الطاعة . وحالت سرعة تدخل الضباط وحدها دون حدوث كارثة . وانصرف الجند فى نهاية الأمر وذهبوا فاحتلوا الترسانة وأبوا القيام بالحراسة المعتادة امام مسكن المدير العام .

اعتقال المدير و فيتا حسان

وفى صبيحة اليوم التالى اتجه امين باشا و جفسن شطر محطة خور أيو وفيها قدم اليه رسول من قبل البكباشى حواش افندى فى دوفيليه وأخبره بالخطر الذى يهدد المديرية .

وورد للمدير العام رسالة اخرى تنبئه بالرجوع سريعا لاجتناب حدوث مشاكل جديدة .

وفى ١٩ أغسطس وصل امين باشا و جفسن و فيتا حسان الى دوفيليه ودخلوها من الباب الشمالى ولم يتقدم أحد لمقابلتهم . وكانت الطرق مقفرة والمحطة ساكنة سكوت سكان القبور ولكنهم ما أدركوا مسكنهم حتى ظهر بغتة ثلة من الجند وأقاموا حراسا على منافذه .

وهكذا أمسى كل من امين باشا و فيتا حسان رهين السجن . اما جفسن فظل طليقا ولم يعامل معاملتهما بالطبع لاعتباره ضيفا .

اعتقال حواش افندى وتأسيس حكومة وقتية

ولم يضيع المتذمرون اوقاتهم فى النفخ فى غير ضرم وساعدتهم فوق ذلك جميع الظروف فى تمهيد اعمالهم . فمما ساعدهم فى قضاء اغراضهم حوادث كري و لابوريه وكذلك التردد وطول الاقامة بغير جدوى فى موجى . وكان قبل ذلك ببضعة ايام قد بارح فضل المولى افندى محطة فابو ومعه ٧٠ جنديا وبمعاونة اليوزباشي احمد افندى الدنكاوى استولى على دوفيليه بدون قتال ، واعتقل حواش افندى وسمى فضل المولى افندى نفسه منقذ المديرية التى صارت عرضة للخطر من جراء سوء ادارة المدير العام ودسائسه . وكانت الافكار قد أعدت اعدادا تاما حتى انه لم يخطر ببال احد تعنيفه أو لومه وأقيمت حكومة مؤقتة .

وخفض امين باشا جناحه ورضى بما خط له القدر فى عالم الغيب ولم يقم بأى عمل يمحى ما لحقه من الاهانة ويرفع شأنه . وحكى كازاتى ان الباشا لم يقتصر على عدم الاصغاء لمشورته بان لا يجاوز وادلاى فحسب بل أجاب فيتا حسان الذى قدم له هذه المشورة نيابة عنه بقوله :

« ليس لدى الآن ما اخشاه لأنى قابض على ازمة الأمـــور ومعى رجل انـكليزي » .

وكان فى تلك الساعة كل ما يستطيع هـذا الانـكليزى عمله هـو ان يشاطر المدير العام نحس طالعه وسوء بخته .

وفى ٩ سبتمبر قبيـــل الساعة الثالثة مساء ألقت البـاخرة الخديو مرساتها تجاه تونجـــورو وخرجت الحامية لملاقاتهـا وهى قلقة مضطربة . وبعد ذلك بقليـــل رأى كازاتى وكان قد ظل باقيا بهـذه المحطة جفسن قادما وسيماه تدل على الكآبة وقص عليه الامور المحزنة التى شاهدها . ولم يكن على كازاتى شىء أسهل من ان يذكره بالنصائح التى قدمها اليه . ولـكنه امتنع عن ذلك ورأى ان الوقت لم يحن بعد لابداء هذه الملاحظة وشجعه على قدر ما استطاع ووعده بأن يبذل كل ما فى امكانه .

وقد أثرت هذه الاخبار فى كازاتى وآلمته أشد الألم إلا انهـا لم تحدث فى نفسه دهشة البتـــة . ورغم أن ما حدث كان نتيجة عـــدم اصغاء امين باشا لمشورة كازاتى رأى هذا ان ذلك لم يقلل من واجبـــه فى السعى لانقاذه من الورطـــة التى وقع فيها وارجـــاع سلطته التى أمسى مجردا منهـا .

وسهل مهمة كازاتى هذه أمر صدر من حكومة دوفيليه المؤقتة الى قائد تونجورو بمراعاته كل المراعاة هو واتباعه ودعوة هـذه الحـكومة له أن يذهب الى دوفيليه اذا اراد ان يجتمع بالباشا وان يشترك فى مداولة الجمعية العمومية التى ستنعقد هناك .

واستولى مندوبو الحكومة المؤقتة الذين قدموا مع الباخرة الخديو على المخازن وانطلقوا يفتشون منزل فيتا حسان تفتيشا دقيقا وارتكبوا فى اثناء ذلك فظاعة أثارت غضب كازاتى وأحفظته . وأدتهم شدة التحمس الى أن يعاملوا قائد المحطة سليمان افندى معاملة المشبوهين وهو ما كان يترقب بلا ريب ان يعامل هذه المعاملة جزاء رفعه لواء الثورة فى مقدمة المتمردين .

وكان هذا الوفد مؤلفا من ستة أعضاء بين موظفين وضباط وعلى رأسه اليوزباشى احمد افندى الدنكاوى . واستدعى هذا الوفد الحامية ان تجتمع بتمامها وعرض عليها قصة الثورة والغرض المزدوج الذى ترمى اليه وهو تحرير المديرية وانتصار العدالة التى يجب ان تسود جميع الاراضى التابعة للخديو . وهذه خلاصة ما ذكره اليوزباشى :—

« لقد جر المدير العام على المديرية التى فوض اليه أمر حكمها العار والشنار بأعماله التعسفية وقسوته واختلاسه لأموال الحكومة واستعمال طريقة المحسوبية مدة خمس سنوات متوالية . وزاد اليوم الطين بلة بان اضاف الى جرائمه السابقة جريمة بيع المديرية للانكليز . اما الآن فقد حانت المطالبة بحقوقنا المهضومة فأزحنا نير الرق عن كاهلنا وأقمنا حكومة جديدة رمزها : النظام والعدالة » .

وقد قوبلت هذه الكلمات من الجميع بالاستحسان وصفقوا لها تصفيقا طويلا .

وفى ١٣ سبتمبر سافر الوفد الى مسوه وبعد ان أبدى شكرى افندى قائد هذه المحطة بعض الاعتراضات أمر الوفد بنقل الثلاثين صندوقا المعبأة مظاريف رمنجتون التى كان أحضرها استانلى وأودعها فى مخازنها ، الى دوفيليه .

ولما كان الوفد قد بارح دوفيليه اذيع ان حملة استانلى رجعت وكان هذا هو السبب الذى من أجله حصل جفسن على اذن بأن يرافق الوفد الى تونجورو و مسوه ولكن هذا الخبر كان بعيدا عن الصحة .

وبعد ان فتش الوفد المخازن ورتب الاعمال الادارية عاود ادراجه ومعه كازاتى و جفسن الى وادلاى التى أمست قاعدة الحكومة والتجأ اليها عدد كبير من الموظفين لاسيما المصريين .

وفى ١٨ سبتمبر وصل الى وادلاى وانعقد فى نفس مساء ذلك اليوم مجلس عام مؤلف اغلبه من ضباط وموظفين مصريين . وكان الغرض من هذا الاجتماع وضع خطة لعرضها على المجلس فى دوفيليه فانتهز المصريون هذه الفرصة للقبض على ناصية الاعمال ولم يتركوا وسيلة إلا اتخذوها ليحولوا دون ابداء اية ارادة ترمى الى التزام فضيلة الاعتدال . وكتبوا عريضة اتهام أبانوا فيها ما تكنه صدورهم من حفائظ للمدير العام وفوض المجلس للبعض من اعضائه الاستمرار فى كتابة الطلبات .

وأقلعت الباخرة وبعد سفر يومين وصلت الى دوفيليه وذهب جفسن

فى الحـــال الى منزله الذى كان مـنزل الباشا ايضا . أما كازاتى فقصد رأسا الى فضل المـــولى افنـدى رئيس الحكومة المؤقتـــه وحصل منـه بلا عنـــاء على إذن بالسكن مع امـــين باشا وبأن يحضر ايضا جلسات المجـــلس الذى كان سيتداول عمـــا قريب فى شأن مصير المـديرية .

وتوجه كازاتى بعد ذلك الى مسكن الباشا و فيتا حسان وصافحهما متأثرا وطلب منهما ان يضعا فيه ثقتهما وان يتشجعا .

انعقاد جمعية من الضباط لاتخاذ التدابير الكفيلة
لتوطيـد النظـام الجديد

وعندما أثار الحزب العسكرى هذه الحركة لم يكن يرمى الى خلـع المدير العام بل كان قصده فقـط ان يضم اليـه مجلسا يشاطره المسئوليـة فى ادارة اعمـــال المـديرية . غـير ان المصريين لم يرتضوا ذلك وتوصـلوا بواسطة تفـوقهم الذى يكفله تعليمهم الى ان يحصلوا على عمـــل تحقـيق ادارى واتهـام امـــين باشا وفيتـا حسان والبكباشى حواش افندى قائد الاورطة الثانية .

وفتحت الجمعية العمومية جلستها فى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٨ م وكان بجدول اعمـالها هذه المسائل . وبعد ان تلى عليها بيـان الاسبـاب التى اقتضت اتخاذ هذه التدابير الصارمة ضد المـدير العام وشريكيه فى الجـرائم ، قرر احالة دراسة الاصلاحات الكافلة لعدم الاخـلال بالشرائع والحقـوق واحترام الشخصيات فى المستقبل الى لجنة عسكرية .

ولم يرض المتطرفون بهذا القرار وعقد المصريون ليلا اجتماعا سريا بمنزل اليوزباشي على افندى جابور وهو رجل سودانى حقود بغيض للآراء المعتدلة التى كان يعاضدها فضل المولى افندى .

وتناقشوا فى هذا الاجتماع فى الوسائل اللازم اتخاذها لاغراء الجمعية وانتزاع قرار منها تكون عاقبته قلب الادارة ظهرا لبطن .

واستدعى فى اليوم التالى بعض الاعضاء وقدم ثلاثة من شياطين الدساسين وهم صبرى افندى والطيب افندى من الموظفين والضابط مصطفى افندى احمد ، عريضة اتهام ومشروع أمر بعزل امين باشا واقالة فيتا حسان ووقف البكباشى حواش افندى . وكان هؤلاء الثلاثة يرون فى انفسهم شدة العزيمة وقوة الشكيمة ارتكانا على معاضدة على افندى جابور واتباعه لهم .

تنصيب القائمقام حامد بك على المديرية
بدلا من امين باشا

وبعد المداولة قررت الجمعية باجماع الآراء استمرار حبس الثلاثة المتهمين وترقية البكباشى حامد افندى قائد الأورطة الأولى الى رتبة قائمقام وتعيينه محل المدير .

وأعلن فى اليوم عينه هذا الأمر موقعا عليه من المدير الجديد الى أمين باشا . وأشار عليه كازاتى بالاذعان له فامتثل ولكن جفسن عارض لأن ذلك يكون بمثابة سابقة رديئة .

وأغار الجنود على منزل البكباشى حواش افندى وصادروا ممتلكاته وأخذوا يسبونه ويستعملون معه الخشونة . وكان حواش افندى مكروها فى كل أرجاء المديرية لمداومته على الانغماس فى التعسف وارتكابه المظالم وتأثيره على أمين باشا تأثيرا مهلكا .

محاولة نفى المدير العام و فيتا حسان و حواش افندى

وخطر ببال الثوار فى نهاية الأمر احتمال رجوع استانلى بين لحظة وأخرى . وتقرر فى جلسة علنية الاعتراف بأنه مندوب الحكومة الخديوية ومفاوضته مباشرة بصدد اخلاء المديرية والعودة الا أن أولئك الذين كانوا اندفعوا أكثر من غيرهم فى تيار الثورة لم يشتركوا فى المناقشة وتآمروا فى الخفاء على أن يحولوا دون اطلاع استانلى على مجرى الأحوال ويستولوا على الذخيرة التي بعث بها الخديو واتفقوا كذلك فيما بينهم على استبعاد الثلاثة المعتقلين الى محطات الشمال حتى لا يتمكنوا بأى وجه من الوجوه من التعلق بأذيال الفرار .

وكان كازاتى يحضر بموجب الاذن الذى كان قد أعطى له جميع جلسات الجمعية التى كان لا بد من رفع قراراتها فيما بعد الى سمو الخديو ليوافق عليها . وكانت له كذلك علاقات متصلة الحلقات مع الضباط والموظفين الاكثر نفوذا . وكان جفسن يرافقه بعض المرات فى هذه الزيارات . ولم يقصر فى هذه الفرصة عن ان يوضح لهم ان الاستبعاد الذى عقدوا الخناصر عليه ان هو إلا اساءة استعمال للسلطة .

وفى صبح يوم ٢٨ سبتمبر نبه البكباشى سليم افندى مطر كازاتى سرا الى أن جمعا مؤلفا من بعض رؤوس الثوار اجتمع بدار اليوزباشى فضل المولى افندى وأخذ فى تحضير امر النفى لكى يقدمه للجمعية العمومية . وعلى الفور أرسل كازاتى الى اليوزباشى المذكور يطلب منه الترخيص له بحضور ذلك الاجتماع فأذن له بذلك وذهب عقب ذلك اليه فوجد لديه زهاء اثنى عشر من اعداء الباشا الألداء .

وكانت الجلسة هائجة وعنيفة وفتحت فى الساعة السابعة صباحا ولم تنته إلا عند الساعة الواحدة مساء . ودافع فيها كازاتى عن أصدقائه وبعد مشاق كبيرة حصل على تأجيل اتخاذ أية وسيلة عدوانية . وتوجه فى نهاية الامر مع سليم افندى مطر من باب الاحتياط الى القائمقام حامد بك ليحصلا منه على وعد بأن يعارض فى كل محاولة تبذل فى هذا السبيل . وفعلا حصلا منه على وعد بذلك .

تفتيش منزلى أمين باشا و فيتا حسان

وكان رئس القومسيون المكلف بتحقيق سياسة امين باشا الادارية رئيس الحسابات الذى كان من هنيهة موقوفا من وظيفته فقرر القيام بتفتيش مسكن كل من الباشا و فيتا حسان لمعرفة ما إذا كانت بها المستندات والبضاعة والذخيرة التى اختفت . وأعلن هذا القرار فى الحال لأمين باشا و فيتا حسان فطلب كازاتى ان ينوب عنهما فأجيب طلبه .

وفى ٥ أكتوبر وصل المندوبون للتفتيش ومعهم كازاتى الى وادلاى ونزلوا الى البر وحاصر الجند منزل امين باشا وابتدأ التفتيش واستعمل فيه

الدقة المتناهية وعند الفراغ منه سلموا الى كازاتى نسخة من المحضر مشمولة بامضاآت المندوبين .

وفى ١٤ اكتوبر صار تفتيش منزل فيتا حسان ولم يراعوا هذه المرة الظواهر مثل المرة السالفة بل اختلس كل ما كان به وأودع المخازن ليرسل منها الى دوفيليه .

وبعد ان انتهى التفتيش أخذ المندوبون فى نهب كل ما وقع تحت أيديهم . وفى خلال انهماكهم فى هذه الملذات استدعوا للسفر الى دوفيليه على وجه السرعة فوصلوا إليها فى ٣٠ منه .

اغارة المهديين على الرجاف

وتلقوا لدى نزولهم بهذه الناحية اخبارا سيئة ذلك ان ثلاث بواخر قدمت من ناحية الشمال وألقت مراسيها امام الرجاف ونزل منها رجال من المهديين وأغاروا على المحطة واستولوا عليها بعد ان قاومتها الحامية مقاومة قصيرة المدى ومات ثلاثة من الضباط وثلاثة من الموظفين بعد أن دافعوا عن مدخل الحصن دفاع الابطال البواسل وقام المهديون بعمل مجزرة مريعة أبادوا فى خلالها كثيرا من الرجال والنساء والاولاد .

وبعد الفراغ من ذلك القتال أرسل عمر صالح نائب المهدى وقائد جيشه خطابا الى أمين باشا مدير خط الاستواء يقص عليه فيه بلاء رئيسه فى الحروب البلاء الحسن ويدعوه الى الاذعان والخضوع ويعد كل من امتثل بالأمان .

وألقت هـذه الرسالة التي أتى بها ثلاثة من الدراويش الرعب والذعر في قلوب الثائرين فتوجهوا الى امين باشا وطلبوا منه ان يمدهم بمشورته . فأبى ان يتحمل أية مسئولية لكنه مع ذلك لم يتأخر عن أن يمدهم برأيه وذلك بأن أشار عليهم بالتقهقر صوب الجنوب ويتحصنوا في تونجورو .

وكانت فاجعة الرجاف قد أسخطت الضباط وأوغرت صدورهم فسافر القائمقام حامد بك مع اليوزباشي على افندى جابور على رأس الاورطة الأولى وأمداد أخرى أخذت من مختلف المحطات . وزحف على موجى بقصد أن يحشد فيها معظم القوات التي في مكراكا ومهاجمة المهديين الذين كانوا قد تحصنوا في الرجاف . وكان الموقف في تلك الظروف قد بلغ أشد حالات العسر . وزاد الضيق عن كل الازمان التي سلفت . وكانت المقاومة بحسب رأى الاغلبية لا يرجى منها خير . بل كانت غير مستطاعة ولذلك أرسل في الحال صوب الجنوب الرجال غير الصالحين للحرب ونسوة الجنود وكتب في الوقت نفسه مكتوبا الى حامد بك بطلب العدول عن الاخذ بثأر الذين ذهبوا ضحايا في واقعة الرجاف واعطاء الأوامر اللازمة لحشد الجنود في دوفيليه إذ أنه من المحقق ان المهديين لا بد أن يستمروا في خطة الهجوم كما أنه من المحقق ايضا ان الجنود لابد ان يعجزوا عن صدهم .

نقل أمين باشا والمسجونين معه الى وادلاى

ولما كان لايوجد في دوفيليه شيء من الأمن والطمأنينة عاد كازاتى الى المفاوضة ملحا في طلب نقل المعتقلين الى وادلاى مبينا الضرورة

القصوى الماسة لوضعهم بمنجاة عن اخطار الهجوم المرتقب حدوثه فى قادم الايام . وصرح فضل المولى افندى بأن لا ينازع فى أحقية هذا الطلب ولكنه يريد ان يؤيده حامد بك فى ذلك . وكان حامد بك فى ذلك الوقت مع الجنود فى كري .

وشجع كازاتى التذمر الذى كان يبدو بين صفوف الجنود فذهب لزيارة البكباشى سليم افندى مطر و اليوزباشى سليمان افندى وأفهمها ان من واجباتها تلقاء المسئولية الملقاة على عاتقهما إبعاد المسجونين إذ من الجائز أن يذهبوا ضحية حدوث عراقيل لا يكون فى استطاعة أحد تجنبها . واستقر الرأى على عقد اجتماع بحضره الضباط وحدهم نظرا للحالة الحاضرة .

وفى ١٥ نوفمبر وردت أخبار نكبة ثانية . ذلك أن المهديين هزموا الجنود التى يقودها القائمقام حامد بك على مسافة قليلة من الرجاف ، وشتتوا شمل الجنود وان القائمقام وبكباشيا وثلاثة يوزباشية ولفيفا كبيرا من الجنود قتلوا فى الميدان . وكان الخطر متوقعا حدوثه فى القريب العاجل واختلال النظام بلغ غايته لدرجة فقد معها كل صوابه . وكذلك لم يحتج أى كائن عندما أخذ البكباشى سليم افندى مطر على عهدته فى صبح اليوم التالى الاستيلاء على القيادة العليا . وكان أول أمر وجه اليه التفاته الوفاء بوعده فاجتمع الضباط بهيئة مجلس ووافق على نقل المعتقلين وأعلن القرار حسب المعتاد الى الموظفين المدنيين . وعند الظهيرة أخبرت لجنة مؤلفة من الضباط الباشا بذلك وانصرف الحرس الذى فى مدخل داره .

وفى صبح يوم ١٧ نوفمبر صعد امين باشا على ظهر الباخرة الخديو المكلفة بنقله هو وحاشيته الى وادلاى وكانت المدافع أثناء صعوده تدوى فى الفضاء والعساكر تؤدى له التحيات العسكرية . ولدى وصوله الى هذه المحطة قوبل مقابلة حماسية فكان جميع الناس واقفين على قدم الاستعداد وبادر رجال الحكومة بالالتفاف حوله مبالغين فى الاحتفاء به وتقبيل يديه وهتفت الجنود له ودوت المدافع ولاحت عليه سيماء الدهشة عندما رأى كل هذه الحفاوة . ثم توجه الى مسكنه ورغما عنه وجد نفسه مكرها على استقبال الضباط والموظفين الذين كانوا قد أتوا ليقدموا له عبارات التبجيل والاكرام .

وكان لغاية ٤ ديسمبر لم يرد أى خبر من دوفيليه . وفى هذا التاريخ ليلا رجع اليوزباشى حمد افندى مسرعا من قرية بورا Bora حيث كان يقيم فى طلب الحبوب منذ عدة أيام . وبينما هو قائم باعباء هذه المأمورية ألزمه شيخ القبيلة السفر الى وادلاى وما ذلك إلا لأن المهديين كانوا قد هاجموا محطة فابو واستولوا عليها وحاصروا دوفيليه بمعاونة الأهالى .

وكان هذا الخبر من أشأم الاخبار وأفظعها لأنه قد يحتمل أن تكون دوفيليه قد سقطت قبلا فى قبضة العدو وقضى الأمر . وأصبح فى استطاعة المهديين بمعاونة الباخرتين النزول فى وادلاى بدون أى تأخير وبما أن هذه المحطة ليس بها شىء من وسائل الدفاع التى يمكن التعويل عليها صار من اللازم الاسراع بالتوجه الى تونجورو عن طريق المرتفعات .

وبما أن القارب الحديد وهو الذى أحضره جفسن فى حملة استانلى كان قد أغرق بعد أن صار تحطيمه وأمسى لا يصلح لشىء ما صار توزيع الذخيرة على الجند وتركت المؤن التى لم يتيسر نقلها . وفى بكرة اليوم التالى فى أول ساعة من النهار اتخذ الجنود سبيلهم فى البر وساروا بلا ترتيب ولا نظام .

وفى الساعة التاسعة أذيعت اشاعة مقتضاها أن الباخرتين وصلتا الى وادلاى تحملان العلم المصرى . وفى الحال وقفت الحملة وعاد الجنود والمستخدمون الى الادبار ليتأكدوا من صحة الخبر ومن بقى منهم بعد أن قضى الليل سافر فى الغد وبلغ قرية فاجونجو Fagongo الواقعة قرب مجرى النيل .

هزيمة المهديين

وبعد قليل أذيع أن الباخرة الخديو صارت على مدى البصر ثم وصلت وألقت مرساتها فى خليج صغير تحت القرية . ونزل منها الى البر ضابط وأخبر أن المهديين بمساعدة أهالى موجى ولابوريه قاتلوا جنود دوفيليه مدة ثلاثة أيام ودخلوا لغاية المحطة ولكن اضطروا فى نهاية الامر الى الانسحاب . وانقلبت حركة تقهقرهم فى ٢٨ فبراير الى هزيمة تامة وتركوا من رجالهم عددا كبيرا فى حومة القتال . واقتفى أثرهم فرقة من الجنود فلحقت بكثيرين من المتخلفين وجرعتهم كأس المنون .

وبما أن الذخيرة كانت قد نفدت فقد استقر بهم الرأى على اخلاء دوفيليه والرجوع الى وادلاى .

وطلب الضابط بعد ذلك من الباشا أن يذعن للامر الذي كان يحمله وهو يقضي برجوعه الى وادلاى حيث كان فى العزم عقد جمعية عامة لاتخاذ قرار بشأن اعادة تنظيم المديرية . غير أنه نظرا لكون أمين باشا كان قد صمم على الذهاب الى تونجورو قرر الضابط أن يرافقه ويتوجه معه صوب البحيرة .

أما الحركات العسكرية التى اتخذت فى دوفيليه والمعركة التى حامت حولها بغرض الاستيلاء عليها من قبل المهديين فقد ذكر تفصيلاتها البكباشى سليم افندي مطر فى خطاب بعث به الى أمين باشا وهذا الخطاب مذكور فى صلب تاريخ المديرية عن هذا العام .

إخلاء دوفيليه

وأخليت دوفيليه خلافا للعادة المتبعة فى البلد بسرعة البرق وحملهم على ذلك بلا جدال عامل الخوف الذى يقال إنه يخلق للانسان أجنحة . فبدءوا أولا بتكديس الأسر فى وادلاى لترسل فيما بعد بالتدريج الى تونجورو ومسوه . وانما الذى كان يؤسف له فقط هو خلو المخازن من الحبوب .

وفى ١٦ ديسمبر نقل اليوزباشى سليمان افندي الذى كان جرح جرحا بليغا فى فخذه فى واقعة دوفيليه الى تونجورو . وعالج امين باشا الذي كان من شيمته الاحسان الجريح غير أن جروحه كانت بالغة لدرجة لم يستطع معها الطب انقاذه فتوفى المسكين فى ليلة ٢٩ منه متأثرا بجراحه وعين الملازم الأول صالح افندى محله قائدا فى تونجورو .

ولا بد لنا أن نذكر أيضا بين ضحايا الحرب اليوزباشى احمد افندى الاسيوطى الذى قضى نحبه فى وادلاى متأثرا بجراحه . فقد أصيب برصاصة فى خلال دفاع مجيد امام باب دوفيليه فأبى أن يبتعد عن ساحة الحرب واستبسل فى القتال الى أن أصابته رصاصة ثانية فى رأسه فهدت قواه وعجز عن الاستمرار فى النضال .

اختلاف الثوار فى أمر أمين باشا ومن معه

ولم تشأ اللجنة الثورية أن تعترف بسلطة سليم افندى مطر . وأكره هذا على إبعاد البكباشى حواش افندى الى وادلاى وكان فى تونجورو على أثر الترخيص الذى حصل عليه أخيرا . واقترح فى جلسة الاكتفاء بعزل أمين باشا واتخذ من اخلاء وادلاى ونهب المخازن علاوة على الاسباب التى سبق عرضها على الجمعية العمومية فى دوفيليه فى سبتمبر ، مبرر لهذا الاقتراح فوافق الجميع عليه . وتقدم اقتراح آخر القصد منه صدور أمر رئيس المديرية بتكبيل امين باشا بالاغلال الى أن يحين تسليمه للعدالة الخديوية واعدام فيتا حسان و كازاتى و جفسن و ماركو جسبارى (وهذا الاخير تاجر يونانى) شنقا جزاء حملهم الجنود على اخلاء وادلاى ابتغاء ايقاع جنود دوفيليه فى خطر أعظم .

وثارت ثائرة سليم افندى مطر تجاه هذه المزاعم التى بلغت غاية السخافة وجاوب محاولا تضييق دائرة التمرد والعصيان والاخلال بالنظام الآخذة فى الاتساع يوما فيوما .

واقترح هو الآخر عقد جمعية عمومية فى وادلاى عند ما يتم اخلاء

دوفيليه يترك لها أمر استقرار نظام المديرية النهائى ومسألة الاياب الى ديار مصر . وكان يريد الذين اشتهروا أكثر بحصافة الرأى من بين أولئك الذين التفوا حول البكباشى إما رجوع الباشا الى منصبه أو اخلاء المديرية على الاقل . وتتألف أغلبية هذا الحزب من الضباط ومن عدد من المستخدمين المصريين المسلمين والاقباط .

ويتألف الحزب المعارض الذى يرأسه فضل المولى افندى من قليل من الضباط وعدد لا يذكر من الموظفين وكثير من الدناقلة وهم على وجه العموم من الذين تورطوا أكثر من غيرهم فى اشعال نار الثورة وجروا فى تيارها ولذلك كانوا يصرون على عدم مبارحة البلد ويعضون بالنواجذ على البقاء .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الاول للعام القادم .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٨ م

حملة استانلى

من ابتداء تكوينها إلى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٨ م (١)

عند ما بترت الثورة المهدية مديرية خط الاستواء من جسم مصر بقيت هذه المديرية منعزلة عن العالم المتمدين كجزيرة فى وسط الاوقيانوس . وكان يندر ورود أخبار منها . وكانت تلك الاخبار تأتى بواسطة التجار الزنزباريين الذين يتبادلون المتاجر مع اوغندة أو المبشرين الانكليز المقيمين فى هذا البلد .

وهذه الاحوال اضطرت أمينا باشا بحكم الطبيعة الى الاستنجاد . ويبدو أن أول شخص وجه اليه نداءه كان الدكتور فلكن وهو عضو من أعضاء البعثة الانكليزية المقيمة فى اوغندة وكان قد قضى بعض السنين فى هذا البلد كما سبق القول وله صلة ود وصداقة بأمين باشا ونزل فى ضيافته عدة مرات عند ذهابه الى البلد المذكور وايابه منه . وكانت صداقتهما وثيقة لدرجة ان امينا باشا عهد اليه تنفيذ وصيته .

وكان الدكتور فلكن بعد ان عاد من اوغنده فى عام ١٨٧٩ م

(١) — راجع الجزء الأول من كتاب « حياة أمين باشا » تأليف تشويتزر Schweitzer وكتاب « في ظلمات افريقية » تأليف استانلى .



مستر أستانلي

اتخذ له مقرا فى انكلترا وفى هذا البلد وصلت اليه استغاثة امين باشا فى اكتوبر سنة ١٨٨٦ م .

وهذه الاستغاثة كانت قد كتبت فى وادلاى فى ديسمبر سنة ١٨٨٥ م . وان هو الا ان تناولها حتى أخذ يعمل ونشر الاستغاثة فى المجلة الجغرافية الاسكتلاندية Scotish Geographical Magazine بعددها الصادر فى ٢٣ نوفمبر عام ١٨٨٦ م . وانعقد مجلس الجمعية الجغرافية الاسكتلاندية Scotish Geographical Society فورا بحضور الدكتور فلكن الذى ألح فى طلب بذل المساعى لدى الحكومة البريطانية للحصول على معاضدة من جانبها فى سبيل ارسال مدد لامين باشا .

وبعد المداولة قرر المجلس السالف الذكر باجماع الآراء ما يأتى : (١)

« نظرا للخدم الطويلة والمتعددة التى قام بها الطبيب امين بك فى خلال الاثنى عشر شهرا المنصرمة فى أواسط افريقية لعلم الجغرافية وللعلوم الأخرى المماثلة له سواء أكان ذلك بمجهوداته الشخصية أم بالمساعدة التى كان يقدمها على الدوام للرواد والرحالين يرى المجلس انه يستحق المعاضدة والمعاونة من جانب الحكومة البريطانية .

« وان المجلس لا يقترح ارسال أية حملة عسكرية بل من رأيه ان فى استطاعة حكومة جلالة الملكة ان تقوم بهذه المهمة بنجاح بواسطة حملة للانجاد سلمية .

---

(١) — راجع مقدمة كتاب « حياة أمين باشا ص ٢٣ » .

« ومن الواضح الجلى ان اجتياز حملة من هـذا النوع اقطارا لم تطأ بعضها الى الآن قدم رحالة ، يساعد كثيرا على توسيع دائرة معارفنا عن جغرافية افريقية » . اه

وأرسلت صورة من هذا القرار الى ايرل ايديسلى Earl of Iddesleigh وزير الخارجية بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٨٦ م وأرسل الرد بوصولها فى ٤ ديسمبر من هذه السنة وقال فى اجابته ان حكومة جلالة الملكة واضعة هذه المسألة موضع النظر .

وأوجد عمل الجمعية الجغرافية الاسكتلاندية اهتماما عظيما فى انكلترا فيما يتعلق بهذه المسألة وانتهز الدكتور فلكن هذه الفرصة السانحة ليحرض على انجاحها وذلك بالكتابة فى الجرائد الانكليزية الهامة .

لقد كتب الهر تشويتزر Herr Schweitzer مؤلف كتاب « حياة أمين باشا » بالصفحات من ٢٦١ الى ٢٦٥) ان الجمعية بعملها ترمى الى مقاصد سياسية لا علمية . ونقل فصلا من جريدة من جرائد برلين المسماة « داى بوست Die Post » الصادرة فى شهر يوليو سنة ١٨٨٤ مذكورا به محاولة أصحاب رءوس الاموال فى لوندرا تأليف شركة باسم « جمعية السودان الملكية » لتستولى على السودان وتحل المسألة المصرية بأبسط وأخصر طريق .

وبالطبع جاهر الدكتور فلكن بعدم صحة هذه الرواية واستمسك بوجهة نظره قائلا ان هذا العمل هو لمحض خير الانسانية وقد دعاه للقيام به الصداقة المتينة التى تربطه بأمين باشا . ومن الجائز ان هذا كان رأيه

الشخصى ولكن هذا النداء صادف على كل حال آذانا مصغية واستغلته المطامع الاشعبية التى وجدت من ازمان بعيدة كما برهنت على ذلك الحوادث التى وقعت فيما بعد .

وعين أمين باشا بالتدقيق فى رسائل أخرى كتبها الى الدكتور فلكن بعد الرسالة السالف ذكرها الخطة التى يريد اتباعها فهو قبل كل شىء يشترط كفالة مركزه الخاص ببقائه حيث كان بوصف أنه مدير مدى الحياة تابع لنقابة انكليزية تتسلم مديريته بعد ان تخليها الحكومة المصرية ويبارحها الضباط والموظفون المصريون إذ انه لا يريد ان يقيم إلا مع جنود سودانيين يضعهم تحت تصرف النقابة التام مبينا الاقتصاد الذى يحدثه هذا الترتيب بسبب الاستغناء عن ارسال حملة مسلحة .

(ويرى من خلال تاريخ المديرية ان هؤلاء السودانيين أنفسهم هم الذين ظلوا على عهد الولاء للحكومة المصرية الى آخر لحظة وعزلوا أمينا باشا واعتقلوه عند وصول حملة استانلى لاعتقادهم انه اتفق مع الانكليز على بيعهم لهؤلاء هم والمديرية صفقة واحدة .

اما فكرة الاستقلال فلم تك حديثة العهد عند امين باشا لانه اعترف فى خطاب أرسله الى الدكتور فلكن ـ انظر ص ١٦ من كتاب حياة امين باشا ـ انه عرض على عبد القادر حلمى باشا حكمدار السودان العام ان يفصل ادارة مديريته عن السودان) .

وتحرك الدكتور فلكن مرة أخرى عند ما صارحه امين باشا بنياته الحديثة ابتغاء ايجاد النقابة التى ينبغى ان يعهد اليها تسلم زمام المديرية

والعساكر السودانيين الذين عرضهم امين باشا عليه . ولم يمض وقت طويل حتى وجدت شركة افريقية الشرقية الامبراطورية البريطانية Imperial British East Africa Company التى ما كانت تتوق الى شىء أحسن من ان تتم مسألة كانت تطمح اليها الابصار وتصبو اليها النفوس من أمد بعيد فعقدت اتفاقية مؤقتة موقوفة على اعتماد من امين باشا ومن مقتضيات هذه الاتفاقية ان ينقل امين باشا إلى الجمعية جميع الحقوق المتعلقة بالارض وغيرها من الحقوق التى اكتسبها فى المديرية المذكورة وتتعهد الجمعية من ناحية أخرى ان تبذل مجهوداتها قبل الحكومة البريطانية لتحملها على التصريح بأن المديرية أمست تابعة لها وان تتكفل لامين باشا بأن يعمل فيها بوظيفة مدير مدى الحياة .

(وهنا يتساءل المرء عن الحقوق التى اكتسبها امين باشا فى مديرية من ممتلكات مصر حتى يكون له حق التنازل عنها ؟) .

وأرسلت هذه الاتفاقية إلى امين باشا بعد سفر استانلى . ومن المحتمل أنها لم تصل اليه الا بين الزيارتين اللتين أداهما له هذا فى معسكره بالقرب من بحيرة البرت نيانزا . وكانت مراجل الثورة تغلى عند ذاك فى ارجاء المديرية وغير ممكن ابرام أية اتفاقية من هذا القبيل كما يعلم ذلك بداهة وقضى على المسألة القضاء الاخير . ومما لا بد من ملاحظته هنا ان هذه الجمعية هى ذاتها التى امتلكت فيما بعد اوغندة ومديرية خط الاستواء بعد مغادرة امين باشا لها لتسلمها للحكومة الانكليزية عقب ذلك .

ومع ان قرار الجمعية الجغرافية الاسكتلاندية ونداءها للحكومة البريطانية لم يلقيا تلبية لكنهما مع ذلك أتيا بثمر . وذلك ان رجلا من

اسكتلاندا حيث تقيم الجمعية الجغرافية المذكورة التى لفتت نظر الحكومة الانكليزية الى نجدة امين باشا ، وهو السير ويليام ماكينون فكر منذ ان وضع القرار الأول فى تأليف لجنة لجمع الاموال للشروع فى تكوين حملة لنجدة أمين باشا. ولم يكن الغرض من ارسال هذه الحملة الحصول على مأرب سياسى فحسب بل على مأرب تجارى أيضا لانه كان من المعلوم فى انكلترا ان أمينا باشا كدس فى وادلاى كمية وفيرة من العاج وان فى امكان الحمالين الذين يستخدمون فى نقل المواد اللازمة لامين باشا ان يتولوا احضار تلك الكمية . وكانوا يقدرون ان هذا العاج عند ما يباع يغطى ثمنه نفقات الحملة بل ربما فضل بعد ذلك ربح . وهكذا يصاد عصفوران بحجر واحد .

وقبيل آخر عام ١٨٨٦ م كان السير ويليام ماكينون قد قطع شوطا بعيدا فى المحادثة مع استانلى فى هذا المشروع والمبلغ اللازم لتنفيذه . وبما أن أغلب أصدقاء السير ويليام كانوا فى تلك الآونة غائبين فلم يشأ مطلقا أن يقرر هو وحده أمرا بصدد طرق السفر ووسائله . ولكن نظرا لتصميم استانلى على القيام برحلة الى امريكا تقرر ان يقوم السير ويليام المذكور بعمل اللازم لجمع الاموال وان يبعث ببرقية الى استانلى حالما ينتهى من ذلك .

وأقلع استانلى الى امريكا وبعد ان أقام بها اسبوعين جاءته برقية منبئة بالحصول على المال وفيها حض له على الاسراع فى الاياب . وفى الحال أقلع ووصل الى انكلترا قبيل آخر عام ١٨٨٦ م .

وبلغ المال الذى كان قد جمع عشرة آلاف جنيه انكليزى بشرط أن

تمنح الحكومة المصرية مبلغا يضارع هذه القيمة . وقد قبلت هذه الحكومة هذا الشرط وبذا أمسى ارسال الحملة من الامور المبتوت فيها .

وإنها لغريبة تلك الحكومة القصيرة النظر التى تنفق اموالها فى سبيل ترك أرضها وجنودها لغيرها .

أما من جهة أن الحملة كانت ترمى الى مقصد سياسى ألا وهو ابتلاع مديرية خط الاستواء وإعطاؤها للحكومة البريطانية فليس لدى أحسن من أن أذكر شهادة شاهد عدل خال من الغرض والتحيز وهو الاب شينز Schynse عضو جمعية المرسلين الجزائريين الذى كان مقيما فى محطة بوكومبى Bukumbi عند بحيرة فكتوريا نيانزا مع مرسل آخر وهو الاب جيرولت Girault .

طلب هذان المرسلان حين مرور حملة استانلى عائدة الى زنزبار من استانلى ان يأذن لهما بالمسير مع الحملة لغاية الساحل فأجيب طلبهما . وبذا اختلطا بأمين باشا اختلاطا طال أمده وعاشراه معاشرة يومية كما اختلطا بأعضاء الحملة وعاشراهم وعلى ذلك كان فى استطاعتهما ان يحصلا على معلومات لا يمكن أن يتسرب الشك فى صحتها .

واليك ما سطره الاب شينز فى جريدة رحلته فى قلب افريقية مع استانلى وامين باشا ص ١٦٠ : —

« ان كثرة اتصالنا بضباط الحملة أدى بنا الى كشف أشياء جمة يتبين لنا من خلالها بجلاء القصد والغاية من هذه الحملة . على اننا لو حكمنا بالظواهر لرأينا أنها نجحت وان أوربا ستحتفل بنجاحها غير ان هؤلاء الابطال الصناديد غير راضين فى الواقع ونفس الامر عن النتيجة

ولا يتحرجون من الاعتراف بخيبة الامل وهاك ما قالوه : « لقد هلك منا خلق كثير وذهبت اموال كثيرة ضياعا وقضينا عامين ونصف عام فى بؤس وشقاء ومع ذلك فما الذى حصلنا عليه ؟ لقد أحضرنا معنا عددا من داخلية افريقية من الموظفين المصريين المرتشين الذين لا يرجى منهم خير ومن يهود ويونان وأتراك لا يقرون لنا بجميل حتى أن كاراتى نفسه انقلب متوحشا وصار لا يساوى مشقة انقاذه . اما امين باشا فهو انسان شريف ولكنه لم يكن سوى رجل علم . لقد كنا نظن اننا نجد فى امين باشا جنديا باسلا على رأس ألفى جندى من الجنود المنظمة تنظيما حسنا بحيث لانحتاج ان نقدم لهم سوى الذخيرة ليكفلوا لانجلترا الاستيلاء على خط الاستواء ويفتحوا بحرابهم ممرا لغاية ممبسه . اما الآن فكل هذه الآمال أخفقت وأضحت الصدور منقبضة . واما امين باشا فهو رجل اختبر العالم وعرف دخائله فلا تزين له نفسه المحال بشأن البواعث الحقيقية لارسال هذه الحملة » .

وهاك ما ورد ايضا بالصفحة ٢٠٠ من رحلة المؤلف المذكور :ـ

« وكنت أمضى معظم الاوقات اتحدث فى الطريق الى امين باشا فكان لا يكتم البتة عنى رأيه فيما يتعلق باسباب تأليف الحملة . فكان يقول : وهل يصح فى الاذهان ان رجلا داهية مثل تاجر اسكتلاندى ــ أى سير وليام ماكينون ــ يطرأ على فكره فجأة أن يضحى بمبالغ طائلة فى سبيل انقاذ موظف مصرى ربما لم يكن سمع حتى ذلك الحين انسانا يلفظ اسمه ؟ انهم لم يباشروا ارسال الحملة حبا فى سواد عينى الدكتور امين باشا بل من أجل المديرية التى كان هو على رأسها

ومن أجل عاجها . ولو بقيت ظروف الأحوال كما كانت لكانت الاربعة الآلاف قنطار العاج المودعة فى وادلاى قد غطت بسعة نفقات الحملة وفضل ما يكفى لتكوين احتياطى لعدة سنوات ولكان أمين باشا قد جمع فى خلال ذلك كميات أخرى من العاج . وهكذا كانت انكلترا تضم الى ممتلكاتها مديرية أنيقة بدون أن تدفع فلسا واحدا وتستولى منها على ايرادات تفى بنفقات اتصالها بمبسه . واذا كانوا يعيرون أمينا باشا فانه يلزمه فى مقابل ذلك ان يجعل ما له من النفوذ والمعلومات فى خدمة منقذيه وتحت تصرفهم ويتحول جميع ذلك الى مضاربة تجارية كثيرة الارباح .

« واختتم الدكتور كلامه قائلا : انى لشاكر لاولئك الأماجد على ما صنعوه غير انى أدركت الغرض الحقيقى من الحملة من أول محادثة حصلت بينى وبين استانلى فانه وان لم يبد اقتراحا مباشرا لى فانى مع ذلك شعرت بان وراء الاكمة شيئا آخر غير محض الرغبة فى ارجاع بعض الموظفين المصريين » . اه

أما فيما يتعلق بالوجهة التجارية فان الحوادث التى حدثت فى المديرية حالت دون تحقيق شىء منها وحبطت هذه المسألة من جميع وجوهها . ولكن ما أهمية ذلك بالقياس الى الفائدة الحقيقية ذات الاهمية التى اكتسبوها ألا وهى اقتلاع رئيس المديرية من وظيفته ذلك الرئيس الذى يمثل سلطة الحكومة المصرية وزوال تلك السلطة بهذا العمل مع بقاء قوة هذه الحكومة المسلحة والمنظمة . وهذا ما كان ايضا مطمح انظارهم وذلك لكى يجدوا تلك القوة معدة حاضرة فيجندوها ويحتلوا بها

الارض التى كانت تصبو اليها نفوسهم كما حدث بعد ذلك لأنه لم يكن من غرض حملة استانلى قط رجوع الجنود المقيمين فى المديرية الى اوطانهم ولكن كل تصرفاتها كانت ترمى كما رواه كازاتى أيضا الى عمل ما فى قدرتها لتركهم فى البقعة التى هم بها ليستخدموهم فى المشاريع التى كانوا مبيتين القيام بها .

وعند ما جمع المال جد استانلى فى جمع رجاله . وهاك أسماء الاشخاص الذين تألف منهم أركان حربه :ـ

الماجور بارتلوت Le Major Bartlelot ، و الكابتن نلسون Le Captaine Nelson ، و اللفتنانت استيرز Le Lieutenant Stairs ، و الدكتور پارك Le Docteur Parcke ، و المستر بونى Mr. Bonny ، و المستر وارد Mr. Ward ، و المستر تروب Mr. Troupe ، و المستر جمسون Mr. Jamson ، و المستر جفسن Mr. Jephson .

وسافر استانلى من لوندرة فى ٢١ يناير من عام ١٨٨٧ م ودخل القاهرة فى ٢٧ منه وفيها استقبله السير افلن بارنج Sir Evlyn Baring واصطحبه الى داره . وفى الايام التالية قابل الخديو توفيق وناظر النظار نوبار باشا ودعى لتناول الطعام عند كليهما . وقابل كلا من الاطباء شوينفورث وجونكر وهذا الاخير كان قد قدم حديثا من رحلته فى خط الاستواء ، وتباحث معهما فى خطة السير التى يلزم اتخاذها ولكن يبدو انه لم ير فى آرائهما ما يصلح كثيرا للتعويل عليه . وجهزت له نظارة الجهادية ٦٢ جنديا سودانيا زودتهم بلوازمهم . وقد أخذت هذه الجنود من أورطة من أورط الجيش لترافقه فى رحلته بدعوى اقناع عساكر أمين باشا السودانيين بأن الحملة آتية حقا

وصدقا من مصر إلا انه لم يرسل معهم حتى ضابط واحد وكان يقودهم ضابط صف فقط برتبة جاويش .

واختار استانلى من بين مختلف الطرق الماثلة أمامه طريق الكونغو فكانت خطته أن يسافر من ساحل افريقية الغربى ويتخذ سبيله صعدا فى النهر المذكور لغاية آخر نقطة صالحة للملاحة ومن هناك يتوغل فى الغابة الكبرى فيصل الى بحيرة البرت نيانزا من الجهة الغربية .

ولما فرغ استانلى من اعداد معداته سافر من القاهرة فى ٣ فبراير قاصدا السويس . ومن هذه المدينة أقلع فى ٦ منه موليا وجهه شطر زنزبار فدخلها فى ٢٢ من الشهر المذكور وهنا انتقل الى مركب آخر أنزل فيه أيضا ال ٦٢٠ حمالا الزنزباريين الذين كان قد اكتراهم . وفى ٢٥ منه حلوا الاشرعة وأبحروا فى اتجاه مدخل نهر الكونغو حيث القى المركب مرساته فى ١٨ مارس وفى الغد صعد فى النهر ووصل الى آخر نقطة صالحة للملاحة فى ٣٠ أبريل . وفى هذه البقعة أقام معسكرا وترك فيه مؤخرة حرسه تحت امرة الماجور « بارتيلوت » ومعه كل من المستر بونى ووارد وتروب وجمسون وأخذ هو معه الكابتن نلسون واللفتننانت استيرز والدكتور بارك والمستر جفسن ومعهم ٣٨٩ من حماليه وترك ٢٧١ فى معسكر المؤخرة واتجه من ناحية الشرق صوب بحيرة البرت نيانزا .

وكان سفر استانلى فى ٢٨ يونيه عام ١٨٨٧ م وبعد أن تغلب على مصاعب عظام وفقد أكثر من نصف رجاله سواء أكان بالموت أم بالامراض أم بالهرب بلغ بحيرة البرت نيانزا فى ١٣ ديسمبر من عام ١٨٨٧ م على مقربة من كافاللى ومعه ١٧٤ رجلا لاغير . وهناك لم يستطع الحصول على أى

نبأ عن أمين باشا وكل ما أمكنه ان يحصل عليه من الاهالى هو انه كان يوجد رجل من البيض يقطن اونيورو وكان ذلك الرجل هو كازاتى الممثل لأمين باشا وقتئذ فى مملكة كباريجا . ولما كانت المسافة الفاصلة بينه وبين وادلاى طويلة نظرا لضعف رجال حملته قرر العودة الى حصن بودو الذى كان أقامه فى منطقة ابويرى Ibwiri الخصبة التى كان ترك فيها عددا من حملته تحت إمرة الكابتن نلسن الذى كان قد وقع فى مخالب المرض والدكتور پارك .

وأدرك استانلى حصن بودو فى ١١ يناير عام ١٨٨٨ م وهناك أصيب بمرض نشأ عنه زيادة فى التأخر وعاود السفر فى نهاية الأمر فى ٢ أبريل ليحاول الاتصال بأمين باشا وترك الكابتن نلسن فى حصن بودو . ولدى وصوله الى كافاللى سلمه الأهالى ربطة كان أودعها له عندهم رجل آخر من البيض . وهذه الربطة هى عبارة عن خطاب من امين باشا مؤرخ فى ٢٦ مارس يقول فيه انه طرق أذنيه اشاعة أذيعت بين الأهالى فحواها أن رجلا من البيض وصل الى طرف البحيرة الجنوبى فأتى بباخرته الى هذه المنطقة ليتحقق من صحة هذه الاشاعة ولكنه لم يستطع أن يظفر بشىء من الاهالى يسترشد منه عن مرغوبه لخوفهم الشديد من كباريجا وعلى ذلك ترك له هذا الخطاب يرجوه فيه أن يظل فى المكان الذى تسلم فيه الخطاب الى أن يتمكن من الاتصال به .

وقرر استانلى أن يرسل بلا توان تحت قيادة جفسن الزورق المكن فكه الذى أحضره معه وقد أبحر الزورق من كافاللى فى ٢ أبريل صوب محطة مسوه الواقعة — حسب قول الاهالى — على مسافة يومين بطريق البحر

للمسافر على امتـــداد شاطىء البحيرة الغـــربى . وسلمه استانلى خطابا لأمين باشا يحيطه فيه علما بأنه أخذ خطابه وانه زار البحيرة للمرة الأولى فى ١٤ ديسمبر وانه لم يجـــد أى نبأ عنه لدى الاهالى وان هؤلاء لايتذكرون سوى زيارة ميسون بك Mason Bey التى كان قد زارهم فيها قبل ذلك بعشر سنوات حين طاف حول البحيرة بالباخرة نيانزا . وانه قد رجع ليحضر زورقه لكى يتمكن من الوصول اليه . وقص عليه سلسلة الحوادث التى صادفته وتعليمات الحكومة المصرية وطلب منه ارسال مؤن .

وفى ٢٩ أبريل عندما أخـــذ استانلى يسير فى الساعة ٨ صباحا صوب البحيرة وصلت اليه مذكرة من جفسن مؤرخة فى ٢٣ من هذا الشهر مع دليل يخبره فيها بوصوله الى مسوه وان شكرى افندى قائد المحطة أرسل يعلن الباشا الذى كان فى تونجورو بوصوله .

وأخذ استانلى فى السير وبعد ساعتين عسكر على قيد ٤٠٠ متر من شاطىء البحيرة . وشاهد عنـــد الساعة ٤ مساء بمنظاره على مسافة بعيدة نقطة سوداء على صفحات ماء البحيرة فخال لأول وهلة أنها مركب ولكن هبة سوداء بددت الريب وأظهرت أن هذه لم تك سوى دخان باخرة . وأخذت الباخرة تقترب رويدا رويدا ثم رمت مرساتها فى خليج صغير واقع على بعد مسافة من المعسكر .

وفى الساعة ٨ مساء فى وســـط التهليل والفرح الشامل وطلقات تحيات القدوم دخـــل امين باشا وبصحبته جفسن وكازاتى وضابط آخر وقابله استانلى عند المدخـــل فشكره امين باشا معبرا عما يخالجه من العرفان بالجميل على ما قام به من الاعمال فقال له الأول : دعك من التحدث بعبارات

الشكر . وأخذه بصحبته هو والآخرين وجلسوا امام مضربه وامامهم شمعة يستنيرون بنورها .

وقال استانلى انه كان يترقب أن يرى رجلا من الوجوه ذا هيئة عسكرية طويل النجاد نحيل القوام مرتديا كسوة مصرية بالية فاذا به أمام انسان نحيف الجسم وعلى رأسه طربوش أنيق الثياب نظيفها قميصه ناصع البياض متقن الكى والتفصيل ولا ينم وجهه عن مرض أو هم أو غم بل يدل بالعكس على جسم نام وفكر ناعم مطمئن . وعلى النقيض من ذلك كازاتى فانه وان كان أقل من أمين باشا سنا يبدو ضامر الجسم مضطرب البال مفعما بالهموم طاعنا فى السن على صغره وكان أيضا يرتدى ملابس بلغت مبلغا كبيرا فى النظافة وعلى هامته طربوش مصرى .

وقضوا فى هذه المقابلة الاولى ما يناهز ساعتين يقصون بايجاز حوادث رحلتهم والخطوب التى وقعت فى أوربا والامور التى جرت فى مديرية خط الاستواء وموقفهم الذاتى وبعد ذلك شيعوهم لغاية المركب الذى أوصلهم الى الباخرة .

وفى ٣٠ أبريل ذهب استانلى الى أمين باشا ورد له زيارته .

وإزاء الموضع الراسية به الباخرة الخديو كانت طائفة من جنود الباشا السودانيين مصطفة على الضفة تحيت الزائر بموسيقاها . وقال استانلى ان رجاله الزنزباريين الذين يوشكون ان يكونوا عراة بجانب أولئك السودانيين ذوى الهيئة الحسنة هم أشبه شىء بجيش من المتسولين . ولكن ليس لديه ما يوجب خجله منهم لأن أقوياء السودانيين كانوا قد ظهروا أقل مقدرة

منهم كثيرا عندما أريد منهم اتمام عمل مثل الذى قام به رجاله .

وبعد هذه الحفلة الصغيرة الرسمية سلم استانلى لأمين باشا ٣١ صندوقا من الذخيرة من أصل الصناديق التى أحضرها له لأن الباقى تخلف مع مؤخرة الحملة . ثم صعد الى الباخرة وتناول الطعام على ظهرها .

وقال أمين باشا ان الباخرة الخديو بنيت عام ١٨٦٩ م وان طولها ٢٧ مترا وعرضها ٦ أمتار وغاطسها متر ونصف متر . وانه رغما عن بطئها وعمرها البالغ عشرين عاما لم تزل تقوم بخدم جليلة . وكان على متنها عدا أمين باشا كازاتى وفيتا حسان وبعض الموظفين المصريين وواحد ملازم اول وزهاء ٤٠ جنديا .

وانطلقت الباخرة الخديو فى السير وقبيل الظهيرة ألقت مرساتها قرب نسابى حيث كان استانلى أرسل حاشيته لتقيم معسكرا . ونزل استانلى فى هذه المحطة .

وأتى أمين باشا فى العشية ليزوره وتجاذبا أطراف الحديث مدة طويلة بدون أن يتمكن استانلى من التكهن بما قد عقد أمين باشا النية عليه . ومما قاله استانلى ان أمينا يشق عليه كثيرا ترك هذا البلد الذى يشغل فيه وظيفة نائب الملك .

وسلم استانلى أمينا باشا خطابى الخديو ونوبار باشا وأفاض فى بيان الدواعى التى حملت الحكومة المصرية على اخلاء ممتلكاتها فى خط الاستواء .

فأجابه أمين باشا انه فهم جيدا المصاعب التى تقوم فى وجه مصر فيما

لو أرادت الاحتفاظ بتلك الممتلكات إلا أنه لا يفهم جيدا أيضا لماذا يجب عليه هو الانسحاب . يقول له الخديو ان راتبه ورواتب الضباط والجنود تسوى لهم اذا عادوا الى القاهرة ولكنهم اذا ظلوا باقين تقع مسئولية ذلك على عاتقهم مع العلم انه لا ينبغى لهم أن يعتمدوا على أية معونة من جانب الحكومة . وكان خطاب نوبار باشا يتفق مع خطاب الخديو فى المعنى فهو لا يأمره بمبارحة المديرية ويترك له الحرية التامة بأن يعمل حسب مشيئته وهو لا يسمى ذلك أوامر .

وقال له استانلى انه مادام الخديو و نوبار غير موجودين ليجاوباه عن الاشياء التى يريد ايضاحات عنها فى هذين الخطابين فهو مستعد لوقوفه على مجرى الحوادث أن يمده بما عنده من المعلومات . فالدكتور جونكر عندما وصل الى الديار المصرية ذكر أنكم كنتم فى هم وغم ناصب بصدد الذخيرة التى كانت على وشك الفراغ . وانه كان لديكم منها قدر كاف لتحافظوا على موقفكم عاما بل ربما عاما ونصف عام اذا لم يهاجمكم العدو بشدة واذا لم تضطروا أن تقاوموا مقاومة طويلة المدى وانكم تحبون هذا البلد وأهاليها حبا جما ويكدركم أن تروا ما قمتم به من الاعمال لعبت به يد الضياع وانكم تتمنون ان تحتفظ مصر بولايتها وان لم تكن هذه فتكون دولة أخرى أوربية لها قدرة وتريد الاستمرار فى الاعمال التى أخذتموها على عاتقكم وعلى ذلك أول ما خطر ببال وزراء الخديو من تلاوة تقرير جونكر هو انه مهما كانت ماهية التعليمات التى تعطى لكم ومهما كان نوعها فانها لا تحول دون عدم رضاكم عن مبارحة مديريتكم ولذلك قرر الخديو ان يترك لكم الخيار .

ثم قال استانلى أما تعليماته لى فهى ان أسلمكم كمية من الذخيرة وان أقول لكم انى مستعد أن أتولى ارشادكم فى سبيل الخروج من افريقية . هذا اذا أردتم ولكن اذا آثرتم البقاء هنا فان مهمتى تكون قد انتهت .

أما اذا فرضنا أنكم تريدون البقاء لأنكم ما زلتم فى طور الشباب إذ أن سنكم لم تجاوز ٤٨ عاما وبنيتكم مازالت قوية وهذا بالطبع له حد ، فسيأتى يوم تفكرون فيه فى السفر . وعلى فرض أنكم تمكنتم من الوصول الى الساحل فمن هو ذلك الذى يرحل عندئذ رجالكم الى وطنهم ؟ انكم لا تستطيعون ان تترقبوا من مصر أى مدد ما دمتم تكونون قد أبيتم اجابة طلبها . أما اذا كنتم على عكس ذلك تلبثون هنا مدى حياتكم فماذا يكون مصير المديرية عندما تمضون الى عالم آخر غير عالم الدنيا ؟ ان أتباعكم يتنافسون فى طلب الرياسة ويتخاذلون فتنتهى بهم الاحوال الى الخراب والدمار الشامل لاسيما ان المديرية يكتنفها شعوب ديدنها شن الغارات وفى شمالها المهديون وانى لو كنت فى مركزكم ما ترددت طرفة عين عن السفر .

فأجابه أمين باشا بأن ما قاله حق ولكن كيف يتيسر نقل النساء والاولاد الذين ربما بلغ عددهم ١٠٫٠٠٠ نسمة . ولا بد لذلك من عدد جسيم من الحمالين لأنه من المحقق أنه ليس فى الاستطاعة تركهم ومن المستحيل تكليفهم المشى .

فقال استانلى ان من اللازم ركوب الأولاد على حمير وقد قلتم ان لديكم منها عددا كبيرا أما النساء فهؤلاء يمشين . ففى الشهر الأول يسرن مسافة قصيرة غير أنهن يتعودن شيئا فشيئا السير فان النساء اللواتى كن معى

اجتزن كل افريقية . وأما من جهة الماشية فيخال لى أنه يوجد منها فى المديرية الشيء الكثير وما علينا إلا أن نأخذ منها عدة مئات من الرءوس . وأما الحبوب والخضر فهذه نأخذها من البلاد التى نجتازها . والى هنا انتهى الحديث واتفق استانلى وأمين باشا على العودة الى الكلام فى اليوم التالى .

وفى الغد أول مايو نزل أمين باشا الى اليابسة وانتقل الى استانلى وعاد الى حديث الأمس .

وقال أمين باشا لاستانلى ان ما قاله له بالأمس حمله على التفكير فى وجوب مبارحة افريقية . أما من جهة المصريين فهو يعلم أنهم يتمنون السفر ويسره أن يتخلص منهم لأنهم يعملون على اضعاف سلطته ولكنه فى ريب من أمر الاورطتين النظاميتين . لأنهما تعيشان هنا عيشة حرة رضية ورغدة ويعز عليهما ان تجدا نظيرها فى الديار المصرية فاذا عرض عليهما ترك هذا البلد فانهما حتما تجنحان للثورة . وما الذى نعمله عند ذلك ؟ فلو تركنهم وشأنهم يكون هذا بمثابة ضياعهم . ثم قال ان من واجباته ان يدع لهم سلاحا وذخيرة وبعد سفره لا يكون هنالك سيطرة ولا نظام فيتناجزوا ويتخاذلوا ويتفرقوا شيعا وأحزابا وينشأ من ذلك المنافسة والبغضاء فتهرق الدماء وتسيل مدرارا ومن هنا يحيق الخراب بجموعهم .

فأجابه استانلى بأنه مثل امام عينيه منظرا رهيبا وبما انه مع ذلك معتاد على تنفيذ الأوامر مهما كانت عواقبها بالنسبة لغيره فيبدو له أن الذى يجب عليه أن يعمله هو أن يكلف من يلزم بتلاوة أمر الخديو على جنوده ثم يطلب من الذين يريدون السفر أن يصطفوا جهة اليمين . أما الذين يؤثرون البقاء فيصطفون على اليسار وبعد ذلك يهيء فى الحال السفر

للأولين ويترك للآخرين أسلحتهم وذخيرتهم ويفهمهم ان لا أحد بعد ذلك تقع عليه تبعة ما قدر لهم فى عالم الغيب لأن مستقبلهم لا ينبغى أن يعنى أمينا باشا إزاء واجب اطاعة أوامر الخديو .

وقال له أمين باشا انه سيرسل غـدا الباخرة ويرسل معها خطاب الخديو وانه يقلده منة وفضلا لو سمح لواحد من ضباطه أن يحضر امام الجنود فى دوفيليه ويقول لهم انه وكيل الخديو ومكلف باحضارهم . فربما بعدما يكونون قد رأوه وتحدثوا مع السودانيين الذين قدموا من مصر ، يقبلون السفر . وفى هذه الحالة يسافر هو أيضا ولكن اذا ظلوا باقين فهو يبقى كذلك .

فسأله استانلى عما يفعله المصريون اذا بقى هو ؟

فأجابه أمين باشا بأنه عند ذلك يلتمس منه ان يأخذهم معه .

فقال له استانلى انه يجب عليه اذا بقى ان يسطر وصيته بصدد راتبه هذا اذا لم يكن يفكر فى التنازل عنه لنوبار باشا .

فأجابه أمين باشا بأنه يتنازل عنه لنوبار باشا عن طيبة خاطر وانهم فى مصر قد نسوه وأى نسيان وانه عند ايابه الى مصر تقدم له أزكى التحيات ثم يقاد الى الباب ولا يكون أمامه بعد ذلك الا ان يبحث عن ركن من اركان مصر او الآستانة يعتكف فيه الى المات وتلك نظرية لا ترتاح لها النفس .

وهنا انتهى الحديث .

وفى ٢ مايو أبحرت الباخرة الخديو قاصدة مسوه وتونجورو ووادلاى ودوفيليه لاحضار من كان يرغب فى السفر وكذلك لاحضار الحمالين . وكان تقرر ان يمتد غياب الباخرة اسبوعين . وبقى أمين باشا مع كازاتى فى نسابى حيث كان استانلى أقام معسكره .

وفى ٣ مايو قابل امين باشا استانلى مقابلة أخرى وأيد ما قاله له فى المشى بصدد رجاله ذلك أنه يعتقد انهم لا يجنحون للذهاب الى مصر . غير انه نظرا لأن استانلى سيترك له جفسن والسودانيين الذين قدموا من مصر فان هؤلاء سيجدون لهم مندوحة من الوقت ليسمعوا رجاله ما عندهم من المعلومات . وطلب ايضا من استانلى ان يكتب نداء الى الجنود ليبلغهم نص ما لديه من التعليمات ويحيطهم علما بأنه فى انتظار قرارها .

فأجابه استانلى انه يوجد لديه عدا اقتراح الخديو اقتراحان آخران يجب عليه ان يعرضهما على مسامعه وبذلك يكون مجموع الاقتراحات التى لديه ثلاثة وهى :ـ

(١) ـ اقتراح الخديو الذى قد علمه أمين باشا وأجاب عليه بأن رجاله لا يريدون السفر وانهم اذا ظلوا باقين يبقى هو ايضا معهم .

(٢) ـ اقتراح عرضه ملك البلجيك على استانلى ليبلغه لأمين باشا وهو ان هذا المليك مستعد أن يحكم مديريته على شرط ان يكون فى استطاعتها توريد ايراد معقول وان مصروفاتها السنوية لا تتعدى ال ٣٠٠٫٠٠٠ ثلثمائة الف فرنك . واما هو ـ أى امين باشا ـ فيعين بوظيفة مدير وقائد (جنرال) براتب قدره ٣٧٥٠٠ سبعة وثلاثون الفا

وخمسمائة فرنك .

(٣) — والاقتراح الثالث هو انه اذا كان امين باشا معتقدا بأن رجاله سيرفضون اقتراح الخديو القاضى بارجاعهم الى اوطانهم فعليه ان يصاحبه هو وجنوده الى زاوية بحيرة فكتوريا نيانزا الشمالية الغربية حيث يسكنه باسم « شركة افريقية الشرقية البريطانية » وانه - أى استانلى - سيساعده على اقامة حصن له فى ناحية تصلح لمشروعات الجمعية وانه سيترك له باخرته والاشياء التى تلزمه . وعند ايابه يعرض الأمر على اللجنة ويحصل منها على اقرار ما يكون قد تم الاتفاق عليه . وهنا وجه عنايته على أن نزيد على ما سبق ذكره ان ليس لديه تفويض بأن يفاتحه فى هذه المسألة الاخيرة التى أوعزت بها اليه صداقته دون سواها ورغبته الحارة فى انقاذه هو ورجاله من العواقب المشئومة التى يمكن أن يجرها تصميمه على البقاء حيث يوجد الآن (١) وزاد على ذلك بأن قال انه واثق وثوقا تاما بأنه سيحصل على موافقة الشركة مع الارتياح وأنها ستعرف كيف تقدر أهمية اورطة أو أورطتين منظمتين (٢) وخدمات رجل ادارى من درجته (٣) .

وبعد أن عرض عليه هذه الاقتراحات الثلاثة ألقى على مسامعه كلاما مسهبا ضرب فيه على النغمة المعتادة بان ذكر مساوىء

(١) - وهذا الشعور من استانلى شعور رقيق يمدح عليه كثيرا لو كان صادرا عن إخلاص .
(٢) - هو واثق من ذلك لأنه بالطبع هو الغرض المقصود من الحملة . (٣) - القصد من هذا خداع أمين باشا وحمله على القبول .

الادارة المصرية وعـــدم مقدرتها على حكم هذه الممتلكات حتى لو افتتحتها فتحا جديدا .

فشكر أمين باشا استانلى شكرا جزيلا على حسن صنيعه وقال له انه قد أجاب من قبل على الاقتراح الاول من اقتراحاته الثلاثة . أما عن الاقتراح الثانى فقال له ان أول واجب عليه هو لمصر . وانه طالما هو هنا فالمديرية تابعة لها ولا ينتهى أمر هذه التبعية إلا بسفره . وبعد هذا السفر لا تكون المديرية تابعة لكائن من كان . وانه لا يستطيع أن يستبدل بالعلم آخر فيرفع عوضا عن العلم الاحمر علما ازرق لانه خدم العلم الاول ٣٠ عاما . أما الثانى فلم يره مطلقا . ثم سأل استانلى اذا كان يرى بحسب ما علمه من التجارب ان فى حيز الاستطاعة الاحتفاظ بحرية المواصلات مع الكونغو بواسطة دفع أجر مناسب . فأجابه استانلى جوابا سلبيا .

واستطرد أمين باشا فى الكلام فقال انه شاكر من صميم قلبه لصنيع الملك ليوبولد ولكنه لا يقدر على اجابة طلبه . أما الاقتراح الثالث فهو معجب به ويرى أنه أفضل حل للمسألة لأنه يظن ان اتباعه لا يبدون أية صعوبة فى مرافقته الى فكتوريا نيانزا لأن اعتراضهم هو على الذهاب الى مصر . وقال ان عدد أولئك الاتباع يبلغ ٨٠٠٠ نسمة وان ثلاثة ارباعهم من النساء والاولاد وانه لا يجرؤ ان يأخذ على عاتقه مسئولية اقتياد هذا الجمع الغفير لغاية الساحل خشية هلاكهم فى الطريق . أما الطريق لغاية فكتوريا نيانزا فقصير وقطعه فى حيز الاستطاعة وعلى ذلك آخر الاقتراحات يكون أخيرها وأفضلها .

فطلب منه استانلى أن يفكر جيدا فى الامر . وانه ليس هنالك

من موجب للعجلة إذ من الواجب عليه العودة لاستحضار حرس مؤخر حملته . وهنا أطلعه استانلى على صورة خطاب كان أمين باشا قد كتبه فى سنة ١٨٨٦ م الى السير جون كيرك قنصل جنرال الانكليز فى زنزبار عرض فيه مديريته على انكلترا مؤكدا ان يكون سعيدا للغاية بتسليمها للحكومة البريطانية . وهذه النسخة سلمتها وزارة الخارجية الى استانلى بأمر من اللورد ايديسلى Iddesleigh وزير خارجية انكلترا .

فقال أمين باشا ان هذا الخطاب كان خصوصيا وما كان يجب مطلقا نشره . وما ذا تقوله الآن الحكومة المصرية وقد رأته يتهور لدرجة أن يساوم فى مسألة كهذه ويعرض شيئا من ممتلكات الحكومة المصرية بدون اذن منها على حكومة أخرى .

فأجابه استانلى ليس فى الأمر كثير من الضرر لأن الحكومة المصرية صرحت بعجزها عن البقاء فى المديرية والحكومة البريطانية لا تريد قط التدخل فى ذلك . وان من رأيه ان المديرية لا يكون لها أية قيمة اللهم إلا اذا أخضعت اوغنده و الاونيورو وانتشر السلم فى ربوعهما وهذا شىء غير ممكن اذا قبل طلبات الملك ليوبولد وبما انه يأبى الدخول فى خدمة هذا الملك فيمكنه ان يركن اليه ويعول عليه — أى على استانلى وهو يحصل على رضا من جمعية انكليزية باستخدامه هو واتباعه . وانه قد يحتمل ان تكون قد تأسست شركة فى اللحظة التى كان يكلمه فيها بقصد ايجاد ممتلكة بريطانية فى شرق افريقية .

والى هنا انتهى الحديث .

وفى الغد ـ ٤ مايو ـ كلم الباشا استانلى ـ حسب ما علمنا من هذا الاخير ـ بعبارات تشف عن ازدياد طمأنينته لمشروع مبارحة البرت نيانزا لأنه كما يبدو قد ازداد شغفا بنواحى فكتوريا نيانزا أكثر مما شغف بها عندما عرض المشروع عليه أول مرة .

وفى ١٤ مايو وصلت الباخرة الخديو تحمل ذرة وبقرا حلوبا . وقدم أمين باشا هدايا لحازت بحسب قول استانلى أحسن قبول . وهذه الهدايا عبارة عن حذاء للمشى متين الصنع لاستانلى وقميص وكساء وسروال لكل من جفسن و پارك . وقدم أيضا لكل منهم جرة من الشهد و موزا و برتقالا و بطيخا و بصلا و ملحا و لاستانلى خاصة رطلا من التبغ و برطمانا به محفوظات متبلة فى الخل . وهذه الهدايا وبالأخص الملابس انطلقت لسان استانلى فقال انها تبرهن على ان أمينا باشا لم يكن مفتقرا للدرجة التى تصوروه فيها .

وقدم أمين باشا فى نفس ذات اليوم لاستانلى سليم بك مطر و حواش افندى وضباطا آخرين كانوا قدموا مع الباخرة . وقال استانلى أنه طلب من أمين باشا ان يبتنى له محطة صغيرة على احدى الجزر ليتخذها مستودعا للحملة فقبل هذا الطلب . ودهش استانلى أشد الدهش عندما التفت الباشا فى ذلك اليوم الى حواش افندى وقال له بلهجة المتوسل . « عدنى بحضور استانلى ان تقدم لى ٤٠ رجلا ليشيدوا له المحطة التى تصبو اليها نفسه » وقد دهش استانلى كثيرا من هذه اللهجة لأنه ما كان يخال ان يرى مديرا يخاطب مرءوسه بهذا الضرب من الكلام .

وتجاذب استانلى أيضا فى ذلك اليوم أطراف الحديث مع أمين باشا .

وكان استانلى على وشك الذهاب للبحث عن مؤخـــرة حرسه وكان يرى انه بعـــد إيابه يضيع منه كذلك شهران قبل ان يكون أمين باشا قـد انتهى من حشد حاشيته لأنه عوضا عن ان يأخـذ فى الحـــال فى العمل ويستعد للسفر فهـو يؤثر ان ينتظر عودة استانلى مع مؤخـرة حرسه مرتكنا الى ان هـــذا يتوجه حينذاك الى دوفيليـه ليحمـل جنوده على ان يسيروا على أثره . وكان أمـين باشـا لم يزل يؤكـد ان رجاله لا يريدون العـــودة الى الديار المصرية ولـكنه فى حيز الاستطاعة اقناعهم بأن يرافقوه لغـاية بحيرة فكتوريا نيانزا .

وفى ١٦ مايو سافرت البـــاخرة الخديو من نسابى الى محطات مسوه فتونجورو فوادلاى لتحضر عددا من الحمالين ليحلوا محل الذين أدركتهم المنية خلال السفر . وبقى كازاتى و فيتا حسان على ظهر الباخرة .

وفى ٢٢ مايو وصلت الباخرتان الخـديو و نيانزا . وكانت الاخـــيرة تجر خلفها مركبا كبيرا . وقـــدم عليها البكباشى و الصاغ و ٨ جنديا من الاورطـــة الثانية و ١٣٠ حمالا من قبيلة المـاديين و مؤن و ٦ خراف و ٤ معيز و حماران من الحمر القـوية أحدهما لاستانلى والآخـر للدكتور پارك . وكان طول الباخرة نيانزا ١٨ مترا وعرضها ٣ أمتـار وبنيت فى الوقت الذى بنيت فيه الخديو أى عام ١٨٦٩ م .

وسلم استانلى الى أمين باشا قبـل ان يسافـر عـــدا ال ٣١ صندوق مظروف رمنجتون التى كان سلمها له قبلا صندوقـين بهما مظاريف وينشستر وسفينتـه المصنوعـة من الصلب وأشيـاء أخـــرى . وترك له عـلاوة على ما ذكر ضابطا من ضباطه وهـو المستر جفسن و ٣ جنـود سودانيين من

الذين قـــدموا معـه من مصر و بينزا وهو خادم الدكتور جونكر وذلك طبقا لما سبق الاتفاق عليه . واجابة لطلب الباشا سطر نداء لجنـــود المديرية ليتلوه عليهم جفسن . وهــذا النـداء سبق ذكره فى صلب تاريخ المديرية عن السنة الحالية .

وفى ٢٤ مايو انطلق استانلى يضرب فى الارض بقصد استحضار مؤخـرة حرسه وكان أمين باشا قد سبقه الى مسافة تقرب من مرحلة على طريقه ومعه فرقة من الجند . وعند مروره أدوا له التعظيمات العسكرية ثم ودع بعضهما بعضا واستمر استانلى سائرا فى طريقه لكيلا يرجع إلا فى بدء السنة القادمة . والذى قام به من الاعمال خـــلال هذه الفترة لا يدخل ضمن موضوع هذا التاريخ ولذلك ضربت صفحا عن ذكره . واكتفى بالقول إنه وجد مؤخرته فى أشد حالات الهـرج والارتباك ووجـد رئيسها الميجر بارتلوت وهـو رجـل شرس الاخلاق كثيرا لدرجة ان طباعه لا تتفق الا قليلا مع أخلاق الناس الذين وضع على رأسهم قد قتل بأيدى نفس رجاله لتدخله فى بعض أمور تتعلق بشخصياتهم وان ضباطا آخرين من حملتـه قفلوا راجعين الى بلاد الانكليز بسبب المرض ولم يستطع استانلى ان يرجع إلا بفلول مؤخرة حرسه الى بحيرة البرت نيانزا .

ولهذه الحملة تكملة نذكرها فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

٣ — ملحق سنة ١٨٨٨ م

حملة المهديين

على مديرية خط الاستواء

روى ابراهيم باشا فوزى فى الجـــزء الثانى من كتابه « السودان بين يدى غوردون و كتشنر » من ص ١٣٢ الى ص ١٣٩ كيف تألفت حملة المهديين التى أرسلت الى مديرية خـــط الاستواء لافتتاحهـــا . ولما كان فى هذا الوقت معتقلا فى أم درمان لدى المهديين رأيت ان من المفيد ان آتى هنا على ذكر ما رواه فى هذا الصدد ، قال : ـ

شأن خط الاستواء والمهدويين

« أورد تحت هذا العنوان حوادث خط الاستواء مع المهدويين فأقـــول ذكرت فى أوائل الجزء الأول الاسباب التى حملت الطيب الأثر غردون باشا على فصلى عن ولاية أقالـــيم خـط الاستواء و بينت باسهاب المساعى السافلة التى بذلها امين افندى طبيب الحامية وقتئذ لنيـل أمنيته من الولاية على أقاليم خط الاستواء وكيف دفع السائح ينكر (أى جونكر) على الوشاية بى عند غردون باشا حتى عاملنى بالمعاملة القاسية التى شرحتها ثم ما كان من أمر ظهور براءتى عنده بارشاد الضابطين اللذين كشفا له حقيقة المسألة .

« وعلى أثر هاته الحادثة امتلأ غردون باشا غيظا من أمين افندى وتبدلت ثقته ومحبته فيه بوصمه بالخيانة والكراهية .

« ثم لما عدت مع غردون الى الخرطوم فى المرة الثانية وتحادثنا فى شؤون كثيرة عن خط الاستواء علمت من حديثه انه حاقد على أمين بك حاكم خط الاستواء سيء الظن به .

« ولما استولى كرقساوى على أقاليم (بحر الغزال وشكا وحفرة النحاس) غزا حدود خط الاستواء وعاد دون ان يظفر بشيء منها .

« وفى سنة ١٣٠٥ كان بأم درمان رجل اسمه عبد الله الطريفى وهو عم الحاج الزبير الذى ذكرنا فى أول خلافة التعايشى انه أرشده الى سلوك الطريق الذى سار عليه . وكان عبد الله الطريفى هذا جابيا من قبل المهدوية فى اقليم القضارف فاغتال منه مالا جزيلا بأتحاده مع ابن أخيه الحاج الزبير . وفى سنة ١٣٠٤ أرسل التعايشى الى (القضارف) من أوقفه على خيانة الحاج الزبير وعمه عبد الله الطريفى فقبض عليهما واستصفى ما اغتالاه من المال وزجهما فى السجن وبعد بضعة شهور أطلقهما وجعلهما تحت المراقبة النظرية فعمدا الى وسيلة يتقربان بها اليه فدخل الحاج الزبير على التعايشى وأخبره ان عمه عبد الله الطريفى كان نخاسا فى جهات خط الاستواء وله معرفة جيدة بأخلاق وعوائد أهالى تلك البلاد وأبان له الثمرات التى تعود من فتح خط الاستواء من جلب العاج وريش النعام والارقاء من تلك الديار فعول التعايشى على انفاذ عبد الله الطريفى لفتح تلك الاقاليم .

« وعبد الله الطريفى هذا كان نخاسا وفى بداية ظهور دعوى المهدوية

قبضت عليه الحكومة وسجنته لاتيانه أمرا من أنواع الحيل وذلك انه كتب على بيض الدجاج لفظ الشهادتين وبعدهما ذكر اسم المهدى الذى عد هذا التزوير من كراماته وكان عبد الله الطريفى هذا ذا دهاء وحيل ومكر سىء .

« ولما صمم التعايشى على انفاذ حملة لفتح خط الاستواء استدعانى الى داره فذهبت اليه وأنا فى وجل شديد من هذه الدعوة فدخلت عليه فألفيته جالسا وحده فلما وقع بصره على هش وبش فقبلت يده وجلست على الارض أمامه وقد ذهب روعى لما آنست من بشاشته فخاطبنى بما يأتى :

« يا ابراهيم فوزى انى عزمت على انفاذ حملة لفتح اقاليم خط الاستواء وبما انك كنت حاكما عليها فانى أود انفاذك اليها لتكون مرشدا صادقا ومستشارا أمينا لقائد الحملة وانى أود ان تكون راضيا بالقيام بهذه المهمة التى أعهد اليك القيام بها لانى عالم بأنك صرت من أخلص المخلصين لنا .

« فأجبته بأنى أشكر مولاى على ثقته بى وأعاهده على القيام بما عهده الى بالصدق والوفاء . فسره هذا الجواب وأعطانى عشرة ريالات وتناولت معه الغذاء على قصعة الضيوف وانصرفت الى منزلى مملوء الجوانح بالسرور وقد رأيت أننى أستطيع النجاة من أسر هؤلاء البرابرة المتوحشين لدى وصولى الى خط الاستواء فقضيت ليلتى لا نزور الكرى جفنى لشدة ما داخلنى من السرور الذى تلاه الترح حيث استدعانى التعايشى الى مجلس حافل بالقضاة والخلفاء وأرباب الشورى . وبعد ان شكرنى على قبولى القيام بمهمة الدلالة لقائد حملة خط الاستواء عبد الله الطريفى قال لى انى أخشى عليك متاعب السفر وأود أن تكون قريبا منى ولذا أقلتك من مأمورية مرافقة عبد الله الطريفى ولكن أكلفك بوضع رسم مشفوع بالتعليمات التى يجب

العمل بها اذا وجــدت بواخرنا النهر مسدودا . فوعدته باحضار الرسم فى الغد وبعـد خروجى علمت ان سبب تأخيرى ان عبد الله الطريفى وابن أخيه الحاج الزبير وشيا بى عنده حيث قالا له ان ابراهيم فوزى كان حاكما لأقاليم خط الاستواء وقــد شهد وقائع فتحها مع غردون باشا وانه من أعرف النـاس بأخلاق وعوائد أهلها . وانا نخشى من مغبة وصوله الى تلك البلاد اذ بذلك يمكنه ان يأتى أى عمل يريده من ضروب الاضرار بنا . وانه اذا لم يستطع ذلك فانه يستطيع الفرار الى ما وراء بحـيرة فكتوريا نيانزا . فأثرت وشايتهما على التعايشى وعدل عن إنفاذى مع تلك الحملة .

« هذا وقد اشتغلت ليلتى بعمل الرسم وتدوين التعليمات وفى اليوم التالى قصدت دار التعايشى فألفيته جالسا ومعه الذين كانوا معه بالأمس وغيرهم من الأمراء وهو يلقى التعليمات على عبد الله الطريفى قائد الحمـلة . فقدمت له الرسم فتناوله كاتبه وأوقفه على كل ما فيه والتفت الى وشكرنى وقال اننى عزمت على انفاذ الحملة ووجهتها كيت وكيت فهل عندك نصيحة . فقلت نعم يامولاى وقد مالت نفسى للانتقام من عبد الله الطريفى وابن أخيه الحاج الزبير لوشايتهما التى سدت فى وجهى بابا كنت أرجو الخلاص بولوجه .

« فقال التعايشى هات ما عندك . فقلت ان عبد الله الطريفى وسائر الذين انتدبتهم لهذه الحمـلة كانوا نخاسين وقد ذاق أهـالى خط الاستواء من مظالمهم ما جعلهم يبغضونهم أشد البغض وهم قـوم لا خلاق لهم اذ كانوا يقتلون النفس التى حـرم الله قتلها الا بالحق ليكتسبوا من وراء قتلها دجاجة . فلذلك ترى أهالى تلك البلاد يبغضونهم ويفرون من وجوههم كما يفر الانسان من الضوارى . فاذا ذهب هؤلاء النخاسون الى تلك البلاد

جاءت النتيجة بعكس رغائبك حيث يلجأ الأهلون الى حاكم خط الاستواء ليكونوا معه على الذين ذاقوا مرارة سيطرتهم فيما مضى ورزحوا تحت نيرهم زمنا . والأولى عندى ان يعهد مولاى قيادة الحملة الى أحد آل بيته ويشد أزره بجيش من الجهادية ليكون قادرا على كبح جماح هؤلاء النخاسين الذين بمجرد ان تطأ أقدامهم أرض تلك الارجاء يعودون الى اعمالهم السيئة التى تأباها عدالة مولاى . وما وصلت الى آخر هذه العبارة حتى بدت علامات السرور على وجه التعايشى والتفت الى وبالغ فى الثناء على وشكرنى قائلا ان ما قلته حل فى لبى كجرة مملوءة بماء الشهد وعملا بنصيحتك سأعين أحد آل بيتى لقيادة الحملة . وقد أرجأت أمر سفرها الذى كنت مزمعا انفاذه فى الغد ريثما اختار القائد الجديد الذى لا بد من امهاله أياما يأخذ فى خلالها أهبته للسفر .

« وكان من جملة الحاضرين عبد الله الطريفى وابن أخيه الحاج الزبير فخرجا يتعثران فى اذيال الفشل ووجوههما مكفهرة والله اعلم بما فى قلوبهما من الغيظ والاحنة على .

« ولدى خروجهما قابلا أحد أصدقائى المصريين وقالا له أيليق من فلان أن يأتى ما أتاه أمام الخليفة فقال لهما الجزاء من جنس العمل لأنكما بدأتما بالوشاية عليه فنجحتما فى الاضرار به وهكذا يكون جزاؤكما .

« وعلى أثر هذه المحادثة انتدب التعايشى أحد أقاربه المسمى عمر صالح ومعه نحو الخمسمائة جهادى وجعله قائدا للحملة وجعل عبد الله الطريفى كدليل له . ويبلغ مجموع رجال الحملة نحو ستة آلاف رجل جلهم مسلحون بالأسلحة النارية .

« وفى أواسط سنة ١٣٠٥ غادرت الحملة ام درمان على أربع بواخر ولما وصلت الى أماكن السدود وجدتها متراكمة بها فتعذر عليها متابعة السير الى جهة الجنوب فمكثت بقية سنتها تعالج فتح السدود فهلك من رجالها كثير وهلك أيضا عبد الله الطريفى مع من هلك وقوبلت الحملة من اهالى البلاد بنفور عظيم وامتنع الاهلون من تقديم الاغذية للرجال الذين انقسموا شطرين أحدهما اشتغل بتحصيل القوت بالسلب والنهب من القبائل القريبة من شاطىء النهر والآخر اشتغل بفتح السدود .

« هذا وقد رأيت ان أورد هنا شذرة من وصف السدود اتماما للفائدة التى ربما تشوف اليها القارىء فأقول :

« يبتدىء خط السير فى النيل الأبيض من الخرطوم قبل ان يختلط مع النيل الأزرق وهذا النهر هادىء وضفتاه مترامیتان عن بعضهما حتى يتعذر فى بعض الأمكنة رؤية من بالشاطىء الشرقى الشاطىء الغربى مثلا ولو بالنظارة المعظمة وذلك من بعد بركة السنيورة . فاذا غادرت بحر الغزال متجها الى الجنوب عند حدود الاقاليم الاستوائية كان الأمر بعكس ذلك فتشاهد ضفتى النهر متقاربتين والماء مندفع بقوة حتى ان خريره يصم الآذان .

« وتربة تلك البلاد من طينة لزجة تضارع المواد الغروية الشديدة اللزوجة كالصمغ ونحوه .

« وينبت على ضفتى النهر حشيش فى طول قصب السكر ولكنه مملوء بشوك صغير يتطاير على من يدنو منه وتحدث منه قروح قبل ان يبرأ

من تعلق به ولشدة اندفاع ماء النهر تتقطع من الجزر قطع من الطين عليها أجزاء من هذه الحشيشة التى يطلق عليها اسم (ابو صوفة) فتتراكم عند مضيق النهر وتمنع سير السفن . وطريقة إزالتها هى ان تقطع اجزاء صغيرة يدفعها التيار الى المتسع من النهر .

« هذا ما كان من أمر حملة المهدويين . وأما أمين باشا حاكم خط الاستواء فانه غادر (اللادوه) عاصمة الاقاليم الاستوائية الى الجهات الجنوبية على أثر ما أصاب جنوده من الفشل منذ عامين امام (كرم الله كرقساوى) داعية المهدى فى (شكا وبحر الغزال) وقد تقدم ذكر غارته على حدود خط الاستواء .

« ولما وصل عمر صالح الى (اللادوه) ووجدها خالية علم ان الحامية لحقت (بالرجاف) جنوب اللادوه فتقدم نحوها وشن عليها الغارة وذبح بعض من بها من الجنود وفر البعض فاجتمعت الحامية فى مكان اسمه اللابوريه وهاجموا الدراويش فدارت الدائرة على الحامية وقتل كثير من جنودها وفر الباقون الى (الدفليه) فأعاد الدراويش الكرة عليهم واستولوا على خطوط النار عنوة وتقهقرت الجنود ثم كرت على الدراويش وقتلت منهم خلقا كثيرين وأجلتهم عن الدفليه فغادروها منهزمين لا يلوون على شيء ولحقوا بيواخرهم فى (اللادوه) .

وفى غضون اشتغال الحامية بدفع غارة الدراويش وصل المستر استانلى الرحالة الذى كلفته الحكومة الخديوية بسحب حامية خط الاستواء عن طريق زنجبار .

« ولما سمعت الجنود بأمر هـــذا الانسحاب وعلمت ان طريقها الى جهة زنجبار مملوءة بالمخاطر والصعوبات ولا دواب للحمـــل فى تلك الأرجاء وأشيع بينهم ان مسافة الطـــريق تبلغ مسيرة سنة تمرد السودانيون منهم على أمين باشا وقبضوا عليـــه وسجنوه وعينوا حاكما وضباطا من صغار الضباط السود كما قبضوا على سائر الضباط المصريين والموظفين الملكيين وزجوهم فى السجن .

« ثم نمى الى أولئك الجنـــود المتمردين ان الدراويش متقدمون نحوهم فهرعوا الى لقائهم فى جهات جبال (الدفليه) فقـــام ضابط سودانى يدعى سليم مطر وهجم على السجن وأطلق أمين باشا وساروا الى جهـــة قريبة من بحيرة فكتوريا نيانزا وقابلوا المستر استانلى هناك فعهـــد المستر استانلى الى سليم مطر تسكين ثائرى الحامية واستمالتهم لمرافقته فتوجه الى (الدفليه) وحاول اقناع الجنود بوجـــوب امتثال أمر الخديو الذى يحمـــله استانلى فلم يفلح ورمـــوه بالخيانة وكادوا يبطشون به . وظل المستر استانلى ينتظر عودته نحو شهرين ثم اجتاز النهر وابتـــدأ مسيره الى زنجبار ثم لحقتـــه فى الطريق كتب من الضابط سليم أغا مطر يخـــبره فيها بحبوط مسعاه فتـــابع المستر استانلى سيره حـــتى وصل زنجبار بعد مسيرة تسعة شهور هلك فيها أكثر من نصف الذين رافقوه من متاعب السفر حيث كانوا يسيرون على الاقدام .

ولولا سوء تصرف أمين باشا وذبحه الأفيال الهندية والثيران المروضة لكانت رحلة استانلى الى زنجبار من أيسر الاسفار إذ الذين رافقـــوه لا يبلغون ألفى نسمة والثيران المروضة التى ذبحها تقرب من ثلاثة آلاف رأس

عدا بضعة أفيال .

« وعلى أثر ذلك صفا الجـــو للمهدويين فى خط الاستـــواء وانطلقت أيديهم فيـه يجلبون منه العاج والريش وسائر محصولاته ولله الامر من قبـل ومن بعد » . اه

سنة ١٨٨٩ م

من

حكمدارية أمين باشا

قضى أمين باشا ومن كان معه شهر ينـــاير من عام ١٨٨٩ م فى تونجورو بدون أن يحدث حادث يستحق الذكر . وكل ما هنالك أنه أذيع ان الثائرين أخلوا دوفيليه بعـــد أن أضرموا فيها النار ووطدوا أقدامهم فى وادلاى .

وفى ١٨ ينـاير بلغ استانلى كافاللى الواقعـــة فى زاوية بحيرة البرت نيانزا الجنوبية الغـــربية وأرسل خطابين أحدهما إلى جفسن والثانى إلى أمين باشا فوصلا الى مسوه فى ٢٨ منه وبعد ذلك أعاد تصديرهما اليوزباشى شكرى افندى قائد هذه المحطة الى تونجورو حيث سلما الى المرسل اليهما .

واشتكى استانلى فى خطاب جفسن من الشكوى من أمين باشا لعدم وفائه بوعـــده بتشييد محطة فى نسابى وارسال جفسن الى حصن بودو من أجل الأشياء التى تركت فيه . وذكر النكبة التى حلت بمؤخـــرة حملته إذ لم يبق لديه من ٢٧٤ رجـــلا سوى ٩٤ كما ذكر قتل الماجور بارتلوت Bartlelot ورجـــوع البعض من ضباطه الى أوربا . وقال لجفسن انه اذا كان لم يزل يعتـــبر نفسه عضوا من أعضاء حملتـه وليس من رجال أمين باشا أو من رجال المهدى فعليــــه ان يحضر فى الحال لمقابلته وانه أى استانلى

ليس لديه وقت يسمح له بالتردد وانه وان كان فى استطاعته انقاذ عشرة باشوات إلا أنه لايمكنه بأى وجه كان ان يعرض حملته للخطر .

وقال استانلى فى خطاب أمين باشا ان القسم الثانى من الادوات المكلف بتسليمها اليه تحت أمره وهو عبارة عن ٦٣ صندوق مظاريف رمنجتون و ٢٦ صندوقا من البارود زنة كل منها ٤٥ رطلا و ٤ صناديق كبسول و ٤ طرود بضاعة وأشياء أخرى . واستعلم منه عما اذا كان ينبغى عليه ان يدعها له على شاطىء البحيرة أو فى أى محل آخر يعينه له لتسليمها بالايصال اللازم وانه فى انتظار ما يرد منه من التعليمات فى هذا الشأن ليعمل بمقتضاها . وطلب منه أن يرسل اليه جوابا باتا ويخبره بما اذا كان هو وكازاتى يرغبان السفر معه أم لا واذا كان يوجد هنالك أشخاص آخرون يريدون الرحيل . ويرجوه فى الحالة الايجابية ان يخبر أولئك الأشخاص بوجوب قدومهم فى الحال وإقامة معسكر على ضفة البحيرة يكون الوصول اليه فى متناول يده وان يحضروا معهم زاد شهر . وبين له الصعاب التى تحول دون ايجاد المؤونة فى المواضع المجاورة للبحيرة وعدم ضمان الحصول عليها اللهم إلا باستعمال القوة وهذا ليس من الكياسة فى شىء نظرا للاحوال السائدة فى مديريته . وانه اذا لم يصل اليه أى نبأ منه ولا من جفسن فى ظرف ٢٠ يوما فلا يكون مسئولا عما يمكن حدوثه . وأردف ذلك بقوله إنه يكون من حسن حظه إطالة إقامته فى كافاللى اذا كان متأكدا من ايجاد زاد أو كان فى استطاعته — أى أمين باشا — ان يقدم له ما يلزم من الميرة وانه على كل حال مستعد ان يقدم له كل ما يلزم من الخدم عند وصول اخباره .

واستقر رأى كل من أمين باشا و جفسن على ان يسافر جفسن برا الى مسوه ومن هذه الى نسابى بالمراكب ليقابل استانلى .

وجال فى خاطر أمين باشا انه لو انتظرهم استانلى فبها ونعمت وإلا سافروا بمعونة الله بدونه . وانه ربما كان من الأوفق لهم أن يقيموا معا وينجزوا هم العمل من ان يلقوا أنفسهم بأيديهم بدون احتياط تحت رحمة استانلى .

وطلب أمين باشا من الملازم صالح أبى زيد قائد تونجورو أن يكلف سليم افندى مطر بارسال باخرة للسفر عليها الى استانلى . وما كاد الجواب يرسل برا حتى وصلت الباخرة الخديو بعد غروب الشمس بنصف ساعة آتية من وادلاى غاصة بالركاب وذلك بعد أن قضت خمسة أيام فى هذه الرحلة . وكان من ضمن ركابها حواش افندى وسكرتير أمين باشا رجب افندى والضابطان المصريان عبد الواحد افندى مقلد وعلى افندى شمروخ وكثيرون غيرهم . وفى اليوم التالى ٢٧ يناير أبحرت الباخرة المذكورة وعلى متنها جفسن الذى كان مسافرا ليجتمع برئيسه .

وقال فيتا حسان إن أمينا باشا كان قد وطد العزم على السفر إلا أن سببا عز على فيتا حسان إدراكه فى الحال جعل أمينا باشا يكره السفر بهذه السرعة . ذلك انه كان لا يريد الرحيل بمعية استانلى بدون ان يكون معه ثلة من الجنود تفوق قوتها قوة حملة استانلى أو على الأقل تضارعها إذ كان يخشى ان يلقى بنفسه تحت رحمة رئيس عات فى غضون رحلة طويلة محفوفة بالمشاق . وكانت نفسه تعاف أيضا ان ترى ملزمة بالتنازل له وحده عن شرف قيادة القافلة بصفة رئيس لا مرد لأمره .

ولأنه عند ذلك يستطيع ان يزعم أنه منقذهم ومنجيهم . أما اذا كان أمين باشا معه مائتا أو ثلثمائة جندى فان استانلى يحسب له حسابا وفى حالة حدوث خلاف فى الآراء يمكنه هو ومن معه ان يستمروا فى طريقهم سائرين بمعزل عن استانلى . وعلى ذلك كان يرغب للوصول الى ذلك الغرض فى استمالة الجنود اليه لعل ذلك يؤدى الى عودته على رأس الحكومة .

وعندما أدرك سليم افندى مطر - وكان قد وصل الى تونجورو - أنه هو ورفاقه لا يمكنهم مقابلة استانلى الا اذا كان أمين باشا على رأسهم طلبوا منه مصاحبتهم فأبى هذا بتاتا وقال « انى لم أعد بعد مديركم ولا أستطيع أن أذهب معكم بصفة ترجمان لا أقل ولا أكثر . وما منحنى الخديو لقب باشا لأقوم مقام ترجمان بينكم وبين استانلى » . واستعصم أمين باشا خلف هذه الايضاحات الى ان قدموا له الخضوع التام .

ولسهولة الوصول الى هذه الغاية كان فيتا حسان وكازاتى يكثرون التردد على الضباط لزيارتهم ويأكلون ويشربون معهم وينتهزون فرصة حسن استعدادهم ليشيروا عليهم بعمل صلح مع الباشا قائلين لهم : « انكم اذا طلبتم مجتمعين الصفح عن زلاتكم وعن اغتصابكم السلطة فلا بد ان يلين » . وأتت هذه المناورات فى الحال بالثمار المبتغاة . وقرر الضباط فيما بينهم الذهاب مع أمين باشا الى محطة مسوه لكى يكونوا على مقربة من معسكر استانلى . وفى ٨ فبراير وصلوا الى هذه المحطة وفيها نال أمين باشا مبتغاه فعلا اذ فى الغد بعد محادثة قصيرة مع كازاتى مثل الضباط بجمعهم بين يديه وقدموا له مع كل واجبات

الاحترام عريضة عليها اثنا عشر توقيعا وفيها يعترف الموقعون بخطئهم ويلتمسون الصفح ويطلبون منه ان يتسلم أعنة الاحكام وبعد قليل من التمنع قبل منهم ذلك . وعقب ان انصرف الضباط صفوا الجنود أمام داره ونصحوهم بأن يظلوا أوفياء مخلصين ما دام الباشا قد قبل الآن ان يقبض على أزمة المديرية ويتولى أحكامها . ثم بعد ذلك تلى الفرمان الصادر من الخديو بمنحه رتبة الباشوية وأطلق بعد تلاوته ١١ مدفعا تحية . ولهذه المناسبة ترقى سليم افندى مطر الى رتبة قائمقام مكافأة له على حميته وغيرته وعثمان افندى لطيف الى رتبة بكباشى جزاء ما أداه من الخدم .

« وأقام بعد ذلك أمين باشا يومين فى مسوه ثم أقلع ومعه كازاتى و فيتا حسان و سليم بك مطر و ١٢ ضابطا و ٤٠ جنديا على الباخرتين ويمموا شطر ركن البحيرة الجنوبى الغربى ليقابلوا استانلى . وفى غضون هذه الرحلة قابلهم مركب به خطاب من استانلى وآخر من الدكتور فلكن الى أمين باشا . وخلاصة الخطاب الاول كالآتى :—

« لقد تأسفت للنوازل المشئومة التى حلت بكم . واذا كان من المقتضى ابقاؤكم بعد الآن فى الاسر فانه يتعذر على ان انقذكم لأن حملتى قاست كثيرا وحلت بها نوائب جمة ولم يبق تحت تصرفى إلا قوة ضئيلة . ومن المتعذر على الذهاب للاتيان بكم ومع ذلك سأنتظركم هنا ثمانية أيام ابتداء من هذا التاريخ ، وأملى عظيم بأن تتمكنوا من المجىء . وفى حالة تخلفكم عن الحضور فانى لا أقصر عند رجوعى الى بلاد الانكليز عن اسداء الثناء عليكم قياما بالواجب ولجدارتكم وأهليتكم » .

أما خطاب الدكتور فلكن فمصبوغ بصبغة الود . فقد قال فيه انه أبلغ استانلى ما عمله فى انكلترا لمصلحة أمين باشا ونصح أمينا بأن يجعل التقتير رائده فيما لديه من المال حتى رجوعه الى القاهرة . فكانت هذه النصيحة سببا لانشغال بال أمين باشا وقلقه لانه لم يدرك معناها ومغزاها على صحته . وترجمها الى كازاتى وفيتا حسان فلم يستطيعا ان يستنتجا منها غير ان الباشا ليس أمامه ما ينتظره من الحكومة المصرية وان من الواجب عليه تجاه هذا التخلى المنتظر ان يحتفظ بما عسى ان يكون فى حوزته من المال . ويقول فيتا حسان ان هذا الايضاح بدا لأمين باشا مقبولا جدا لأنه سبق أن تلقى خطابا من الطبيب شوينفورث مبينا فيه بجلاء ووضوح الحوادث التى وقعت قبل ترقيته الى رتبة باشا .

وها هو فوق ذلك ما ذكره فيتا حسان بصدد هذه المسألة :

« لما رأى أمين باشا نفسه متروكا فى زوايا النسيان من جانب الحكومة المصرية أدار وجهه بواسطة الدكتور فلكن شطر حكومة الانكليز ليلفت أنظارها الى مديرية خط الاستواء . فردا على هذه الاستغاثة التى تكررت فيما بعد تألفت حملة استانلى فى انكلترا . وعلى ما يظهر لم تنظر الحكومة المصرية لهذه الاستغاثة الموجهة من أمين باشا الى حكومة أجنبية غير حكومته ، بعين الرضا . وهذا بلا ريب هو السبب الذى من أجله تخلت عنه الحكومة المصرية ، وانها لم تعدل عن رأيها وتمنح أمينا لقب باشا دلالة على رضاها عنه إلا بعد ان تدخل فى الأمر شوينفورث تدخلا مشوبا بالحزم والعزم .

« ولم نكن مغالين فى اعتقادنا ان المقابلة الفاترة التى كان يتوقعها

الدكتور فلكن لأمين باشا فى القاهرة كان سيكون سببها التأثير السيء الذى أحدثه فى نفس الحكومة المصرية تحوله عنها الى الحكومة الانكليزية . على انه ليس لانسان ان يلومه لاستنجاده بالانكليز لأن المديرية كانت مستهدفة للخطر وكان هذا الخطر يزداد يوما بعد يوم وكل مديريات السودان سحقتها قوات المهدى الهائلة رغم ما أبدته من المدافعة ولم يبق أى أمل بالنجاة أمام مديرية خط الاستواء .

« وكانت الحكومة المصرية عاجزة كل العجز عن مقاومة الثورة وكان يبدو ان مديريتنا ضاعت ضياعا لا يرجى بعده رجوع . وعند ذاك صرح لى أمين باشا بأن نيته اتجهت نحو الانكليز حتى لا يدع مديرية خط الاستواء الفسيحة الجميلة ترجع الى عهد البربرية والتوحش . وانها اذا كانت تحت سيطرة أمة متمدينة تستطيع ان تكون وسطا لقوة عاملة تنشر المدنية والتقدم من ربوعه فى افريقية الوسطى . ووقتئذ كتب الى الدكتور فلكن ذلك المكتوب الذى يؤاخذونه على تسطيره فى القاهرة ويعدونه شبه خيانة » . اه

ان كل ما ذكره فيتا حسان بشأن هذه المسألة لا يعد مطلقا على حسب رأيى من الظروف المخففة فى مسئولية عرض أمين باشا مديريته على انكلترا وتقديمها لها لأنه لم يكن له أية صفة تخوله الاقدام على ذلك . وقد يبدو فوق ذلك أنه ندم أشد الندم على ما اقترفه فيما بعد . ويدل على هذا أقواله وسلوكه بعد ان وصل الى زنجبار . واذا كنت قد ذكرت هنا كل أقوال فيتا حسان بشأن هذه المسألة فما ذلك إلا لأنه سيجيء ذكرها فى الملحق الخاص باستانلى أيضا .

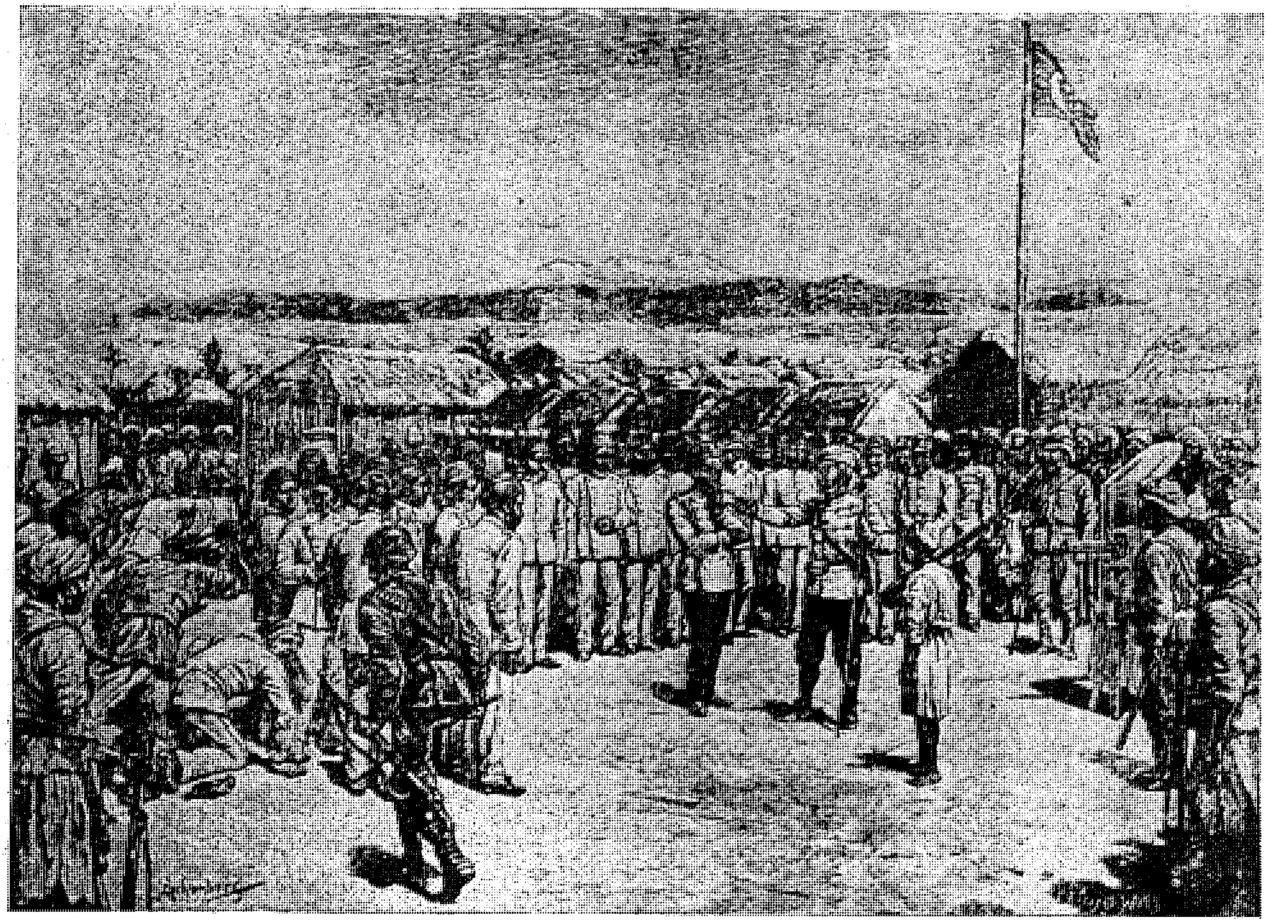
وفى ١٢ فبراير وصل أمين باشا الى ورى Wéri وهى مرسى للمراكب ينزل فيها الذاهب الى معسكر استانلى . وكان هذا المعسكر فى أعلى فجوة ولدى نزوله وجد جفسن قدم خصيصا لينتظره فى ذلك المرسى . وقد نصب فيه أمين باشا معسكره وكتب فى اليوم التالى الموافق ١٣ منه خطابا الى استانلى قال فيه ما يأتى :

« لقد وصلت هنا بعد ظهيرة أمس على باخرتى ومعى الفريق الاول من الأشخاص الذين يرغبون مبارحة هذا البلد بحراستكم . وحالما أفرغ من بناء المحال اللازمة لوقاية اتباعى تبحر الباخرتان ثانية الى محطة مسوه لتحضرا قسما آخر من الاشخاص الذين ينتظرون نقلهم .

« ويوجد الآن معى ١٢ ضابطا يشتاقون لمقابلتكم وكذلك ٤٠ جنديا . وقد أتوا تحت مباشرتى ليلتمسوا منكم ان تمنحوهم مهلة قليلة لاحضار رفاقهم الذين يحضرون من وادلاى على نية السفر . ولقد وعدتهم ان أبذل كل ما فى وسعى لمساعدتهم فى طلبهم هذا » .

وفى ١٧ فبراير وصل أمين باشا ومعه اتباعه وعلى رأس هؤلاء سليم بك مطر الى معسكر استانلى . أما كازاتى و فيتا حسان فلبثا فى « ورى » الواقعة على شاطىء البحيرة ورجعت الباخرتان الى مسوه لتحضرا قسما آخر من الاشخاص الذين عقدوا النية على الرحيل ثم قفلتا راجعتين وعليها أولئك الأشخاص ونقلتا فى الوقت ذاته خبر حدوث اخلال جديد بالنظام فى وادلاى وتغيير فى الحكومة .

وبعد سفر أمين باشا وصل ضابط من ضباط استانلى يقال له المستر



مقابلة استانلى ضباط الحامية المصريين والسودانيين بمديرية خط الاستواء
ويرى فى أقصى اليمين مدفع مكسيم مصوبا اليهم إرهابا لهم .

بونى Mr. Bonny الى « ورى » ومعه ١٠٠ رجل من الزنجباريين والحمالين التابعين لرئيس كافالى . وكان استانلى قد أبرم مع هذا الرئيس عقدا تعهد فيه ان يورد العدد اللازم من الحمالين لنقل الأمتعة والبضائع من « ورى » الى معسكر استانلى أى مسافة ثلاثة أيام بأجرة قدرها ثلاثة سمبيات للحمال الواحد عن كل رحلة ذهابا وإيابا . وقد ذكرنا فى حكمدارية عام ١٨٨٦ م أن كل ٢٥٠ سمبيا تساوى ريالا مجيديا قيمته ١٧٫٥ من القروش ومن هنا يرى تفاهة هذا الأجر ويعلم بأى مبلغ حقير يقنع أولئك الزنوج .

وفى اليوم الذى وصل فيه بونى الى ورى أذيعت اشاعة فحواها أن بابادونجو Babadongo وزير كباريجا قادم على رأس جيش عرمرم لمهاجمة المعسكر الذى أقامه فيها أمين باشا . وحاول كازاتى ان يحجز بونى والقوة التى معه للدفاع عن المعسكر ولكن المذكور رفض قائلا ان الأمر الذى معه يقضى بأخذ المتاع والسفر . وهذا ما عمله فعلا .

وانتهز كازاتى هذه الفرصة ليرسل معه رسالة الى أمين باشا يطلب فيها منه المدد . وحالما وصلت هذه الرسالة الى يد أمين باشا عاد الى ورى ومعه سليم بك مطر والضباط والعساكر الذين رافقوه الى استانلى ومعهم ضابط من ضباط هذا الاخير يقال له نلسن Nelson و ٧٠ زنجباريا مسلحون غير انه اتضح فيما بعد ان هذه الاشاعة عارية عن الصحة ولذا لم تجاوز حد الاذاعة .

قال مؤلف كتاب « حياة أمين باشا » بالجزء الأول ص ٣٠١ :ـ

« ان حملة استانلى عندما وصلت الى البحيرة فى المرة الثانية لم تكن

أحسن حالا مما كانت عليه عند مجيئها فى المرة الأولى فى السنة الماضية . ولم يكن لدى استانلى شيء من العطف والميل لا نحو أمين باشا ولا نحو ضباطه . فكان يعتقد ان حملته أخطأت قصدها ولم تصب قط مرماها وكان هذا الاعتقاد المضنى يشغل كل أفكاره .

« وإن مهمة استانلى لم يكن من مقاصدها تمكين أمين باشا من مواصلة نشر العمران فى ربوع مديرية خط الاستواء المصرية كما لم يكن من أغراضها انقاذه بتوصيله الى ساحل البحر بل كان جل ما ترمى اليه اكتساب اقليم مترامى الاطراف لصالح شركة انكليزية يبشر بادرار الخيرات الكثيرة يباشر حكمه مدير خبير محنك .

« أما الآن وقد أمسى أمين باشا لا يملك جيشا فليس له منه فائدة . والشيء الوحيد الذى ما زال فى الاستطاعة جنيه من الحملة هو انقاذ ذلك الرجل الذى كانت أوربا بأسرها مهتمة بأمره من الهلاك مهما كلف انقاذه من محن ورزايا تجل عن الوصف .

« وكان هذا الانقاذ لا بد من اتمامه فى أقرب آن مع صرف أقل ما يمكن من المال .

« ولقد كان استانلى يمقت أتباع أمين باشا وكان يود حصرهم فى أقل عدد ممكن . ولو بقيت جنود أمين باشا وباشر المسير على رأسهم لفتح اقليم البحيرة لحساب انكلترا لما كان استانلى قد تضرر منه وما كان يقيم العراقيل فى وجهه . أما الآن وقد أصبح هؤلاء الجنود عاجزين عن تنفيذ الخطة التى كان استانلى قد علق عليها الآمال فقد صار كل شيء

يعمل للحيلولة دون انسحابهم لان فى استطاعة الجنود ان يضايقوا استانلى فى ادارة الحملة التى كان يريد ان يكون مطلق التصرف فيها ويقدر أنه يعطى أمينا باشا ـ ذلك الذى أنقذه استانلى ـ شيئا من المهابة والسيطرة . ولكى يجد أيضا حجـة مقبولة فى الظاهر لاستبعاد هـؤلاء الجنود والتخلى عنهم عزا اليهم نيـة الخيانة ، واتهمهم بأنهم لا يبيتون نيـة القبض على أمين باشا فقط بل على استانلى وضباطه وتسليمهم للمهديين . وهـذه التهمة التى ليس لها أساس أصلا أصبحت مصدر كل ما نسبه استانلى الى الجنود من المثالب وكل ما صوبه اليهم من المطاعن » . اه

ولقـد أصاب هذا المؤلف كبد الحقيقة اذ قال ان استانلى كان غرضه التخلى عن الجنود وتركهم فى الموضع الذى كانوا فيه وعـدم أخذهم معه . أما السبب الذى ذكره وان كان له أساس من الصحة إلا أنه لم يكن السبب الرئيسى إذ ان السبب الرئيسى ينحصر فى ان الشركة الانكليزية التى كان يظن أنها تثبت أقدامها فى مديرية خـط الاستواء مكان مصر لم يكن هذا المسعى لحسابها الا فى الظـاهر ولكن فى الواقع ونفس الأمر كان لحساب الحكومة البريطـانية التى خلفتها . وكانت هـذه تود ان هذه القوة النظامية المسلحة تظل فى محلها حتى يمكنها ان تجـدها جاهزة فتجندها لخدمتها كما برهنت على ذلك الحوادث التى حدثت فيما بعد .

وكان الأمر المهم إذن هو ما يأتى : لما كان رأس هذه القوة المسلحة هو أمين باشا وكان من غير الممكن ان يرجى من وراء هـذا أية فائدة فكان اذن من اللازم خلعه لان خلعه يعد بمثابة اقتـلاع السلطة المصرية

الممثل لها . وعدم تعيين خلف له من جانب هذه السلطة نفسها ينشأ عنه ترك هذه القوة بغير رئيس وجعلها غير مملوكة لمالك .

نعم . ان استانلى عند قدومه فى المرة الأولى عرض على أمين باشا إلحاقه مع هذه القوة بخدمة الشركة غير أنه فى ذلك الوقت كان الجمهور فى أوربا يجهل الحالة التى كانت عليها المديرية كما كان يجهل نفسية القوة وكان يتصور أنها على جانب من الطاعة العمياء لرئيسها . وهذه الظروف تستدعى حتما رضا هذا الرئيس حتى يمكن استخدامه لأنه متى تخلص من خدمة الحكومة المصرية استطاع بكل سهولة ان يرتبط مع الشركة . وهكذا يبقى زمنا ما مع شرذمة من الضباط الانكليز ومتى قبض هؤلاء على ناصية تلك القوة يستغنى عن أمين باشا وعن خدمته . وهذا هو الأسلوب الذى سارت عليه الحكومة البريطانية فى مصر .

ولنرجع الآن الى موضوعنا فنقول :

أحضر سليم بك مطر رسالة موقعا عليها من استانلى لتبليغها لكافة ضباط المديرية وموظفيها الملكيين . وتحتوى هذه الرسالة على شروط ونصائح تختص بالسفر . ومن مقتضاها ان استانلى قدم منتدبا من قبل الخديو ليكون فقط مرشدا لموظفى المديرية الذين يرغبون فى الرجوع الى ديار مصر وأنه يمنح أولئك الموظفين الوقت الضرورى للذهاب الى معسكره والاستعداد للسفر . ويتعهد ان يقدم لأمين باشا و كازاتى و فيتا حسان وماركو جسبارى ما يلزم من الحمالين لنقل أسرهم وأمتعتهم . أما غيرهم فينبغى ان يدبروا أمر أنفسهم بمعرفتهم ولذا ينصحهم ان لا يحملوا معهم أحمالا يتعذر نقلها وان لا يأخذوا فى السفر إلا الأسلحة والذخيرة والملابس

والزاد اللازم والاشياء الضرورية وانه يتعهد كذلك بالعناية فى مدة السفر بوسائل معيشة أمين باشا ورفاهته وأمنه وراحته هو وكل من كان له صديقا .

وهنا قال فيتا حسان انه سوف يتضح فيما بعد كيف بر استانلى بوعده وقال أيضا ان هذه الفقرة وهى : « أمين باشا وكل من كان له صديقا » قد يمكن ان تجر عليهم أمورا غير محمودة فلفت نظر أمين باشا الى هذه العبارة . غير ان السيف كان قد سبق العذل والرسالة كانت كتبت ومن غير المستطاع تعديلها . وكان استانلى قد حررها باللغة الانكليزية وترجمها الى العربية أمين باشا ونسخها كاتبه رجب افندى فلم يكن فى الاستطاعة معرفة من من الثلاثة استعمل هذه العبارة . إنما قد يكون من المحتمل انها كانت السبب فى حيرة وارتياب أغلب الضباط وترددهم عن السفر . وان هذه العبارة لا يمكن الا ان توقظ فيهم وهم على ما هم فيه من الحيرة الخوف من ان يعاملهم استانلى معاملة سيئة أو يضطرحهم من باله اضطراحا تكون مغبته جلب الأذى والضرر لهم .

وبقى الكابتن نلسن فى معسكر « ورى » مع أمين باشا وأرسل مع حماليه بعض الموظفين والأمتعة الى معسكر استانلى محتفظا بجنوده المسلحين .

الحوادث التى وقعت قبل سفر امين باشا الى معسكر استانلى

وفى اليوم التالى وصلت الباخرة نيانزا من وادلاى وبها خطاب

من فضل المـــولى افندى الى سليم بك وقـرار من الحكومة الثائرة هذا نصه :

« نحن ضباط مديرية خـــط الاستواء وموظفيها الملكيين . نظـرا لوفاة المأسوف عليـــه (حامد بك) قائمقامنا وحاكم المديرية قررنا باجماع الآراء ترقية البكباشى فضل المـــولى افنـدى الأمين الى رتبـــة قائمقام وتعيينه حاكما على مديرية خـــط الاستواء خلفا للمأسوف عليه جد الأسف (حامد بك) » . اه

وهـذا القرار موقع عليـه من ٣٠ شخصا بين ملكيين وعسكريين اما بالامضاء أو الختم . والخطاب مكتوب بلهجـة كبرياء تقـــرب من الوقاحة يلوم فيـه مرسله سليم بك مطر على خيانته باعادة أمين باشا لتولى الحكم بدون إذن منهم ويلح عليـه بالعـودة مع الضباط الى وادلاى وأن يحضر معـــه أيضا أمينا باشا و كازاتى و حـواش افنـــدى و فيتا حسان . واستطرد فضل المولى بك قائلا : انه سيحضر هـــو نفسه اذا لم ينفـذ هـــذا الأمر ويأتى بمن ذكرت أسماؤهم طوعا أو كرها . ومع ذلك لم يحرك هـذا التهديد ساكنا وذهب هباء .

ومع هـذا فقد سافر سليم بك ورفاقـه الى وادلاى فى ٢٦ فـبراير ليقنعوا فضل المولى بك ومن معـه ويرجعـــوهم الى الصواب . وكان قصـدهم اذا لم يكلل مسعاهم بالنجاح استحضار أسرهم والجنـــود لينطلقوا في السير مع استانلى .

ورأى أمين باشا ان ليس هناك ضرورة تستدعى إطـــالة إقامته فى

وىرى فذهب الى معسكر استانلى مع ان كازاتى كان قد نصحه بأن ينتظر مجىء باقى الموظفين والجنود الذين ظلوا على عهد الاخلاص ونبهه بأنه متى اجتمع الاربعة الأوربيون المقيمون فى خط الاستواء فى معسكر استانلى فهذا يأمر فى الحال بالسفر بدون ان ينتظر الآخرين وعندئذ يكونون مضطرين حسب رأى كازاتى أن يتنازلوا عن خطتهم القاضية بأخذ جنود المديرية حتى يستطيعوا القيام برحلتهم على أحسن ما يمكن من الاحوال . ويقول فيتا حسان انه لو عمل بحسب هذه المشورة لانقضت تلك الرحلة فى أوقات ميمونة ولما اضطروا ان يعانوا بغى استانلى وعتوه طيلة ثمانية شهور .

وغادر فيتا حسان وىرى بعد أمين باشا بأربعة أيام برفقة كابتن من ضباط استانلى يقال له استيرز Stairs و ٤٢ حمالا لنقل أمتعته فوصل الى معسكر استانلى بعد ان سار يومين سيرا شاقا . وعلم فيتا حسان فى الليلة التى قضوها فى الطريق ان امرأة سودانية زوجة بلوك امين شركسى يقال له رشدى حلمى جاءها المخاض فبادر اليها وباشر توليدها . وفى ظرف نصف ساعة انتهى كل أمر . ونظرا لما اكتسبه فى مدة عشر سنين من التجارب لم يتخذ أى تدبير لنقلها ونقل طفلها وفى اليوم التالى سارت فى الطريق وابنها على ذراعها بكل بسالة كأنها لم تضع .

ويبدو معسكر استانلى نظيفا نظافة كافية وبه شىء من النظام . وتقع عين القادم اليه من ناحية البحيرة أولا على مضرب كبير وهو مضرب استانلى وبجانبه سارية ارتفاعها سبعة أمتار يخفق العلم المصرى فى أعلاها . ثم يرى ميدانا على جانبيه صفين من الاكواخ مربعة الشكل أعدت

لنزول أمين باشا ومن معه . وحالما وصل فيتا حسان قصد أمينا باشا وذهب أمين باشا معه الى استانلي وقدمه اليه . وبعد أن صافحه ورحب به سأله عن المدة التي تلزم لأولئك الذين يريدون السفر معه للوصول الى معسكره . فأجابه فيتا حسان ان نقل أربعة أو خمسة أفواج يوميا كالتي تشحن الآن تكفي الذين في ويري . أما أولئك الذين لم يزالوا الى الآن في محطات المديرية فهؤلاء من المتعذر ان يحدد لهم ميعاد حتى على وجه التقريب لأن ذلك يتعلق بسرعة استعدادهم ومقدار حمولة الباخرة وكذلك اهتمام كل أولئك الخلق بأمر السفر وعلى ذلك سيستغرق ذلك زمنا طويلا ولا يستطاع الانتهاء من النقل في أقل من ثلاثة أشهر . وبعد ان شرب فيتا حسان القهوة استأذن من استانلي وانصرف الى حيث يوجد الكوخان اللذان أعدا له .

ولبث كازاتي في ويري وكان يبدو انه لا يريد ان يقتفي أثرهم واكتفى بمراقبة النقل . وأخذت القوافل تغدو وتروح وتأتي كل مرة بعالم جديد .

ولم يحدث في المعسكر حادث ذو شأن حتى يوم ٥ أبريل اللهم الا حادثا فرديا كان يمكن ان يجر الى عواقب غاية في الوخامة اذا لم يتدخل في الأمر فيتا حسان . ذلك ان اناس زنجبار نظرا لما جبلوا عليه من الوقاحة وقلة الادب استباحوا رفع الكلفة مع كل امرأة يصادفونها سواء كان ذلك بالقول أم بالفعل . وفي ذات يوم تعدوا بهذه الطريقة على زوجة ضابط صف يقال له عمر افندي الشرقاوي وهو قائد الجنود السودانية الذين قدموا من مصر مع استانلي . وأبلغ عمر الشرقاوي جنوده وقد

كانوا شاهدوا الحادث فطلب عمر من استانلى ترضية عن هذه الاهانة التى لحقته فأجابه ان خذ ثأرك بيدك . وان هو إلا ان سمع ذلك حتى تسلح بهراوة وانقض على المعتدين وهوى على ثلاثة منهم بضربات متواترة إلا انه سرعان ما أحاط به جيش من الزنجباريين . وفى الحال خف خدام موظفى المديرية وهم من قبيلتى الدنكا والشلوك أى من جنس عمر افندى إلى نجدته وهم قوم مشهورون بالجرأة والبسالة ولا يحجمون أمام أى خطر مهما عظم واستعملوا فى دفاعهم كل ما وقع تحت أيديهم وكان لا مفر من نزول كارثة لو لم يبادر فيتا حسان وموالى أولئك الموظفين بأمرهم بالانسحاب والكف عن القتال . ومع ان استانلى كان قد صرح الى عمر الشرقاوى بأن يثأر لنفسه لم يحل ذلك دون ان يحكم عليه بأن يحمل صندوق ذخيرة على رأسه مدة طويلة . وهو حكم كريه بقدر ما هو خارق للمألوف ويبدو غريبا لمن لم ير بعينى رأسه استبداد استانلى الشنيع .

وعندما وصل فى آخر مارس فوج الى ويرى قال استانلى ان هذه الشحنة هى الأخيرة وأولئك الذين تخلفوا الى الآن هم وشأنهم . فاضطرب وانزعج أمين باشا لذلك هو ومن معه لأنه بصرف النظر عن سليم بك وبعض الابطال الذين لم يزالوا الى الآن باقين فى المديرية قد تجرد من كل قوة مسلحة واستسلم لمشيئة استانلى وإرادته . ومما زاد فى أسفهم ان سليم بك أفلح فى نهاية الأمر باقناع الكل بالسفر .

وفى ٢٥ مارس كان سليم بك قد كتب الى أمين باشا وبعث له برسالة موقع عليها من كافة الضباط الثائرين يعربون له فيها عما له فى نفوسهم من

الاجلال . ويقولون انهم جميعا مستعدون للسفر مع استانلى . وطلبوا فى نهاية الامر أن يؤجل استانلى السفر الى أن يصل الى وادلاى جنود مكراكا الذين هم الآن سائرون فى الطريق ويصل كذلك جنود نقطة أبى نخره وعندئذ يولى الجميع وجوههم شطر معسكر استانلى . وقالوا علاوة على ما تقدم انهم سيهتمون بأمر نقل كافة الموظفين على ظهر الباخرتين بأسرع ما يمكن الى ورى .

وجاء الى أمين باشا خطابات أخرى يلتمس فيها مرسلوها منه ويتوسلون اليه ان ينتظرهم وان لا يتركهم . وجاء له أيضا رسالة بنفس هذا المعنى من محمود افندى العجيمى قائد مكراكا .

وخلب هذا التغير فى الرأى لب أمين باشا لانه يسوغ له السفر مع كافة أتباعه . فبلغ استانلى هذا الامر فى التو والساعة فلم يشأ ان يشارك الباشا فى تحمسه وجمع سائر ضباطه ووجه اليهم السؤال الآتى :

أيجب علينا أن ننتظر مجيء طائفة موظفى المديرية أم لا ؟ وأوضح لهم أنه سمح للذين يبتغون السفر بمهلة شهر للحضور الى هنا وقال ان هذا زمن كاف جدا على ما يرى . وان الثلاثين يوما قد انتهت الآن ولم يصل من مجموعهم جزء من ستة عشر . وان أمينا باشا يريد أن ينتظرهم . أما من جهته هو فلا يمكنه ان يصرح إلا بخمسة عشر يوما وان لا ينتظر أكثر من ذلك . وانه بالاختصار ربما كان من سوء الفطن انتظار قدوم ضباط وادلاى مع ال ٦٠٠ او ال ٧٠٠ جندى التابعين لهم . فصرح كل ضباط استانلى باجماع الآراء بأنه من غير الممكن الانتظار أكثر مما مضى ولم يشذ عن هذا الاجماع إلا الكابتن نلسن إذ

انه رأى رأى أمين باشا وقال ان هـذا بوصف انه رئيس يجب عليه ان ينتظر اتباعه وان لا يتركهم .

ولا ريب ان الخمسة عشر يوما التى سمح بها استانلى لجمـــع كافة رجال المديرية لم تكن كافية . فلقد كان أولئـــك كثيرى العـدد وموزعين فى جملة محطات لا يستطيعون فى الحقيقـة المجىء منها الى معسكر استانلى . وكان يلزم لنقلهم بالباخرتين على أقـــل تقدير اثنا عشر شوطا وحتى لو سلمنا ان الجميع كانوا لا يبغون الرحيـــل كان يلزم على كل حال خمسة أشواط فى نقـل سليم بك مطر ومن معه من الضباط والموظفين وكان كل شوط من ويرى إلى وادلاى يستغرق حتما ٢٠ يوما بغض النظـــر عن الوقت الذى يلزم لجمع الحطب لوقود البـــاخرتين وتصليح عددهما إذا استدعت الحـــالة ذلك . فلو حسبنا الزمن الضرورى الذى يلزم بقطع النظـــر عن كل عارض فلابد على الاقل من ثلاثة أشهر لاحضار أولئـك الذين عقدوا النية على السفر وهم زهاء ثلث جماعة المستخدمين .

ولم يجدد استـانلى هـــذا الأجل المضحك فحسب بل اقترح ان تنقل النساء والصغـار بالبواخر وان يأتى جميـــع الرجال سليمى البنيـة برا ويأخذوا معهم فى سفرهم حمـالين من الزنوج وماشيـة للـــزاد على ان السفر برا كان من الامور المتعذرة لانه يستغرق زمنـا أطول ممـا يستغرقه السفر بحرا بقطع النظر عن مقاومة الزنوج الذين يعترضونهم فى الطريق إذ ان هؤلاء لا يمكن ان يدعوا القوافل تمر هادئة .

انه من غير الممكن ان استانلى كان يجهل كل هذه التفصيلات . ولا مندوحة من التسليم بأن هـذا الأجـل البـالغ أدنى حـــد فى القصر الذى

اقترحه لم يكن الغرض منه إلا مداراة الظواهر بينما الجند فى الواقع عارفون أنه غير ممكن تنفيذه .

وكان استانلى يأمل ان كازاتى يعاونه فى تحويل أمين باشا عن وجهة نظره واقناعه بصواب وجهة نظره هو . فقصده وهو بصحبة هـذا الاخير وشرح له المسألة وطلب منـه ابداء رأيه فى الموضوع . وكم كانت دهشته عندما رأى فى كازاتى خصما عنيـدا للاسراع فى السفر ومع ذلك لم يتزحزح استانلى عن رأيه ولم يغير فكره . وأبلغ سليم بك أنه منحه أجلا نهايتـه ١٠ أبريل أى زيادة خمسة عشر يوما فيكون مجموع التأجيلات ٤٤ يوما وانه فى ١٠ أبريل يقـوض المعسكر ويسافر . وأعلن استانلى بذلك شكرى افندى قائد مسوه برسالة ثانيـة وطلب منه الحضور فى الوقت اللازم .

وداخل أهل المعسكر اضطراب عظيم لدى هـذا النبأ واغتم الجميع لاضطرارهم الى السفر بدون أقربائهم وأتباعهم إذ كان يوجد بالمعسكر نساء لم يأت أزواجهن بعد وأبناء لم يزل آباؤهم فى مختلف محطـات المديرية . وكان يوجد كذلك خدم أخـذوا بصفة حمالين ولم يزل مواليهم متخلفين فى جهات قصية جدا . وكل هذه الخلائق كانوا بحكم الطبع فى حالة يأس لأن كلا منهم ترك ذويه . وحضر كل هـؤلاء الخلائق الى فيتا حسان وشكوا اليه أمر اجبارهم على السفر وهم على هذه الاحوال . وبما أنه كان يشاطرهم تماما وجهة نظرهم فقد ذهب واحد منهم وهو الصاغ ابراهيم افندى حليم الى أمين باشا ليلتمس منه نيابة عنهم ان يأمر باطالة المدة ليجد سليم بك ورفاقه الوقت الكافى للقدوم .

وكان أمين باشا لا يريد أن يتهم بأنه هو المحرك لهذا السعى فنصحهم أن يتوجهوا الى استانلى ويطلبوا منه هذا التأجيل وأكد لهم أنه اذا استدعاه استانلى ليبلغه خبر زيارتهم فهو يعاضد طلبهم . ولكن بعد ساعة من انصرافهم من عنده استدعاهم ثانيا وأشار عليهم بأن لا يقوموا بأى سعى حتى لا يستفزوا استانلى لاستعمال الشدة . وقال لهم ان هذا هو صاحب الأمر والنهى وانه يجب عليهم ان يخضعوا لارادته طوعا أو كرها وان تركهم له فيه مجلبة للخطر لأن ذلك قد يمكن أن يجر بسهولة الى اعادة الاخلال بالنظام فى المديرية ومن جهة أخرى فان استانلى لا يدعهم يذهبون الى حيث يريدون لأنهم وان كانوا ضيوفه فهم فى الوقت ذاته أسراه . ويجب عليهم أن يعرفوا موقفهم هذا وان لا يستسلموا للأوهام والتخيلات .

وفى ٤ أبريل أعطى استانلى أمين باشا ٤ حمالين من أهالى زنجبار . وبضم هذا العدد الى ال ١٤ ماديا الباقين من ال ١٠١ الذين قدمهم أمين باشا الى استانلى عندما رجع ليبحث عن مؤخرته يكون مجموع ذلك ١٨ حمالا . وأعطى كازاتى ٣ فيكون لديه ٩ حمالين بما فى ذلك خدمه . وأعطى فيتا حسان ٢ فيكون لديه ٣٠ حمالا بما فى ذلك خدمه .

وكان لدى استانلى خادم من أهالى الزنجبار يقال له صالح وهو شاب نبيه ذكى الفؤاد يبلغ من العمر ١٨ عاما يعرف القليل من اللغة الانكليزية ويعى بعض قشور من العربية تعلمها من عساكر الحملة السودانيين فاستعمله مولاه جاسوسا له .

وكان صالح هذا يأتى استانلى بأخبار أقل الحوادث ويطلعه على آراء

أمين باشا وكازاتى وفيتا حسان ورجال المديرية .

وفى ٥ أبريل قام استانلى بالعمل الذى سموه (الانقلاب الفجائى الذى أحدثه استانلى) . وان مقاصد الثلاثة المذكورين الحميدة ما كانت تدع له مجالا لأن يتجاسر ويوجه اليهم أية ملامة بشأن تأجيل السفر غير انه نظرا لعدم مبالاته بما يفعل لدرجة خارقة للعادة اتهم أتباعهم بأمور هم منها أبرياء .

واليك بيانا دقيقا بما وقع من الحوادث فى ذلك اليوم حسب رواية فيتا حسان :—

قبيل الظهر دوى صوت صفارة استانلى المعهود . فانقض فيتا حسان خارج الكوخ فصادف كازاتى وكان قد خرج مثله ليرى ماذا حدث فرأيا فى دهشة الناس يطوون مضرب استانلى طى السجل ورأيا استانلى وضباطه مرتدين كساوى السفر . فتوجه الاثنان الى أمين باشا فوجداه قد بلغ منه التهيج مبلغا كبيرا . فسأله فيتا حسان عن الذى حصل فأجابه : « إن هذه هى أول مرة أهنت فيها وان استانلى وبخنى توبيخا شديدا وزعم أن مؤامرة عملت ضده . وانه على وشك ان يهدر دماء فى المعسكر . وان مسئولية هذه الدماء ستقع على رأسى . وانه يريد أن يسافر فى التو والساعة . وانه ليس فى استطاعة مخلوق أيا كان ان يمانعه » . فقال له فيتا حسان ان ذلك من رابع المستحيلات إذ لم يستعد بعد أحد للسفر وانه لا يوجد لديهم حمالون ولا عبيد وان هؤلاء انطلقوا الى الغابات لجلب الأحطاب إذ انهم كانوا يعرفون ان ميعاد السفر تعين فى يوم ١٠ أبريل ولم يقوموا بأى استعداد للرحيل اليوم .

مغادرة أمين باشا مديرية خط الاستواء
وسفره مع حملة استانلى

أعمل أمين باشا فكره برهة وبدون ان يجاوب أشار اليهم بيده ان اتبعونى وخرجوا من ناحية المعسكر وكان أمين باشا وضباطه واقفين وسط مربع مؤلف من رجال المديرية يحيط بهم الزنجباريون . ولدى اقترابهم من استانلى سمعوه يصيح :

« لقد علمت بالأمس أنهم سرقوا سلاح واحد من أتباعى وأنهم يريدون اعدامى . فهاكم صدرى أطلقوا على النار اذا كنتم تجرءون على ذلك . أنتم لا تعلمون بأنى أدعى استانلى وانى « بولاماتارى » - أى كسار الاحجار - وانى أنا المسولى هنا . نحن نقوض المضارب فى الحال . انى أريد ذلك . فكل الذين يبغون السفر يمكنهم ان يقفوا على يمينى والذين لا يريدونه يقفون على الشمال . وهؤلاء أنذرهم بأنى أعدمهم فى الحال رميا بالرصاص » .

ويقول فيتا حسان ان استانلى قد حضر خطابته بحذاقة . فأولا قذف بتهمة خرقاء وقعت وقع الصاعقة فى النفوس فأدهشت كل واحد . فبعد استعارات بليغة مثل « بولاماتارى » مدبرة خصيصا للتأثير على عقول البسطاء من السامعين كشف عن بطارياته وعندئذ أضحى من غير المستطاع مقابلة مشيئته إلا بالرضا والطاعة العمياء . وتكلل زهوه بالنجاح واتجه الكل بطريقة آلية الى يمينه .

وزاد فيتا حسان أيضا ان قال انه يعترف بالوجهة العملية لمثل هذا

الفعل . فالصرامة منى اقترنت بالجرأة ومثلت مع شيء من الأبهة ينخدع بها الجموع على وجه العموم وبالأخص جموع الزنوج . ولكن ما كان ينبغى لاستانلى ان يستعمل مثل هذه الطريقة مع أشخاص يجب ان يخدمهم كمرشد وليس من حدود وظيفته ان يتحكم فيهم وقد أتى اليهم بقصد إسعافهم وليس لينقذهم رغم انوفهم . إذ قال الخديو : « ان استانلى سيقودكم مع الراحة على قدر ما يستطاع » .

سجايا استانلى

وعندما وصف فيتا حسان سجايا استانلى قال : « لا مندوحة من التسليم بأنه لم يكن رجلا عاديا بل هو رجل ذو جرأة نادرة لا تدركه أية حيرة عند تخير الوسيلة وذلك ما أكسبه بعض الشهرة وانه ما خلق إلا ليكون فاتحا من فاتحى العصور الخالية المحنكين فى قيادة الاقوام المتوحشة الذين يبثون الذعر والرعب فى قلوب من يمرون بهم . وهو لا يعتبر الانسان إلا آلة لخدمة مصالحه الخصوصية ومجده الذاتى وان هذه الآلة يمكن كسرها متى قضى وطره منها وطرحها ظهريا » .

حوادث أيام رحلة استانلى فى عودته

وانقضى اليوم الأول من رحلتهم المفعمة بالوقائع الخطيرة بدون حادث . وكانت الطريق غير مستوية ومتعبة . وفى المساء سير استانلى رجاله الزنجباريين للقيام بغارة ليحضروا ماشية للذبح وعددا من الزنوج لاستخدامهم حمالين . ورجعوا فى غد اليوم التالى ومعهم ٥٠ زنجيا و ٦٠ ثورا . وانقضى يوم ١١ أبريل فى الراحة وسافروا فى يوم ١٢ منه ليصلوا عند الرئيس

« موزامبونى » Mosamboni بعد الظهيرة .

وكان قد سافر قبل ذلك بنحو عشرة أيام الملازم الأول استيرز Stairs و البكباشى حواش افندى و الكاتب يوسف افندى فهمى لاعداد معسكر فى هـذه الناحية . ولدى وصول الحملة اليها وجدته تاما . وكان استانلى ينوى ان يقيم فيه مدة ولكن ما استقر بالقافلة فيه إلا وقدم اليوزباشى شكرى افندى من مسوه .إذ أنه لما لم يجد أحدا فى كافاللى تتبع أثر الحملة لأن أسرته وأمتعته كانت قد سبقته معها . وما كاد يسمع الناس يتكلمون عن السفر حتى نزل فى مركب وأخذ معه بروجيا وجنديين وبعض الخدم وسافر الى ورى . ولما وجد معسكرها خاليا كما هو الحال فى كافاللى اقتفى أثر الحملة وأسرع فى السير مع بضعة الرجال الذين كانوا بصحبته بدون ان يخشى أو يخاف من القبائل التى لا بد ان يصادفها فى طريقه . ولقد كان شكرى افندى جنديا باسلا ورجلا ذكى الفؤاد فأدرك الحملة بدون عناء وقال ان سليم بك مطر كان يأمل ان تنتظره الحملة فى كافاللى وان يعجل فى أثناء ذلك ترحيل رجاله . وانه يأسف هو الآخر لاسراع القافلة فى السفر وأكد ان سليم بك ومن معه سيحل بهم القنوط واليأس عندما يعلمون بهذا الخبر .

وفى اليوم الذى حطوا فيه فى موزامبونى ظهر عند انبثاق الفجر أن ٦٩ شخصا بين جندى وخادم اختفوا ومن بينهم ٤٧ نفسا من أتباع حواش افندى . وأخذوا معهم المتاع و١٢ بندقية وقفلوا راجعين على ما يقال الى خط الاستواء ليوفروا على أنفسهم متاعب السفر . وأصبح حواش افندى لا يدرى ماذا يصنع . فلقد كان فى حوزته فى العشى ٥٠

حمالا ومن وقت حدوث هذا الهرب صار لا يملك إلا ٣ من الخدم من بينهم امرأتان غير ان حواش افندى كان رجلا ثابت الجأش لا تزعزعه العواصف والاهوال وفى ظرف أيام قلائل جمع ثانيا حاشية كافية ان لم تكن أكثر عددا من الأولى .

وبعد ان وصلت الحملة الى موزامبونى ببضعة أيام وقع استانلى فى مخالب المرض ووقف مسيرها . وكان قد أصيب بنزلة صدرية لم يبل منها إلا بعد خمسة عشر يوما والفضل فى ابلاله عائد إلى الدكتور پارك وأمين باشا وما بذلاه من التضحية فى علاجه .

وفى غضون هذا المرض لاذ زنجى يقال له ريحان كان حواش افندى قد أعطاه لاستانلى بأذيال الفرار مع زهاء ١٠ رجال . وطاردهم شكرى افندى بناء على أمر استانلى وأرجعهم الى المعسكر . وتبين ان ريحان هو المحرض لهم على ذلك وانه هو الذى قدم هذه القدوة السيئة وان ذنبه التمرد والعصيان فعقد له مجلس حربى مؤلف من استانلى وضباطه وحكم عليه بالاعدام فشنق وأعطيت جثته لرجال زنجبار فقطعوها وتركوها فى العراء . وعزوا الى ريحان فوق ذلك كثيرا من الجرائم الهامة فقالوا انه تآمر بقصد تجريد الحملة من أسلحتها وتسليم هذه الاسلحة الى سليم بك حتى يتمكن هذا من السطو على القافلة وهى عزلاء من السلاح .

ويقول فيتا حسان لقد كان من المستحيل ان يصدق انسان ان زنجيا معدما مثل ريحان حديث الخروج من جباله يستطيع ان يدبر خطة كهذه وان ينظم مؤامرة واسعة المدى مثل هذه . والأدنى للصواب أن استانلى كان يرى أن من الضرورى لأمن السفر ان ينكل بهذا المسكين

ليكون عـــبرة لسواه منعا لحدوث تدابير سرية فى المستقبل . على أن الحملة ليس لها أى حق ان تحتفظ بهـذا المسكين كرقيق وان توقع عليه هـــذا العقاب الصارم ولـكن استانلى كان قـد اعتاد طبـائع البلد القاضية باستعمال القوة الوحشية بدلا من الحق .

وفى أول مايو كان استانلى قد أبل من مرضه تماما وقـرر استئناف السفر بعـــد أيام قلائل . وفى هـــذا الوقت كان كازاتى و الصاغ على افندى سيد احمـد وهو شيخ كبير منهوك القوى ومريض قـــد طلبا من استانلى بعض الحمالين . ولـكن استانلى كان قـد اعتاد ان يحيل اتباع المديرية على الباشا وهكذا يتخلص من طلباتهم العـادلة الحقة . والباشا كان من جهـة أخرى قـــد أضاع كل نفوذ له فى الحملة من وقت الاهانة التى لحقته فى يوم ٥ أبريل وصار لا يتمنى غير شىء واحد وهو الوصول الى الساحل . وكان يتجنب كل بيان وبحث مع استانلى لئلا تلحقه اهانة أخـــرى يصعب عليه احتمالها . وعلى ذلك أحال كازاتى و على افندى سيد احمد على استانلى قائلا لهما ان هذا ليس من شأنه . ولما رآهما فيتا حسان فى حيرة وارتباك أعطى كلا منهما حمالين واقترض بعض نقود من رفاقه فى السفر واكترى أربعة زنوج آخرين بمبلغ قدره ١٧٠ ريالا .

وفى مساء ٧ مايو أى عشية يوم الرحيل حضر ساع وبيده خطابان . وعبثا حاول الناس معرفة لمن هذان الخطابان ومن هو مرسلهما .

وفى ٨ منـه قوض المعسكر سحرا وقرب الساعة ٦ أخـــذت القـافلة تسير . وقبيل الظهر وصلت الى جـــدول ماء ووقفت بقـرب قرية . وعندئذ قامت ضجة هائلة فى المعسكر انجلت عن اذاعـة خـبر وصول أيوب افنـدى

اسكندر فى الافواه . وأيوب افندى هذا كاتب كان قد ترك فى وادلاى . وعلم منه أن حزب سليم بك مطر وحزب فضل المولى بك انفصلا نهائيا . وانسحب الحزب الأخير الى جبال لاندو Landu بينما أخذ حزب سليم بك مطر فى السير مع رجال مكراكا وكانوا على وشك أن يلحقوا بهم . وان مقدمة مؤلفة من ٣٧ ضابطا وضابط صف كانت على مقربة من كافاللى وأخذت تحاول ان تلحق أمينا باشا ولكنها كانت تخشى أن لا تنتظرها القافلة . ودهش أيوب افندى عندما علم بخبر سفر الحملة هكذا على عجل لأن الخطاب الذى أخبرهم فيه بمسألة السفر لم يرد إلا فى العشى . وكان يلومهم على تركهم . ولكنه قال لفيتا حسان ان سليم بك كان له من الشاكرين على الجهود التى بذلها عبثا لأجل تأجيل السفر من كافاللى وانه أرسل اليه مكتوبا بهذا الصدد أحضره الساعى فى اليوم الذى انقضى مع رسالة إلى أمين باشا . وهكذا انكشف ما كان سرا بالأمس فقد وصل بالفعل خطابان أحدهما لفيتا حسان وصودر . وهنا يتساءل المرء عن الغرض من مصادرته ؟ ولماذا أريد اخفاء الأخبار عنهم ؟ ان كل ما فى استطاعة المرء ان يبديه فى هذا الصدد هو محض افتراضات . فان استانلى كان لا يهمه بلا جدال أخذ سليم بك ورجاله معه . ومع أنه كان يريد ان يتظاهر بأن يسهل لهم اللحاق بالقافلة فانه مما لا ريب فيه كان يود من صميم قلبه عكس ذلك وانه كان يبذل كل الوسائل ليمكر بهم . وكان أمين باشا يرغب من جهة أخرى ان لا يدرى أحد من المعسكر ان رفاقه السيئى الحظ على مسافة يومين وانهم يبخلون عليهم بالانتظار . نعم كان يرغب ذلك لأنه لم يكن فى الاستطاعة تقديم دليل قوى يبرر مثل هذا السلوك .

ورجع الجاويش عبد الله الطرابيشي والجنود الأربعة الذين كانوا قد رافقوا أيوب افندى ومعهم خطاب ووعد من استانلى لسليم بك بأن ينتظره عشرة أيام بعد مسافة قليلة من هنا عند سفح جبل رونزورى Ruensori أو أبعد من ذلك قليلا عند شاطىء بحيرة ادوارد حيث يجب ان تمكث الحملة عشرين يوما .

وكان استانلى يظن ان فى امكانه ان يصل الى البحيرة فى ظرف عشرة أيام بعد ذلك . وقفل الصاغ على افندى سيد احمد راجعا مع الجاويش عبد الله لأنه كان يبدو له انه لا يستطيع ان يتبع القافلة . وسافرت ايضا زوجة أيوب افندى فاتخذها لكسله وشحه لمساعدته فى حمل متاعه . وكان كل واحد يعتقد اعتقادا جازما أن استانلى يريد أن ينتظر سليم بك وأتباعه .

وفى ٩ مايو عاودت الحملة السفر متتبعة سلسلة الجبال الموصلة الى بحيرة « ادوارد » Edward وكان السير شاقا ومضنيا وشؤما على الحمالين . وقبل الرحيل قامت الحملة بغارة وأتت بكثير من الأسرى وهؤلاء الناس التعساء الحظ عوملوا كذلك معاملة أسوأ من معاملة دواب الحمل . فقد كبلوا فى أعناقهم بحبال متينة كل ثمانية أو عشرة منهم معا كما يكبل الرقيق واضطروهم أن يمشوا على هذا الحال والاحمال فوق رءوسهم . وأدمى أقدامهم الطلوع والنزول وسط الحصباء المدببة والمرور من جداول المياه . وكانت المؤخرة تسوقهم بالسياط وكانوا يتحاشون وقوع الضرب بدفع بعضهم بعضا فكانوا يقعون بأحمالهم ويصابون بجروح بليغة أحيانا . وإذا كان أحدهم لا يستطيع النهوض بعد كبوته يهمل فى الطريق فتلهمه الوحوش

الضارية أو يذهب فريسة قبيلة من القبائل المعادية هذا اذا لم تعاجله المنية قبل ذلك بسبب الجوع . واذا كانت جراحه لم تحل دون متابعته السير عندئذ يكلف ان يستمر ماشيا بحمله إلى أن تتفاقم جروحه ويروح شهيد عدم العناية والكد المستمر .

وهذه الأفعال التى صدرت عن حملة الانجاد هى أعمال وحشية قاسية لا تتفق مع المهمة التى جاءت من أجلها .

وبعد هذه الغارة قامت الحملة بأربع أو خمس غارات أخرى فى مدد متباينة المدى وعادت بشىء كثير من الماشية وعدد كبير من الحمالين إلا أنها دمرت عدة قبائل تدميرا .

وكانت الطريق رديئة ومخترقة دواما الجبال . وبدأ أناس خط الاستواء يتألمون من الألم من كثرة الصعود والهبوط . وكان البكباشى حواش افندى والتاجر ماركو دون سواهما لهما دواب . أما الآخرون جميعهم بما فيهم أمين باشا وكازاتى فكانوا يسيرون على الأقدام وإذا كان البعض منهم له مقدرة على مثل هذا المشى فان الأغلبية كانت تراه شاقا مضنيا . وكان الشيوخ الطاعنون فى السن والنساء والاولاد وهؤلاء كانوا يكونون تقريبا النصف يعانون من الآلام أكثر من غيرهم وكان عدد المرضى نزداد يوما عن يوم وكان أشد الأخطار جرح الأقدام سواء أكان ذلك من زلة قدم أم العثور فى حجر أو جذع أم أى شىء آخر . وأحقر جرح وأصغره كان بمثابة حكم بالاعدام . واذا حال جرح أى انسان دون مشيه سواء أكان هذا من البيض أم السود فالمصير واحد وهو التخلى عنه بحيث لا يبقى أمامه سوى انتظار الموت بأى شكل من أشكاله

الافريقية أى الرعن « ضربة الشمس » أو الجوع أو العطش أو الحيوانات المفترسة أو سهم أو حربة .

وكانت فرائص أعضاء القافلة ترتعد عندما تفكر فى الضيق واليأس الذى يحيق بامرىء ترك على قارعة الطريق وهو يعلم العاقبة التى تترقبه وأن لا أمل له البتة بعد . أما اذا كان المتروك أبا أو ولدا فقد يستطيع الانسان ان يتصور كم كانت آلام الابن أو الأب أو الأخ أو الأم إذ يجب عليهم ان يظلوا ساكتين رغم ضربات السياط التى تقع عليهم من مؤخرة القافلة وان لا يلتفتوا ليودعوا المقبور حيا الوداع الأخير .

ولقد ترك الكاتب باسيلى افندى بقطر اخويه وكان أحدهما شابا والآخر أكبر سنا . ورمى العسكرى المصرى ـ حمدان بنته البالغة أربع سنوات لما أعياه حملها وقد كان يجر رجليه بمشقة مدفوعا إلى الأمام بوقع السياط التى كان ينزلها بشدة على جسمه الكابتن نلسن . وهذا الجندى التعس لم يمتد به زمنه حتى تطول آلامه ويطول ندمه على ما فرط منه قسرا فى جانب ابنته لأنه وقع فى اليوم التالى فى الأرض يطلب من الموت الغوث .

وكان الزنجباريون والوانيما Wanyemas والحمالون الذين أسروا فى الغارات وخدم خط الاستواء يكونون وحدهم ثلثى القافلة . ومع انه كان قد يمكن ان يكون عدد المرضى كثيرا فكان فى الاستطاعة حمل البعض منهم الى ان يشفوا بدون تضحية حتى بشخص واحد منهم إلا انه مع ذلك لم تمتنع التضحية بهم والاخذ فى تسليمهم للحمالين إلا من الوقت الذى انضم فيه الى القافلة المبشران جيرول Girault وشينز Schynse .

ومن موزامبونى اجتازت الحملة غربا بلدا جبليا ثم اتجهت على خط مستقيم نحو الجنوب الى جبل القمر (رونزورى) متتبعة دائما أبدا سفح سلسلة الجبال .

ومن كافاللى الى ساحل الزنجبار لم يعد أمين باشا يتصل باستانلى اتصالا وديا . فكان الأول يسير مع الحملة ولا يهتم باتجاهها . وفقط عندما يكون لدى استانلى قرار بشأن مستخدمى خط الاستواء يرسل بارك Parke إلى أمين باشا لكى يعلن أولئك بذلك القرار بواسطة رئيسهم .

ومن بعد موزامبونى دخلوا أراضى مزروعة موزا فكانوا يستهلكون منه المقدار الأكبر فى اقتياتهم . وكان استانلى يأمر بأن يوزع عليهم موز وقليل من الذرة والفول وقطعة من اللحم مرتين فى الاسبوع وذلك فى يومى الاثنين والجمعة عندما توجد ماشية . ومن وقت إلى آخر يوزع عليهم شيء من البطاطا والقلقاس . وهذه كانت مؤونتهم مدة سفرهم التى استغرقت ثمانية أشهر .

وفى اليوم السابق لاجتياز نهير سمليكى Semliki واليومين التاليين لاجتيازه كان الطريق حسنا ومارا فى سهل رحيب فأراحهم من المشى المهلك فى الجبال . ومع ان الطبيعة كانت تجود عليهم بمحاسنها بعض أيام فى هذا الطريق السهل فان بنى الانسان لم يدعوهم يتمتعون بتلك المحاسن بل فاجئوهم بالعدوان . ذلك أن قبائل البناسورا التابعين لكاباريجا ظهرت دفعتين بعد ان فارقوا سلسلة الجبال وأطلقت عليهم عيارات نارية ثم أدبرت مسرعة .

ولم يكن نهير سمليكى متسعا وكان به زوارق للزنوج وان هو إلا أن وقع نظر هؤلاء على القافلة حتى تركوها تعبر النهير عليها . واستغرق اجتيازه يومين بدون حدوث أى عارض . وبعد ان عبروا سهلا شرقى النهير وصلوا فى مدة يومين إلى سلسلة جبال أخرى يقال لها « رونزورى » فتتبعوها سائرين من جهتها الغربية متجهين من الشمال الى الجنوب . وقامت قبائل البناسورا أيضا بثلاث هجمات بعد عبور نهير السمليكى غير انه لم ينشأ عنها ضرر . وبعد ان تركوا هؤلاء لاح بعض رجال قبيلة الوانيبا وعقب ان صوب جنود الحملة اليهم بعض طلقات ظهر لحسن الحظ أنهم اخوان وعلى ذلك سكتت فى الحال أصوات البنادق . وبعد عبور السمليكى والدوران حول سلسلة جبال رونزورى باسبوعين تقريبا بلغت الحملة سفح الجبل الأعظم ويسميه الأهالى وريكا Wirika . ثم لاح لها الرونزورى واقفا أمامها بحجمه الضخم الرهيب فكانت بروزاته تنكشف وتظهر الواحدة تلو الأخرى أو تختفى عن الابصار تبعا لموقعها وبعدها عن العين . أما ذروته المغطاة بالثلوج فكانت محتجبة بالغيوم . وكانوا قد رأوا الرونزورى قبل الآن ابتداء من مرتفعات كافاللى فكان يختفى عند السير بين المضايق وفى الوديان الصغيرة بينما كان يبدو للعين عند السير فى المرتفعات . وفى ذات يوم غائم لم يبد للعين شمسه أخذ المطر يتساقط من الصباح وعند الظهيرة استحال مطرا مدرارا واستمر على هذا الحال طول الليل فطلب المرضى من أمين باشا ايقاف الحملة وهذا رأى من واجبه إحالة هذا الطلب الحق على استانلى فضرب به عرض الحائط .

وقد كانت القافلة منهوكة القوى وكان رجالها يجرون أرجلهم بصعوبة

كبرى أو يسيرون مشتتين فى كل ناحية بدون رابطة ما . وهكذا كانت الحملة ممتدة بطول عدة كيلومترات ولو كان الاهالى معادين لها لكانت أبيدت لأنها كانت فى حالة لا تستطيع معها مقاومة . وكانت حتى نفس المؤخرة منشورة ومتخلفة كثيرا عن هيئة معظم الحملة لدرجة أنها فى المساء لم تتمكن من ان تعسكر مع القافلة . .

ان هذه الحملة التى تألفت لانقاذ أو على الاقل لمعاونة أمين باشا كانت قد وصلت الى ساحل بحيرة البرت نيانزا فى حالة كانت فيها احوج من غيرها الى المونة ولهذا السبب وزع أمين باشا بسخاء على افرادها وكانوا قد وصلوا تقريبا عرايا وجائمين نسيجا من الدامور وماشية وزادا من كل نوع . ولما كان استانلى قد ذهب شطر الغرب ليجيء بمؤخرة الحملة أخذ معه ١٠١ من زنوج المديرية لنقل الاحمال التى برسمها « اى المديرية » ولم يرجع من هذا العدد إلا ١٦ وال ٨٥ الآخرون مع رئيسهم المصرى محمد جداوى ادركتهم المنية . وتتألف الاشياء التى برسم امين باشا من بعض أثواب من نسيج القطن ومنسوجات حمراء من الصوف ومناديل وفوط وأربعة احذية وقبعة من اللبد وأخرى من التيل « Casque » . وهذا هو كل ما احضرته حملة استانلى الى مديرية خط الاستواء ومديرها مع بعض الملابس الداخلية وجوارب تالفة و ٣٣ صندوق ذخيرة . وبما انه كان من غير المستطاع مساعدة امين باشا بهذه الاشياء إلا مساعدة تكاد لا تذكر فلم يمانع فى مسألة انقاذه هو وبعض رجاله ممتثلا للقوة أكثر من الضرورة . (ولم يغب عن البال ما حدث فى ٥ أبريل) . وكان من المنتظر ان يعامل على الاقل بشيء من الرعاية والالتفات حسبما كان يرجوه بعد ان سمع ما جاء بخطاب الخديو ووعود استانلى ولكن

أتت الحالة بالعكس وامتثل رجال المديرية المساكين للضرب بالسياط يكويهم بسيورها اناس من الأوربيين مع سبهم فى الوقت ذاته بوابل من الشتائم مثل : « جـودام Goddam » أو الكلمة الزنجبارية « كومانيانا Kommaniana » وهى كلمة غليظة سافلة .

وعدا الاربعة الحمالين الذين أعطاهم استانلى لأمين باشا عند كافاللى والثلاثة الذين أعطاهم لكازاتى والاثنين اللذين أعطاهما لفيتا حسان كان كل شخص فى القافلة ملزما بأن يستحضر هو لنفسه حماليه وزاده وينقل مرضاه ويقيم كوخه عندما تحط القافلة الى غير ذلك .

وحطت الحملة فى سفح جبل رونزورى مدة يومين ثم اتجهت جنوبا الى أن بلغت شاطىء بحيرة إدوارد بعد مسيرة اثنى عشر يوما . وأقيم المعسكر على قيد فرسخ من البحيرة .

وكان استانلى قد أبان وهو فى كافاللى رغبته فى ان يمكث عشرة أيام على الأقل عند بحيرة ادوارد ليفحصها ويرسم خريطة لها ولكنه لم يلبث عندها إلا يومين . وكان قد أعرب عن نيته أن ينتظر سليم بك عشرة أيام بجوار جبل رونزورى وعشرين يوما عند بحيرة ادوارد . ولكن شيئا من هذا لم يكن فى نيته ولا قصده لانه بذل كل ما فى وسعه لمنع سليم بك من أن يلحق بالقافلة . وكان يرى فى انضمامه اليها كابوسا على صدره . وسارت الحملة مدة عشرة أيام على ساحل البحيرة على ابعاد منه تختلف قربا وبعدا . وفى أول يوليو زايلته فى الشمال الغربى لتتوغل فى بلدة أنكولة Nkole .

ووقع أثنـــاء مسيرها على طول شاطىء البحيرة خلق كثير فى المرض وتوفى كثيرون خصوصا من الاولاد . وجرحت أيضا أقـــدام الكابتن نلسن فقد كان أصيب بجرح فى بلاد الكونغو فقتح ثانية وصار يعـــانى منه ما عاناه رجال المديرية الذين كان قد اعتاد أن يطاردهم بلذعات سوطه وسبابه الذى كان كثيرا ما تتخلله كلمة كومانيانا Kommaniana . وقـد كانت الشفقة منزوعة من قلب نلسن أكثر من كل ضباط استانلى . وكان اليوم الذى عـــين فيـه لقيادة المؤخـرة يوم شؤم ونحس إذ ازدادت الشكاوى وصار الحمالون الذين كانوا يتهربون من لذعات ضربات السياط التى كانت توزع عليهم بكرم وسخاء يتحينون أقـل فرصة ويفرون تاركـين أحمالهم أو يأخذونها معهم .

وحضر فيتا حسان لنلسن بنـاء على طلبـــه من عقاقير أعطاه اياها مرهما لجرحه ودعت الحالة الى حمـله على نقالة مـدة اسبوع إلى ان ختم جرحه . ووقع الجميع من جهـة أخرى فى براثن المرض واحـــدا بعـد الآخر ولم ينج استانلى ولا ضباطـه ولا كازاتى . واستلزمت الأحـــوال حملهم على نقـالات . أما الذين احتملوا مشاق السفـر بدون ما تدعـو الحالة الى حملهم حتى ولا ساعة واحـــدة فهما اثنان فقط : أمين باشا وفيتا حسان . وكان الاول يمتطى حمارا ابتـداء من « ماكولو » Makolos والثـانى هو الوحيـد الذى قطع المسافة جميعها من بحيرة البرت إلى ساحل المحيط الهنـــدى مشيا على الأقـدام . وعندما بلغت الحملة بلدة أنكولة Nkole اضطر رجال حملة استانلى المنقذون أن يتركوا بعض اناس من رجال المديرية بسبب عدم وجود حمالين وهم : الكاتبان المصريان ابراهيم افندى ترباس و ابراهيم افنـدى طـــاهر و الصاغ المصرى ابراهـيم افنـدى حلـيم و اليـــوزباشى المصرى

عبد الواحد افندى مقلد . ولم يكن لدى كل واحد من الثلاثة الأخيرين إلا خادم أو خادمان ولكن كل هؤلاء كانوا لم يزالوا حديثى السن لا يقدرون على حملهم . أما الاول فكان معه ستة أشخاص بين نساء وأولاد وكان فى امكانه عند الحاجة أن يكلفهم بحمله ولكنه كان يجول بخاطره قسوة المؤخرة فيؤثر ما قدر له من الاخطار المستترة فى عالم الغيب على الآلام الحاضرة وازداد مرضه عما كان وصرح بانه عجز عن السير فترك فى الطريق . وهذا هو الرجل الوحيد الذى أظهر أتباعه الوفاء والاخلاص وأبوا مفارقته ولبثوا باقين معه .

وضحى حليم افندى فى سبيل راحة زوجته وهى امرأة مصرية يقال لها خضرة كل ما يمتلك وهو مبلغ زهيد قدره ٣٠ ريالا فاعطى هذا المال الى أناس من الزنباريين ليقيموا فى كل محطة يطول المكث بها عشرة ايام كوخا لزوجته ولما وقع هو مريضا تركته زوجته ملقى على الارض وتابعت سيرها مع الحملة فى الطريق .

وعندما وصلت الحملة الى بلد انكولة اصدر استانلى اوامر غاية فى الصرامة ذلك ان لا يمس الزراعة أحد وان لا يقتطف اصبع واحدة من الموز حتى لا يكون ذلك باعثا لغضب الأهالى . واستغرق اجتياز هذا البلد كل شهر يوليو تقريبا . ففى اليوم الأول اقتاتوا بما كانوا يحملونه من الزاد ثم رخص لهم بجنى الموز والمرور من الحقول . وأن تجلب الخدم فى كل دفعة تحط فيها الحملة موزا و فولا و قلقاسا و بسلة وغيرها . وهنا تركت بعض المرضى الذين لا يقدرون على دفع اجرة نقلهم . وكانت الطريق لا تختلف فى شىء عن الطرق التى وقعت عليها

العين قبلا وهى عبارة عن سلسلة جبال لا نهاية لها تضطر المسافر فى بعض الاوقات ان يصعد الى ارتفاع الف متر لينزل فيما بعد فى دروب مكونة من قطع ضخمة من الاحجار مكدسة بعضها فوق بعض مثل مدرجات الاهرام الهائلة .

وكانت زنجيات الحملة يشددن خواصرهن بمناطق مزركشة بالخرز ويحلين اجيادهن بعقود من الخرز اللامع الذى حجم الخرزة منه يضارع حجم البندقة الصغيرة وشكلها مثل كرة من الزجاج . وكان هذا الخرز مطمح انظار أهالى انكولة فيدفعون فى الخرزة الواحدة دجاجتين وفى الاربعين خروفا . وعندما زار اخو الملك استانلى افتتن هو نفسه بهذا الخرز فاحتفظ لرعاياه بكل الخرز الذى كانوا اخذوه قبلا وطلب غيره من استانلى ولما كان هذا قد انفق كل ما كان عنده منه طلب جمع كل الموجود فى القافلة ليقدمه لصاحب السمو الملكى .

وعبرت الحملة فى نهاية الامر نيل اسكندرا وبلغت فى مسيرها كارجويه وفيها تحرر فى ٢ اغسطس سنة ١٨٨٩ عقد بين امرأة قبطية من القاهرة يقال لها منجدة والحملة اشترط فيه ان هذه تقلها نظرا لمرضها مقابل أجر قدره ريالان فى اليوم الواحد .

وبينما فيتا حسان يتحادث مع امين باشا فى غضون وقوف الحملة حضر الصف ضابط عمر الشرقاوى مع ١٥ جنديا وهم بقية الجنود الذين احضرهم استانلى من مصر وكانوا فى حالة اهتياج وبلغ امين باشا ان واحدا من جنوده يقال له فضل المولى قتل شخصا من الاهالى بعيار نارى فسلط عليه استانلى الهمج فاقتادوه وقد ثقبت النبال جسمه الى محل يقرب من

أكواخهم وأخذوا يرقصون حول هـــذا الجسم المصبوغ بالدماء وقبل ان يقضوا عليه انتزع كل واحد منهم سنا منـه ويعترف رفاق ذلك الجنـــدى انه أذنب ويوافقـون على اعدامه رميا بالرصاص بوصف انه جنـــدى لا على تسليمه للمتوحشين ليطيلوا عذابه . وكان هذا هو نفس رأى امـــين باشا ولكن ذلك العمـل تم بدون استشارته وصار الآن وقـــد سبق السيف العـذل لا فائدة من الشكوى . فأخذ يلطف خواطرهم وانصرفوا متمرمرين وقلوبهم طافحة باليأس ..

وفى ١٤ اغسطس عنـــد دخول الحملة أرض مملكة لانجيرو Languro وزع عليها نقـود « سمبي Sembi » وهـــذا أمر ليس له سابقة . ومن هذه اللحظة الى ان أفضت الحمـلة الى الساحل صار الزاد لا يؤخـــذ مجانا بل كل شخص يتـكلف بنفقة مؤونته ودفعها من ماله ومن الاجـرة التى كانت تعطى له من الحملة . وهـذه الاجرة كانت ضئيلة ففيتا حسان ومن معـه أى ١١ نفسا لم يستولوا فى ظرف أربعـــة أيام إلا على ٣٥٢ سمبي فقط يعنى ٨ سمبي لكل واحـد فى اليوم وهـذه القيمة تساوى ٢ سولا Sola عبارة عما يقبضه عسكرى ايطالى فى اليوم . ولقـــد يفهم المرء بسهولة انه حتى فى وسط افريقيا ٢ سولا لا تكفى اطعـام رجل مع ان المسكن هناك تحت القبة الزرقاء لا يكلفه قطميرا . وعلى هذا اضطر رجال الحملة ان يتنازلوا عن بعض الاقمشة أو الخـرز الذى كانوا محتفظين به أو الذى كان فى حوزة الخـدم حتى يتمكنوا من الحصول على قوتهم اليومى .

وكان اليوزباشى على افندى شمروخ مريضا ونظـــرا لانشغال حماليـه بزوجته التى كانت هى الأخرى مريضة دعتـــه الضرورة أن يخاطب

فى شأن حمله الزنجباريين والتزم ان يتحمل الاجر الذى فرضته عليه الحملة وهو ١٠ ريالات أو بعبارة أخرى ٤٥ فرنكا يوميا وهذه قيمة باهظة يأبى العقل ان يصدقها ولكن ما حيلة المسكين وهو لم يجد أمامه بابا غير هذا يسلكه .

وكان المبشر ماكاى Makai قد اتخذ له محل اقامة على شاطىء بحيرة فكتوريا نيانزا الجنوبى وكانت محلته كبيرة تتألف من جملة دور مبنية من الخشب محمية بسور من الاوتاد والكنيسة قائمة فى وسطها . وبعد ان يجتاز المرء السور يجد مصنعا به آلات وأدوات مختلفة يشتغل فيه عمال من الزنوج متشحين بثياب نظيفة وفوق رؤوسهم قبعات . وهذا المنظر يحمل الانسان على ان يفكر فيما يثمره الحزم المقرون بالاحسان حتى بين متوحشى افريقية . وكانت مساكن الاهالى متجمعة على قيد بضع دقائق من مسكن ماكاى القائم على بعد زهاء نصف فرسخ من البحيرة .

وكانت الاهالى فى ماكولو Makolo قد توصلت لان تشتغل بالتجارة . وكثيرا ما كان يجتاز الاوربيون البلد فى قوافل وكان هؤلاء يدفعون الثمن المحدد حتى عن الماء خرزا من الزجاج .

ولكى يخفف استانلى عن كاهل أتباعه الزنجباريين أمر بتوزيع أقمشة وخرز فى هذا البلد وان يستبدل بها زاد يكفى لثلاثة أشهر وهى المدة اللازمة للوصول للساحل . وبعد هذا التوزيع بقى لدى الحملة بعض طرود كانت تود الخلاص منها فوجدت لها فكرة شيطانية ذلك أن أمر استانلى ان يدفع لجميع موظفى المديرية من الباشا الى آخر جندى مرتب نصف شهر نقدا لحساب الحكومة المصرية وبهذه النقود التى أعطيت لهم باع لهم

هذه الطرود الباقية التى كان يود ان يتخلص منها .

وطالت مدة الاقامة بطرف ماكاى الى ٢٠ يوما اذ ان رجال الحملة كانوا منهوكى القوى وكان لا بد لهم من الراحة لاكتساب العافية وبعد هذه المدة سارت القافلة .

ومن اوزوكوما Osukuma محل اقامة البعثة الانكليزية لغاية الساحل يستعمل الاهالى طريقة الاستبدال كما هو الحال فى بلد الوانيورو . ويسود طول هذه المسافة بعض النظام ولا يتقيد الانسان فيها كما هو الحال فى المراحل التى سلفت بسخاء الاهالى أو الارض . ولم يكن هناك مزارع منوز للميرة ولا حقول يستطاع بواسطتها اطفاء حرارة الجوع والاهالى تبيع لأى كائن كان جميع أنواع حاصلات بلدها بمناديل أو بشىء من نسيج القطن أو خرز من الزجاج ويؤدون ايضا ما يطلب منهم من الخدم فى نظير جمل يقبضونه . وبفضل هذه الظروف لم يكن الانتقال بين الساحل وفيكتوريا نيانزا شاقا ولا خطرا طالما كانت القافلة لا تبث على الاقل فى روع الاهالى المخاوف بكثرة عدد رجالها وقوتها . وهذه هى بالضبط والدقة الحالة التى كانت عليها القافلة فاعترض اهالى اوزوكوما Osukuma مرورها فى الموضع الذى كانت القوافل الصغيرة الأخرى تمر عادة بسهولة منه ومن جملتها قافلة الطبيب جونكر التى كانت مؤلفة من بعض الخدم . وحاولوا منعها من المرور وعلى ذلك حدثت مناوشة شديدة استعملت فيها الحملة لأول مرة مدفعها الرشاش « مكسيم » وانتهز أغلب حماليها فرصة الهرج والمرج ولاذوا بأذيال الفرار واستمر الاهالى فى هجومهم هذا مدة خمسة او ستة ايام أمطروا القافلة فى اثنائها وابلا

من السهام .

وفى بلد الميانوزى Mianwisi انضم الى القافلة المبشران « جيرولت Girault و شينس Shynse » وظلوا معها الى ان بلغت الساحل . ولدى وصولها الف استانلى فرقة من الزنوج لحمل المرضى ومن هذا الحين امتنع ترك هؤلاء على قارعة الطريق مثل ما كان جاريا قبل . ولم يقم بهذا العمل الا بعد فوات الوقت اذ فى الواقع ونفس الأمر كانت القافلة اضمحلت ومات منها نصفها فى كافاللى فلو كان هذا العمل الانسانى شرع به من منذ ما ابتدأت الحملة تسير فى طريقها لكان فى الاستطاعة انقاذ كثيرين من أولئك الذين جىء بهم من خط الاستواء ولم يموتوا هذه الموتات الفظيعة فى بلاد قبائل الهمج المتوحشين .

واستمرت الحملة فى مسيرها بهدوء وسلام بعد هجوم اوزوكاما وكانت تقطع كل يوم مرحلة مدة أربع أو خمس ساعات . وقبيل ظهيرة اليوم كانت تقف القافلة على نية ان تعاود السير فى بكور الغد عند الساعة السادسة وكانت تستريح فى كل قرية تجد فيها ما يلزم من القوت أو تجد حمالين تكتريهم للمرحلة القادمة .

ورأت الحملة ذات يوم علما يخفق امامها فى الهواء على قيد بعض كيلومترات . وعندما اقتربت منه تحقق لها انه العلم الالمانى فظنت ان هذه محطة امبابوا Umpapua التى طالما تحدث عنها أمين باشا .

وكان قبل ذلك ببعض أيام وصل الى أمين باشا خطاب من الماجور ويسمان المندوب الامبراطورى فى افريقية الالمانية الشرقية يقول له فيه

انه التزم ان يذهب هو بنفسه الى الساحل غير ان الكابتن شميت كان وصل اليه الأمر ان يستقبله (أى أمين باشا) واتباعه وان يحضر لهم كل ما يحتاجون اليه ويصحبهم الى البحر . ومن وقت وصول هذا الخطاب اليه عادت له طلاقته وبشاشته وفارقته الهموم وكان يشعر بأن أوقات الابتلاء والتجاريب مضت وانقضت ورجع له استقلاله وعظمته وكانت قد تغيرت ايضا طباع فيتا حسان وصار ينفر قليلا من جنس البشر من وقت مبارحة كافاللى ولا يجالس أمينا باشا الا نادرا . ولما وصل هذا الخطاب الى أمين باشا استدعاه وأخذ يحاول تشجيعه ويبين له ما يخالجه من الآمال قائلا : « انى لا أود ان تفارقنى . انك لازمتنى دواما فى حالتى السراء والضراء وانا لا أنسى قط ما قدمته لى من الخدم . فلا تتوهم انى اترك السودان لأنى عدت مع استانلى . لقد عشت فيه ردحا وافتكر ان ستدركنى منيتى فيه ولا أظن ان فى استطاعتك ايجاد مركز لك يوافقك فى مصر لأن الاحوال لا بد ان تكون قد تغيرت فيها تغيرا جسيما . وسأجد لك هنا مركزا فى الحكومة الالمانية لكى تظل سرمديا معى . لقد اشتهر الآن فى الخافقين اسمى وآمالى وما نلته من فخر ومجد سيئول اليك حين وفاتى . وانى سأذهب بلا ريب الى القاهرة وسيكون فيها همى الوحيد الاهتمام بالموظفين المرافقين لنا وسأرجع بعد ذلك وانت معى لكن سيكون رجوعنا فى ظروف أخرى غير الظروف الحالية » .

فشكره فيتا حسان على مقاصده الحسنة وأكد له انه سيكون سعيدا لو امكنه البقاء فى صحبته .

كانت محطة امبابوا قائمـــة على مرتفع مشرف على سهل به مزارع نضرة واشجار جميز مر عليها مئات من السنين يجتازه جدول ماؤه صاف رائق . وكان بهذه المحطة وقتئذ مـــائة جندي سود مدججين بالسلاح مرتدين ملابس حسنة ويقـــوم بقيادتهم ٤ ضباط من الالمان تحت امرة الكابتن شميت Shmidf وتتألف المحطـة من بعض دور مبنيـة يكتنفها سور مشيد من قطع صخرية ضخمة غير مرتبـــة الوضع ويمتـد البصر من المحطة فى أفـق رحب فسيح دائم الخضرة . وكان ضابط من ضباط الحاميـة يشكو من المـرض فذهب اليـــه أمـين باشا و پارك Parke وعالجاه فى مـــدة وقوف الحملة .

وكانت اقاليم اوزاجارا Usagara التى اجتـازتها القافـــلة فى ١٥ يوما ارضهـــا خصبة مثـل ارض اوزيجـــوا Usegua والامن العـام ضارب اطنابه فى سائـر ربوعهـا وامبابوا هى المحطـــة الوحيـدة التى تحتلها الجنـود الالمانيـــة . ومع انه كان لا يوجد حامية فى القرى الاخرى فالعـــلم الالمانى يخفق فوق دورها فى سائر النواحى وكان هـذا الدليـل الصامت على السلطة كافيا لتوطيد النظام والسكينة .

وبعد وقوف ثلاثة أيام فى أمبابوا تابعت القافلة سيرهـــا ميممة الساحل يرافقها الكابتن شميت وبعـد عـدة ايام بلغت سيمبـــا Simba حيث اولم الماجور ويزمان وليمة على شاطىء نهير كنجانى للحملة وهــــذه الوليمة فاخرة بالنسبة للبـلد المجتاز . وبعد مرحـلة قصيرة دخلت باجامويو Bagamoyo فى ٤ ديسمبر وكان ذلك فى الساعة ٤ بعد الظهر وكان العلم المصرى يرفرف فوق رأسها بينما كان الحصن يحييها باطلاق ٢١ مدفعا .

وعقب ذلك بساعة جمع أمين باشا جميع افراد القافلة وأبلغهم انه أتاه توا برقيتان احداهما من صاحب الجلالة امبراطور المانيا يهنئه فيها بعودته سالما من افريقية والثانية من صاحب السمو الخديو فيها مثل التمنيات السالفة له ولمن معه من الموظفين واخباره بأن الباخرة المنصورة وبها كل ما يلزم للحملة معدة تحت تصرفه لترجعه الى مصر .

وبينما كان الجميع فى غبطة وفرح يخالج نفوسهم لفكرة امكان الاياب فى نهاية الأمر الى ديار مصر خلف رئيسهم اذ طرأت فاجعة هائلة بدلت أفراحهم أتراحا وذلك انه قبيل الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ مساء عند نهاية الوليمة التى أولمها الماجور ويزمان حدث لأمين باشا حادث مفزع حال دون سفره من باجامويو مدة شهرين وهو انه ذهب الى النافذة وهوى منها الى الشارع من ارتفاع أربعة أمتار وقد يجوز ان سقوطه هذا نتج من انحنائه كثيرا عليها . وبادر فيتا حسان فى الذهاب الى المكان الذى سقط فيه ولكنه كان قد نقل قبل ان يصل ، الى المستشفى الذى حظر دخول أى انسان عنده .

وبعد يومين من وقوع هذا الحادث المكدر اضطر فيتا حسان ان يسافر الى زنجبار ومنها أبحر مع كافة رفاقه خلا أمين باشا الى ديار مصر فوصلوا اليها فى ١٤ يناير سنة ١٨٩٠ .

نتـــائج حمـــلة استانلى

ذكر فيتا حسان ان قافلتهم كانت مؤلفة عند سفرها من كافاللى من اكثر من ٧٠٠ نسمة وحسب رواية استانلى من ٥٥٠ بما فى ذلك ١٧٣ موظفـــا مصريا واسرهم وكان الباقى زنوجا ذكورا واناثا مستخدمين وضباطا وجنـــودا وخدما وحمالين . ولدى وصولهـــا الى زنزبار كان هـــذا العدد لا يكاد يبلغ المائتين . منه مصريون ٩٦ مع اسرهم وزهاء ١٠٠ مستخدم وخادم زنجى من اهالى مديرية خـــط الاستواء . وعلى ذلك يكون قد وصل من ال ٧٠٠ شخص الذين سافروا من كافاللى مع استانلى الى الساحـــل ٢٠٠ شخص فقط والباقى ترك فى الطريق ميتا أو مريضا ما عدا زهاء ٢٥٠ خادما هربوا بسبب سوء المعاملة .

واليك بيانا بالبيض الذين لم يبلغوا الساحل :ـــ

(١) الذين ادركتهم المنيـة فى الطريق : من الضباط على افندى شمروخ و سليمان افندى عبد الرحيم . ومن الكتبة : واصف افندى و يوسف افندى فهمى .
ومن غيرهم : محمد خير و الحاجه أم عثمان والدة وكيل المديرية عثمان افندى لطيف و عزيزة كريمة حسن افندى .

(٢) الذين تركوا فى الطريق : من الضباط : ابراهيم افندى حليم و عبد الواحـد افندى مقلد . ومن الكتبة توما افندى و احمـد افندى

ابراهيم و ابراهيم افندى طاهر و ابراهيم افندى ترباس . ومن غيرهم : محمد رشدى و محمد مطلق و محمد عماد و هوارى جمه و حمدان احمد و محبوب ابراهيم و محمد عرابى و محمد أمين و فطومة بنت الشيخ . هذا عدا ٨٠ فى المائة من الاولاد وأغلبهم من أمهات زنوج .

ومن الواضح الجلى ان رحلة كهذه من بحيرة البرت نيانزا الى الساحل فيها كثير من التعب والمشاق فى ذاك الوقت إلا انه أيضا من المحقق انه لو كانت حملة منقذيهم راعت ان قافلتهم تمتاز ولو شيئا قليلا عن قطيع من الانعام ما كان لازمها النحس وحلت بها كل هذه الخطوب . وفى غضون كل هذه الأسفار الطويلة لم ينقصها مرة الزاد . واذن لا يمكن أن تعزى خسائرها الى الجوع وكذلك لم يلحقها ضرر يذكر من الاهالى . والعدو الوحيد الذى فتك بصفوفها وأنقص عددها هو التعب والامراض . فلو استنزلنا عدد الخدم الذين تعلقوا بأذيال الفرار لا نخفض عدد القافلة الى ٤٥٠ نسمة . ومن المعلوم انه لا يمكن مع ذلك ان يقضى على ٢٥٠ من ٤٥٠ فى ظرف ثمانية شهور بأمراض عادية اذا وجد من يعتنى بهم أقل عناية واذا كانوا لم يساقوا بالسياط سوق الانعام حتى انهم لو كانوا قافلة أرقاء ما كانوا يساقون بقسوة تفوق هذه القسوة البربرية . ولو استطاع أناس مديرية خط الاستواء ان يتكهنوا بما خبىء لهم فى هذه الرحلة ما استطاع اغراء ولا قوة ان تزحزحهم من بلادهم واقناعهم بالسفر . فما من مصرى يقدر ان يشعر بعاطفة ميل أو ود نحو استانلى الذى اشترك اشتراكا فعليا فى اقتطاع أحسن وأفيد مديرية من مديريات مصر فى السودان ولكن لا مندوحة من الاعتراف بأنه رجل صبور على

المكاره وذو بأس نادر استعمله وياللأسف ضدنا . ولكن حكومة مصر فى ذلك العصر هى التى تستوجب منـــا أشد اللوم لسذاجتها التى أوقعتها فى هذا الشرك وورطتها فى التوقيع على سلخ هذه المديرية من السودان المصرى فى الوقت الذى لم يكن عليها سوى ان تترك هؤلاء الجنود حيث كانوا ولو التزمت هذه الخطة لثبت هؤلاء فيها الى ان أعيد افتتاح السودان .

وهذا هو الذى وقع . فقد ظل أولئك الجنود فى اماكنهم هناك لغاية ان أتت شركة شرق افريقية الانكليزية وجندتهم فى خدمتها وهكذا برجال مصر وسلاح مصر استولت على مديرية من مديرياتها كما يتضح ذلك لمن تتبع فى هذه القصة ما حدث بعد سفر أمين باشا .

١ — ملحق سنة ١٨٨٩ م

رحلة اليوزباشي كازاتي في مديرية خط الاستواء

القسم العاشر

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

ولما وصل أمين باشا الى تونجورو Toungourou أرسل خطابا الى شيخ القرية المزمع وصول استانلي اليها ليسلمه له عند مجيئه . وبعد قليل قدم استانلي الى هناك . وفي ٢٦ يناير ورد الى أمين باشا وجفسن Gephson خطابات من استانلي منبئة بوصوله صور فيها الموقف الذي عليه القسم الأكبر من الحملة في صورة تولد الخيبة في النفوس واستخدم الخطايا التي اقترفها الآخرون ليواري ما وقع منه هو نفسه من الخطايا . وذكر انه عندما عثر على مؤخرته لم يجد بها سوى ضابط واحد من خمسة ضباط و ١٠٢ من ٢٧١ رجلا . وكان استانلي في قلق وهم للموقف المحزن الذي باتت فيه رجاله حتى انه ذهب عن باله الغرض الوحيد الذي تألفت حملته لأجله أو الغرض الذي أذيع على الاقل انه قدم من أجله . ألا وهو : خلاص أمين باشا ، لدرجة ان أظهر نفسه بمظهر العاجز عن بلوغ هذه الغاية . وتهرب خلف انذار نهائي صرح فيه بأجل قصير وكتبه بلهجة تشعر بشيء من قلة الذوق . واستدعى أخيرا جفسن

للذهاب اليه وترك أمينا باشا يدبر أموره بنفسه لانه لا يريد أو لا يقــدر ان يحاول القيام بعمل لخلاصه .

وكتب أمين باشا خطابا الى سليم افندى مطر ينبئه فيه بقـدوم استانلى ويطلب منه اعـــداد باخرة للنقـل الى ورى محـل وجـــوده . وأشار فى الوقت نفسه بانتداب لجنة من الضباط للذهـــاب الى استانلى وصرح بأنه لن يبارح تونجورو قبـــل بضعة أيام . وأعلن جفسن من ناحيتـه رئيس الحكومة الوقتية بأن حملة الانقاذ على وشك العودة وان الحاجة ماسة لتوريد ٤٢ ناب فيل لتعطى أجرة للاثنين والأربعين حمالا نظير نقـل الاثنين والأربعـين حملا التي أحضرتهم للباشا .

وفى ٢٨ ينـاير سافر جفسن من تونجـورو الى مسوه Mswa ولكن عند وصوله الي هـذه المحطة الاخـــيرة رجعت البـاخرة الخديو التى أحضرته اليها الى تونجورو واضطر ان يقطع المسافة بين مسوه وورى على زورق أحضره له شكرى افندى قائد المحطة .

وغـادرهم جفسن وهو متيقن انه لن يراهم بعد وكان يلح على أمين باشا لغاية آخـر برهة أن يسافر معه غير ان كازاتى فى هـذه المرة وفق تمام التوفيق وأصغى الباشا الى مشورته بالبقـاء وان لا يفـارق تونجورو قبـل ان يتداول مع ضباط وادلاى .

ولم يحـــدث رجوع استانلى رجـة وقلقا عظيما فى وادلاي لأن جميع الناس فيهـا كانوا لم يزالوا فى ذعر ووجـل من الصدمة الهـائلة التى منيت بها الحكومة من جراء الهجمة الاخيرة التى هـــدت قواها وزعزعت أركانها

وصيرتها عرضة للأخطار . نعم انه مما لا جدال فيه ان العدو رجع مهزوما ولكن هذا النصر كان معتبرا من تلك الانتصارات التى فيهـــا خسارة الغالب تربو على خسارة المغلوب لأن ذلك النصر استنفد كل وسائل الدفاع التى كانت فى المديرية وجـــرأ علاوة على ذلك الأهالى على الحكومة فصيرهم واقفين لها على قدم الاستعداد فى كل وقت متحينين أى ضعف يبدو منها لشن الغارات . وأحدثت رغبة بعضهم فى الرجوع الى مصر وانشغال بال البعض الآخـــر بسبب نفاد الزاد ما لا واحـــدا وعاقبة واحدة عند الفريق الأول والثانى ذلك انهما قابلا مع تباين حالتيهما بفرح وسرور خـــبر قدوم استانلى .

وحدث مع ذلك اشكال بصدد المفاوضة مع استانلى إذ من المحقـــق أنه لا يقبل المحادثة مع أحـــد غير الباشا وبالأحرى لا يقبـــل ذلك مع ضباط ثائرين . وقد تعين وفد من ستة ضباط ليذهب الى تونجورو ومنها لمعسكر استانلى تحت كنف الباشا ولكن لما مثل سليم افندى مطر بين يدى الباشا وطلب منه مرافقة الوفد وأن يسهل له بتوسطه ما يتخذه من الاجراءات رفض أمين باشا رفضا باتا واحتج بأن الخديو عينه رئيسا للمديرية فلا يمكنه ان يعترف ضمنا بما تأتيه حركة الثورة من الاعمال حتى لا يجلب على نفسه مسئولية عن ذلك أمام رؤسائه وانه اذا كان لا يمكنه ان يعترف ضمنا بذلك فهو بالأحرى لا يقبل القيام بعمل حقير الا وهو وظيفة المترجم التى يراد اسنادها اليه .

وللخروج من هذا المأزق الموجب للحيرة والارتباك جاهر كازاتى بأن رجوع أمين باشا لتسلم مقاليد الحكم هو الوسيلة الوحيدة للنجاة وان

هذه الوسيلة هى التى يمكن الاعتماد عليها فى الخروج منه . وكان لم يبق لأمين باشا غير قليل من الامل الا ان هذا التصريح حرك فى نفسه عوامل الطمع وبث فيه الرغبة للأخذ بالثأر فأبدى استحسانه لهذه الخطة .

وكان من السهل على كازاتى فى الظروف التى كانت تكتنف المديرية ان يجد له مناصرين لتنفيذ مشروعه وبالاخص بين أولئك الذين يرغبون العودة الى مصر وقام بينه وبين من كانوا فى تونجورو عدة مناقشات واخيرا تقرر الرجوع فى ذلك الى ما يختاره الضباط والمستخدمون الذين فى وادلاى . وفى اثناء انتظار الاجابة اتفقت الآراء على الانتقال الى مسوه ليكونوا فى موضع قريب من معسكر استانلى . وبالفعل تم الانتقال اليها .

وعندما صاروا فى مسوه تذرع كازاتى بقصر المدة التى ضربها استانلى واقترح على سليم افندى مطر ان يذهب الاشخاص الذين يرغبون فى السفر الى امين باشا ويقدموا له معاذيرهم ويلتمسوا منه ان يتنازل ويرجع لتسلم اعنة الوظيفة التى قلدها له الخديو وقبل هذا الاقتراح كل من كان فى مسوه وعمل بذلك محضر نسخت منه عدة صور وارسلت الى توبجورو و وادلاى لعرضها على الذين فى هاتين المحطتين للتوقيع عليها .

وتوجه المندوبون الى امين باشا لتتميم المهمة التى القيت على عاتقهم . وقد قبل امين باشا التماسهم وفى ٩ فبراير عاد الى تسلم مقاليد الأعمال ورقى البكباشى سليم افندى مطر الى رتبة القائمقام وعينه علاوة على ذلك وكيل مديرية .

ومنح ترقيات أخرى نظير تأدية أعمال حربيـة متنوعة فى موقعة دوفيليه . وبعد ان أصدر أمين باشا الأوامر اللازمة بشأن اخلاء المحطات أقلع الى معسكر استانلى فى ويرى هو وسكرتيره وبعض الضباط .

وعهد الى عثمان افندى لطيف الذى ترقى حديثا لرتبة البكباشى استقبال من يأتى ويرسله الى المعسكر المعد لحشد الجنود . وكان عثمان افندى هذا من عام ١٨٨٢ م وكيلا للمديرية . وقضى نحـو عشرين عاما فى السودان شغل فى أثنائهـا عدة منـاصب . وعلى أثر خـلاف شجر بينه وبين قائد دوفيليه فصل من وظيفته ولم يعد الى الخدمة إلا حديثا .

واستغـرق السفـر من مسوه الى ويرى يومـــين تداول فى خـلالهما أمين باشا وكازاتى فى الخطة الواجب اتباعها . وكان على أمين باشا واجب لا بد من تأديته . وذلك الواجب يحتم عليه ان لا يفارق القائمقام سليم بك مطـر ولا فردا واحـدا من أولئـك الاشخاص الذين برهنوا عند انعقـــاد اجتماعهم فى مسوه على احترام النظـام وعدم التخلف عن التضحية وبذل النفس . وهـــذا ما كان يمليه عليه واجب الاعتراف والاقرار لهم بالجميل . وكان عليه من ناحية أخــــرى ان يضع نصب عينيه تتميم المهمـة التى القاها الخديو على عاتقه وهى السهر على الجميع . وعلى ذلك كان من المحتم على البـاشا ان يحتفظ بحريته التامة فى ابداء رأيه الشخصى الى اللحظة التى يكون فيهـا جميع رجاله قد اخذوا استعداداتهم للسفر .

وكان موقع « ويرى » صالحا للغـاية لدنو البواخــــر من الشاطىء ووضعه بهذه الكيفية يسهل المواصلة مع معسكر استانلى فى كافاللى . وكان وصـولهم الى ويرى فى ١٦ فبراير . وسار أمـين باشا وضباطه مولـين وجوههم

شطر معسكر استانلى . وفى ٢٠ فبراير قدم المسيو بونى ومعه ٣٠ زنجباريا و ٦٤ حمالا لأخذ أمتعة الباشا .

ورجع أمين باشا فى ٢٢ منه وأخبر كازاتى بالتدابير التى اتخذها هو واستانلى وقال انه لم ينبس لاستانلى ببنت شفة بصدد ما عنده من البواعث التى كان يجب عليه ان يبديها له .

وفى ٢٦ منه رجع الى معسكر استانلى بعد ان علم ان مجلس وادلاى الذى أرسل إليه قرار مسوه أبى ان يوافق على هذا القرار وثبت خلع الباشا من منصبه وعين فضل المولى افندى لادارة شئون المديرية ومنحه رتبة قائمقام .

أما سليم بك مطر والضباط الآخرون الذين كانوا توجهوا لمقابلة استانلى فقد رجعوا مبتهجين فرحين بما لاقوه من حسن الوفادة . وقد كانوا ينتظرون منه بعد حوادث الشهور الاخيرة اللوم والتعنيف ولكنه قابلهم بالبشاشة والايناس والقول اللين اللطيف وسلمهم رسالة ليبلغوها لضباط وموظفى وادلاى .

(وهذه الرسالة مذكورة فى الملحق الثانى لهذه السنة) .

وأطلع سليم بك كازاتى على هذه الرسالة فلفت نظره ما بها من ابهام وغموض فيما يتعلق بالاشخاص المقصودين بها والظروف التى رمت اليها . وكذلك بالنسبة للأسلوب الذى أشارت به الى سيطرة الباشا وتدخله فى تنظيم العودة لأن المسئولية الملقاة على عاتق هذا أمام الخديو كانت أكبر من مسئولية أى شخص آخر .

واتخذ سليم بك طريقه فى اليوم ذاته الى وادلاى وقد عقد النية ووطد العزم على ان لا يدع فضل المولى بك يتغلب عليه . ووجه اليه كازاتى النصح بأن يعجل ترحيل الرجال وأسرهم وقال له : « عسى أن نراك قريبا » . ولم تخرج هذه الكلمات إلا من شفتيه لأن الصعاب التى كان لا بد له من اقتحامها والتغلب عليها والشروط المدونة بالرسالة وكذلك اختلال النظام وفقدانه كلية كل هذه كانت موانع تحول دون الوفاء بالوعود التى أعطيت .

ولبث كازاتى فى ورى الى أول مارس وهو التاريخ الذى سافر فيه فيتا حسان وسافر هو على أثره فى اليوم التالى وبلغ معسكر حملة استانلى القائم فى كافاللى فى ٣ منه وحط فيه رحاله . وكان الدخول الى هذا المعسكر من الباب الجنوبى . وقد كان العلم المصرى يخفق فى ذروة سارية قائمة فى نهاية الميدان الرحب الواقع فى وسطه . والحراسة فيه موكول أمرها للزنزباريين تحت مباشرة ضابط انجليزى رأسا . وكان يوزع خصيصا على رجال أمين باشا اسبوعيا مقدار من اللحم . ولا توزع الأطعمة يوميا الا على رجال الحملة دون سواهم . أما السيطرة فكانت محصورة كلها فى شخص استانلى وضباطه ولم يكن للباشا الا سيادة وهمية لا غير . وكان استانلى يهز فى أمين باشا العرق الحساس بأن يحييه بتسميته « العالم الملحق بالحملة » وقد لا تخلو هذه التسمية من التهكم .

وتتابع نقل الأمتعة كما تعهد بذلك استانلى من معسكر ورى الى كافاللى ابتداء من ١٤ فبراير . وكان الذى يقوم بهذا العمل الزنزباريون يعاونهم الأهالى إلا أنه ما كان يخلو الحال من أن يبدو من هؤلاء شىء من

عدم الطاعة وعندئذ يكون جزاؤهم الجلد .

وكان قليلا ما ترد أخبار من وادلاى فينشأ عن ذلك تأويلات وتقولات متضاربة . وكان استانلى لا ينتظر للبدء فى الرحيل الا ابلال بعض الزنزباريين ولذا قد حدد تاريخ سفره عندئذ وقد يكون فى الغالب قد اتخذ قراره هذا وقتما خاطب ضباط وادلاى بقوله : « مهلة مناسبة » .

ففى المرة الأولى تعين السفر فى ٢٥ مارس ورضى أمين باشا بذلك ثم تأجل الى ١٠ أبريل فقبل أمين باشا هذا الميعاد أيضا . وشافه جفسن فى هذا الشأن كازاتى فى ١٤ مارس فلاحظ هذا بحسن نية وصدق طوية أنه من رابع المستحيلات حشد جميع أولئك الذين عقدوا النية على السفر فى ظرف ٢٥ يوما . وأن تحديد أجل قريب كهذا معناه الرغبة فى ترك عدد كبير من رجال أمين باشا . وفاتح كازاتى فى ذلك أمين باشا فصرح له هذا بأنه ما زال يرغب انتظار أتباعه ويؤثر الانفصال عن استانلى إذا سافر قبل وصول الجميع .

وفى ٢٥ مارس ورد خطاب موقع عليه من ٣٦ ضابطا من وادلاى وفيه يعلنون بعبارة بسيطة وصريحة بدون أن يبدوا أى احتجاج انهم قرروا بالاجماع الرجوع الى مصر وكان اسم فضل المولى بك والثائرين الآخرين مذكورا بين أسماء الموقعين .

ورأى استانلى فى هذا ما يكفيه لأن يرفع عقيرته مناديا : يا للخيانة ! ولأن يعقد مجلسا برياسته بحضور أمين باشا ويقرر تعجيل السفر وترك

من بوادلاى . والكابتن نلسن وحده تشدد فى الكلام . غير أن الباشا لا يستطيع أن يقبل التعجيل هكذا بالسفر بدون الاخلال بواجباته . ولكن ما العمل واستانلى يريد ذلك . وتأيد بالفعل السفر فى ١٠ أبريل بقبول صريح من الباشا .

ولم يتصل كل هذا بكازاتى إلا بعد ظهر الغد . وقدم استانلى وعرض على كازاتى بايجاز موقف الحملة الحرج وأطلعه على ما دار بينه وبين الباشا من الحديث وتأسف من اهمال أتباع الباشا وبطئهم ومن تخلفهم كلية عن الحضور . وختم كلامه بأن صرح بأنه فى ريب من نيات ضباط وادلاى وان الباشا متكدر من ذلك . وقال أيضا : وهل من واجباته هو (أى استانلى) ان يعرض الحملة الموكول اليه أمرها الى خطر محقق ؟ أو ليس من واجبات أمين باشا ان يفكر تجاه هذا الخطر فى سلامته هو نفسه ولا يخاطر فى سبيل اناس أهانوه وسجنوه ؟

فأجابه كازاتى ان واجبه يقضى عليه بلا نزاع ان يحافظ على الحملة التى عهد اليه أمرها . أما فيما يختص بواجبات والتزامات الباشا فهو لا يشاطره رأيه لأنه يعتبره مرتبطا بصك الطاعة والخضوع الذى تسلمه فى مسوه فى ٨ فبراير .

وأرسل استانلى يطلب من الباشا القدوم اليه وأعاد عليه السؤالين الأخيرين اللذين كان وجههما الى كازاتى فأكد له انه لا يعتبر نفسه مرتبطا البتة وانه ما قبل فى مسوه إلا لأنه لم يجد أمامه منفذا آخر ليبارح منه المديرية . ولما لفت استانلى نظر كازاتى لموافقة رأيه هو لرأى أمين باشا أجاب هذا انه متمسك برأيه وانهم مطلقو السراح فى آرائهم وان لا مانع

يمنعهم من عمل ما يستحسنونه .

ولم يلبث الفرح والابتهاج الذى أثارته الرسالة الواردة من وادلاى وقتا طويلا لأن قرار السفر كدر العدد الاكبر كدرا لا مزيد عليه وأبدى هذا الفريق كدره علانية . ومع أن كازاتى قد اتخذ العزلة شعاره فى معيشته واطرح تقريبا معاشرة الناس هزته أشواق حب الاستطلاع لأن يعرف ما يجول بخاطر الضباط وقد شاءت المقادير ان تسبقه فى تحقيق رغبته فأتاه فى الغد لزيارته البكباشى حواش افندى و عثمان افندى لطيف و اليوزباشى ابراهيم افندى حليم و الملازم الأول على افندى شمروخ واعربوا بالاجماع عن عدم ارتياحهم لترك اخوانهم فى وادلاى مجردين من الميرة والذخيرة ولا مفر لهم من الوقوع غنيمة باردة بين براثن أعدائهم كما أبدوا استياءهم من سلوك الباشا .

ولما كان استانلى قد عقد النية على أن لا يحيد عن خطته أمر الكابتن نلسن بمبارحة المسكر فى ٢٩ مارس ليبعث بكل الذين فى ورى الى كافاللى . والآن نزعم ويؤكد رئيس الحملة وضباطه أن مهمتهم تنحصر فى خلاص أمين باشا وأنقاذه وصمموا على ترك الجنود والمبادرة برجوعهم هم أنفسهم .

وارتبك أمين باشا واحتار فى أمره وصار لا يدرى ما يصنع . فقد كان يرغب من جهة رغبة شديدة ان يجعل بينه وبين رؤساء الفتنة جبالا ووديانا غير انه كان يكره من جهة أخرى كراهة لا تقل شدة عن رغبته فى مفارقة أولئك الرؤساء ، ان يسلم نفسه مكتوف اليدين والرجلين للانكليز بحيث يمسى غير صالح إلا ان يكون سلبا من أسلابهم وغنيمة

من بين غنائمهم وازداد ترددا فى أعماله . وأخـــذ يتلمس ذات اليمين وذات اليسار عله يهتدى لطريق النجاة بدون ان يقر حزبا من الحزبين وزاد بعمله هذا الموقف تعقيدا بدلا من تسهيله وتبسيطه .

وأخــذت مراجل استانلى تغلى جزعا وفرغ صبره . وكانت الاخبار التى تصل اليه تدعه فى ريب من مقاصد الباشا . وجاءت أخبار قرب إتمام اخلاء وادلاى فمهدت له سبيل اقتحام الامور .

وفى ٥ أبريل أصدر التعليمات الــتى اقتضتها المصلحة ثم توجه عنــد أمين باشا . وبعد ان كلفه بأن لا يخبر أحدا بما سيقوله له أخــبره بأنه حدث فى أثناء الليل محاولة الغرض منها سرقة أسلحة الزنجباريين وان هنالك مؤامرة ضده وان النية معقودة على مقاومة قرار السفر .

فأجابه أمين باشا انه يعتقد بأنه لا يوجد شخص واحد يتجرأ على ان يحاول القيام بالامر الذى أريد إدخاله فى ذهنه .

فأجـــابه استانلى بأنه لا يريد ختلا ولا مواربة وان لديه اقتراحين يجب عرضهما عليه : أولهما انه عول على حصار المعسكر فى بكور غد بعساكر من الزنجباريين واصدار أمره بالسفر فى الحال واذا حـــدثت مقاومة فعندئذ يستعمل السلاح . والثانى ترحيله مع حرس بدون ان يشعر أحد واللحاق به بعـــد بضع ساعات . فرفض أمين باشا الاقتراحين قائلا انه لا يمكنه ان يترك كازاتى و فيتا حسان و ماركو . فأجابه بأن لا داعى للحزن ولا للخوف عليهم وانه متى استقر فى مكان يذهب هو فى طلبهم وينتزعهم بالقوة الجبرية من أيدى المصريين اذا استدعت ذلك الاحـــوال . فأجابه

أمين باشا انه لا يرى ضرورة للالتجاء لوسائل كهذه ما دامت الحملة ازمعت على السفر فى ١٠ أبريل .

وعندئذ استشاط استانلى غضبا ولم يقف غضبه عند حد وضرب الارض برجله وصاح بصوت مخنوق من الغيظ : « جـــودام . استودعك الله . وليسقط على رأسك ما يهدر من الدماء ! »

وقفز الى الخارج ونفخ فى صفارته وهـــرع الى مضربه وخرج منه وبندقيته فى يده وكان الزنجباريون محشودين فى الميدان وجانب منهم يخفر مخارج المعسكر وقلبت المضارب ظهرا لبطن وتكدست الامتعة وصناديق الذخيرة أكواما .

وشاهد كازاتى وهو واقف على عتبة مسكنه هذا المنظر الخارق العادة وهذا الاستعراض غـــير المألوف وجال فى خاطره بادىء بدء ان رجال الحملة شارعون فى القيام بعمل مناورات لأجل السفر المزمع حصوله .

واستفهم كازاتى من الذين كانوا يمرون أمامه عن جلية الخبر فلم يرد ولا واحد منهم له غليلا اذ الكل كانوا يجهلون سبب حدوث هذه الحركة . وبعث بخادمه إلى أمين باشا فعاد وقال له ان الباشا يعد معدات السفر وان الحملة سترحل فى التو والساعة .

وذهب كازاتى الى أمين باشا فوجده شاحب اللون يكاد يتميز من الغيظ . وقال له بصوت يرتجف انهم شرعوا فى السفر وان استانلى داس كل شعائر الحشمة واللياقة وذلك بشتمه ثم انعقد لسانه لأنه وعد بأن لا يتكلم . وكان أمين باشا رازحـــا تحت تأثير الخوف يخشى ان تحدث استانلى امارته

بالسوء ان ينفذ الاقتراح الاول الذى كان عرضه عليه .

وكانوا شارعين فى حشد جميع الحاضرين من موظفى مديرية خط الاستواء فى الميدان . وكان كل هؤلاء الناس مبهوتين حيارى سابحين فى بحار من الهم والغم لا يدرون كيف يفكرون ولا فيم يفكرون . وكان آخر من وصل منهم أمين باشا وكازاتى .

وصاح استانلى فى الحاضرين وهو فى أشد حالات الهيجان من الغضب : « أنا وحدى الحاكم الآمر هنا . واذا كان أحدكم تحدثه نفسه ان يقاومنى أرديه ببندقيتى هذه وأطؤه بقدمى . وليمض الآن أولئك الذين يبغون السفر معى الى هذه الناحية » .

ومضى الجميع الى الناحية التى أشار اليها . وأحضر الرؤساء المتهمون بعمل المؤامرة بين يدى استانلى فأمر بتجريدهم من أسلحتهم وزجهم فى السجن .

وأوضح استانلى لهم انه يطلب منهم طاعة عمياء وان عليه ان يزودهم بحاجاتهم على طول الطريق وانه وطن العزم على ان لا يدع النظام يختل مرة أخرى كما حدث فى دوفيليه ووادلاى . وان السفر قد تحدد نهائيا فى ١٠ أبريل . وصار المعسكر ابتداء من ذلك اليوم كأنه فى حالة حصار وتضاعفت نقط الحراسة وأخذ العسس يغدون ويروحون دائما أبدا فى الليل وحظر على الناس الخروج بعد غروب الشمس .

وعمل احصاء عام ظهر منه ان عدد رجال حملة الانقاذ يبلغ ٣٥٠ رجلا منهم ٢٥٠ مسلحون وعدد الذين حضروا من مديرية خط

الاستواء ٥٧٠ نسمة منهم ٤٠ مسلحون . وهـــذا العدد الاخير هـــو الذى ارتعـدت منه فرائص استانلى وخشى منــــه على حياته . ورفض أمـين باشا الاشتراك فى هذه الاحصائية .

وفى صباح يوم ١٠ أبريل دوى صوت صفارة استانلى فى الهواء واتخـذت الحملة سبيلها بعد حرق المعسكر وهدمه .

وكان رجال المديرية غـير راضين عن الحالة إذ انه ما كان غاب عن بالهم التدابير التى كان اتخـذها ولا ترك رفـاقهم فى وادلاى ولذلك بعـــد مسيرة يومين هرب منهم ليـــلا تحت جنح الظلام ٦٩ نفسا . فكدر ذلك الحادث الضباط وأحزنهم . وأبلغ واحد منهم الباشا ما حدث فجزع لذلك وعمل فى الحال بجد لاغلاق هذا الباب . وفى مساء نفس اليوم جمع أتباعه ونبههم الى الخطـر الذى يحيق بهم وجرد من السلاح كثيرا ممن اشتبه فيهم ومن ضمنهم أربعة من خدمه .

وفى ٢٧ أبريل قـــام مجلس بعمـــل تحقيـق بقصـد تلافى تيار ذلك الهــــرب الذى ربما أدى الى تعريض قـوة القـافلة وأمنها للخطـر . وبعـد ان انعقـدت الجلسة عـــدة ساعات تبين لها فى نهـــاية الأمر ان خدم البـاشا الأربعـة تآمروا بقصد الرجــــوع الى وادلاى وذلك بتحريض من ريحان . وكان ريحان هذا شابا زنجيا قـــد اصطفاه استانلى لنفسه فقص على الاربعـة الخـــدم ما حاق بالقـافلة من أنواع العـــذاب الذى لا يضارعه سوى عـذاب الجحيم . وبعـد المداولة حكم المجلس عليهم بالجـلد بالسياط .

ولما أعوز الحملة الحمالون التجأت الى شن الغارات وهذه لم تأت بثمرة تذكر . وبعد مسيرة عدة أيام وقع استانلى فى مرض شديد الوطأة وقام بتطبيبه أمين باشا والدكتور پارك Parke طبيب حملة النجدة .

وكان استانلى قد احتفظ بالاثنين والستين صندوق الذخيرة التى كان تسلمها من الحكومة المصرية برسم أمين باشا ولم يشأ تسليمها لرؤساء وادلاى خوفا من أن يعرض ذلك ـ حسب رأيه ـ حملته للخطر . أما أمين باشا الذى كان قد اعتاد أن يطوى ارادته طى السجل أمام تحكمات ارادة استانلى فلم يستطع ان يبدى أية اشارة بهذا الصدد سواء أكان بالقول أم بالفعل خوفا من ان يعرض نفسه لغضب استانلى مرة أخرى . ومع ذلك لابد ان يكون قد جال فى خاطره هذا الامر وقلبه يطفح بالحسرات عندما علم عقب التخلى عن رجاله فى وادلاى ان هؤلاء أمسوا عرضة لتعدى المهديين والاهالى .

ولما رأى استانلى انه فى غير حيز الامكان جمع حمالين اضطر الى ترك هذه الذخيرة وأمر بدفنها وكلف الملازم استيرز Staires بذلك فنفذ ما كلف به فى ليل ٢٩ أبريل .

واستمر أفراد رجال القافلة فى الفرار ولم تغن شدة اليقظة والمراقبة فتيلا فحل بالضباط الهم والغم بسبب الموقف الذى هم صائرون اليه وطلبوا من استانلى ان يسفر حملة مسلحة الى ورى لجمع الفارين اليها . فقبل ذلك وصرح لهم بـ ٣٠ زنجباريا وانضم هؤلاء الى اتباع أمين باشا الذين تحت امرة اليوزباشى شكرى افندى وفى أول مايو رجع شكرى افندى ومعه ٩ من الهاربين ومن ضمنهم ريحان الشهير . ولما كان استانلى غير مرتاح

لحكم المجلس السالف ورى فى هذا الصدد ان يقوم بعمل صارم يكون فيه عبرة وموعظة أمر باعدام ريحان شنقا فى الحال وتفذ الامر . ولبثت جثته معلقة فى الهواء الى اليوم التالى ثم القيت طعاما للطيور الجارحة والحيوانات المفترسة .

وفى ٢ مايو عاودت القافلة المسير . وفى الايام الأول كان البلد الذى يجتازونه صعب المسالك كثير المنخفضات والمرتفعات فعانى الكثيرون فيها الامرين سواء أكان من الحمى أم من التعب لاسيما المصريين وصارت أقدامهم فى حالة يرثى لها . وطلب المرضى مرارا وتكرارا الراحة فكان أمين باشا يشير عليهم ان يوجهوا طلبهم الى استانلى وهذا يردهم الى الباشا بدعوى ان ليس له صفة لأن يتخذ قرارا فيما يختص بأناس غير موضوعين تحت سيطرته مباشرة . فكان هؤلاء المغلوبون على أمرهم يزحفون وهم يلعنون الساعة التى وثقوا فيها بأولئك الذين وعدوهم بالانقاذ واليوم الذى اطمأنوا فيه اليهم .

وكان كل يوم يمر له ضحايا ويزيد عبء أولئك الذين بقوا على قيد الحياة أثقالا . وكان الموظفون يشتكون من المظالم التى يستهدفون لها والخدم يعرضون آثار الوحشية التى جادوا بها عليهم للعيان وهم ينوءون بأحمالهم ويئنون . وكان على النقيض من ذلك لا يغفل الضباط الانكليز طرفة عين عن الاسراع فى السير وحث المتخلفين عليه . وكانوا يتوسعون فى الحق الذى منحوه لأنفسهم عفوا بأن لا يبالوا بآلام غيرهم وان يستعملوا وسائل الشدة والضغط . وكان الزنجباريون أيضا يرون كل شىء مباحا لهم حتى لا يكونوا أقل شدة وضغطاً من اربابهم الانكليز .

وفى ٨ مايو لحق الكاتب أيوب افندى الحملة . وكان معه خطاب من سليم بك مطر قال فيه بعد ان ذكر حشد الجنود والموظفين الذين استقر بهم الرأى على السفر فى مسوه : « ليس لدينا ذخيرة لأننا التزمنا أن نترك جميع الاشياء الى فضل المولى ورجاله الذين فى وادلاى . وفى استطاعة الاهالى ان يهاجمونا فى الطريق فنطلب منكم من باب الشفقة والرحمة ان تكفوا عن السير وتقفوا لانتظارنا . واذا لم تنتظرونا فلا بد ان ينزل عليكم مصاب ياباشا وتكون مسئولا امام الله » .

وقد صموا آذانهم ولم يصغوا لهذه الاستغاثة . وكل ما فى الأمر أنه كتب الى سليم بك بالحث على الاسراع فى المسير ليلحق بالقافلة التى ستقف فيما بعد .

وفى ١١ منه حطت الحملة قرب ارض مملكة كباريجا فهاجمها رجاله وبعد ان تبادل الفريقان بعض طلقات نارية انسحب المهاجمون وقتل فى اثناء هذه المناوشة خادم كازاتى وهو شخص يقال له « وكيل » قد رباه منذ طفوليته .

وكان اتجاه الدرب مائلا نحو الجنوب واجتيازه فيه صعوبة كبرى وكان استانلى يود ارتياد الذرى المغطاة بالثلوج التى كانت تتراءى له من كافاللى إلا انه كان يود شيئا آخر وهو ان لا يلحق سليم بك ورجاله بالحملة وكان يقول : « عندما نضع بيننا وبينهم عوائق كهذه لا يمكن تذليلها فلن نخشى من ناحيتهم شيئا بعد ذلك » .

واستمر السير فى طرق ممضة وأحوال يرثى لهولها . وكانت الحملة تعانى آلاما لا توصف سواء أكان ذلك من طبيعة الارض أم من سوء معاملة ضباط حملة الانقاذ والزنزباريين .

وفى ٥ يونيه توفى الموظف واصف افندى . وأساء الزنزباريون معاملة الجندى المصرى حمدان وكان المسكين قد انهكت الحمى قواه وصيرته عاجزا عن ان يستمر فى السير مع رفاقه فجن من النصب والألم فرمى بابنه فى الاعشاب وترك هذا المسكين بها دون أن يلتقطه أحد .

وفى ١٠ يونيه ترك السودانى مابو Mabou وفى ١١ منه ترك مصرى يقال له هوارى لأنهما أمسيا غير قادرين علي المشى بعد .

واتصل باستانلى ان رجال كباريجا سيهاجمون فى مروره فأمر كل خادم يحمل بندقية ان ينضم الى الزنزباريين . ورأى أمين باشا انه حرم من ستة من رجاله فاحتج لدى استانلى فكان جزاؤه ان اساء مقابلته وعزا اليه كل البلايا والرزايا التى تنوء تحت اعبائها الحملة فانسحب أمين باشا . ولما كان استانلى يشعر باحتياجه الى ما يخفف عنه لوعة غضبه استحضر فيتا حسان و ماركو و الموظف باسيلى افندى محفورين واتهم الثلاثة بمقاومة أوامره .

وفى ١٤ يونيه قعد عن السير فى الطريق موظف وجندى مصرى وبعض النساء وبعض الاولاد فتركوا فيه وانقطعت أخبارهم ولم يعد أحد يراهم بعد إذ لم يتول انسان العناية بأمرهم .

وفى ١٢ أغسطس أقيم المعسكر قرب قرية فذهب بعض الجند

وبعض الزنزباريين واستولوا على بعض الاقوات وشيء من المريسة بدون رضا أصحابها . فقام شجار بين الفريقين قتل فى خلاله جندى مصرى يقال له فضل المولى رجلا من سكان القرية فرفع هؤلاء شكواهم الى استانلى وطلبوا دفع الفدية . وبعد التحقيق أمر استانلى بأن يسلم الجندى للأهالى فجروا هذا المسكين وقد رشقوه فى ظهره بثلاث نبال على مرأى من رفاقه وأشيع فى المعسكر عند المساء ان جميع اسنانه هشمت بناء على رغبة النساء وحكم عليه بالاعدام ولكن بعد ان يستوفى جميع أنواع العذاب فتذمر لذلك جميع رجال المديرية وطلب الجند من أمين باشا أن يتدخل فى الأمر فرفض .

وفى ٢٨ أغسطس وصلت القافلة الى محل اقامة مبشرى البعثة الانكليزية فى أوغنده وسر كازاتى سرورا لا مزيد عليه عندما رأى صديقه الدكتور ماكاى رئيس البعثة . وكان هذا يقضى فى ذلك الحين أواخر أيامه لأنه بعد وصول القافلة بزمن يسير الى الساحل ورد نعيه .

وكانت الاخبار التى وردت للبعثة السالف ذكرها بصدد المسافة الباقية من الطريق لا تبعث فى النفوس الطمأنينة لأن الشجار القائم بين الألمان والعرب ما كان قد انفض بعد . وألح الدكتور ماكاى على استانلى أن يؤجل ميعاد سفره الى ان تأتى أخبار مطمئنة أكثر ولكن استانلى حسب حساب المصاعب التى تنشأ من وراء هذه الاقامة الطويلة ونظرا لوثوقه بالقوة التى لديه أمر بسفر القافلة فى ١٧ سبتمبر .

وفى ٢٠ سبتمبر أغار الاهالى على القافلة فصدوا وفى اليوم التالى أعادوا شن الغارة فكان حظهم كحظهم فى غارتهم الاولى . وأمر استانلى بأن يثأر منهم

بنهب أقرب قرية واحراقها .

وفى ٣١ اكتوبر قبيل الظهر دوى صياح الفرح فى المعسكر . وكان ذلك بسبب قدوم السعاة حاملين خطابات من البكباشى وزمان قائد الجيوش الالمانية بافريقية الشرقية الى أمين باشا منبئة بسفر البكباشى المذكور الى زنزبار وبتصدير هذا أمرا الى الملازم الأول شميت Schmidt بأن ينتظرهم .

وفى أول نوفمبر انطلقوا فى السير . وفى ١٠ منه وصلت القافلة الى المحطة الالمانية التى فيها الملازم الأول شميت وهذا وضع نفسه تحت تصرف أمين باشا طبقا للامر الذى ورد اليه من رئيسه وزمان .

وفى ١٢ نوفمبر عاودت القافلة المسير وعلى رأسها الملازم الأول شميت ورجاله والعلم الالمانى يخفق فى المقدمة . وفى ٤ ديسمبر وصلت الى باجامويو Bagamouyo حيث استقبلهم البكباشى وزمان بغاية المودة والترحاب ثم أولم لهم الوليمة التى حدث فيها الحادث الذى وقع لأمين باشا .

والى هنا انتهت قصة رحلة اليوزباشى كازاتى .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٩ م

تكملة حملة استانلى (١)

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وفى ١٦ يناير من عام ١٨٨٩ م عاد استانلى بفلول مؤخرته وحط بمعسكره على مرحلة يوم من بحيرة البرت نيانزا . وهناك علم من الاهالى ان جفسن و١٧ جنديا مقيمون قرب البحيرة وان أمينا باشا بعث برسل الى كافاللى للاستقصاء عنه .

وقدم قبيل المساء من كافاللى رسولان ومعهما خطابات باسمه وكلما تلا سطورا منها اعترته رعدة تذهب بلبه فلا تترك فيه إلا موضعا لدهشة لا حد لها . وتلك الخطابات كانت مرسلة من أمين باشا وجفسن باسمه من دوفيليه ووادلاى وتونجورو لكى يطلعاه على كل ما حدث فى المديرية فى مدة غيابه .

ورد استانلى على خطابات الاثنين فأمر جفسن ان يحضر فى الحال الى كافاللى حيث قد عزم هو على الذهاب اليها وأن يحضر معه قرارا باتا من الباشا ومن كازاتى بسفرهما أو بعدم السفر .

(١) — راجع الجزء الثانى من كتاب « فى ظلمات افريقية » لاستانلى .

وقال فى الرد على أمين باشا ان القسم الثانى من الاشياء التى كلف بتسليمها اليه تحت امره وهى ٦٣ صندوق مظاريف رمنجتون و٢٦ صندوق بارود وزن كل صندوق ٢٠ كيلو جراما و٤ صناديق كبسول و٤ طرود أمتعة . ويطلب منه ومن كازاتى ان يفيداه نهائيا عما اذا كانا يريدان السفر معه واذا كانا يريدان ذلك فعليهما أن يحضرا الى كافاللى مع من يريد من المديرية السفر فى أقرب آن وانه يمهلهما ٢٠ يوما واذا كان لم يصل اليه خبر منهما فى بحر هذه المدة فهو يتخلى عن المسئولية بصدد ما يحدث بعد . وانه لا يطلب أكثر من ان يقيم زمنا ما فى كافاللى ولكنه لا يقدر على ذلك بسبب نقص الزاد . هذا اذا لم يسعفه أمين باشا بشىء منه من عنده .

وفى ١٧ يناير سار استانلى بعسكره وذهب الى كافاللى وأقام فيها على قيد زهاء ٢٠ كيلو مترا من بحيرة البرت نيانزا . وفى ٥ فبراير أرسل جفسن يخبره بوصوله الى شاطىء البحيرة فأرسل اليه استانلى حرسا لاستحضاره . وفى اليوم التالى قدم وبعد ان أخبره بما حدث فى مدة غيابه طلب منه استانلى أن يكتب له تقريرا مبينا فيه تلك الحوادث والظروف التى أحاطت بها وفى الحال أخذ جفسن فى كتابة التقرير المطلوب .

وهاكه :

« قرية كافاللى بالبرت نيانزا فى ٧ فبراير سنة ١٨٨٩

« سيدى المحترم

« أتشرف بأن أقدم لجنابكم التقرير الآتى عن المدة التى أقمتها من

٢٤ مايو سنة ١٨٨٨ م لغاية هـذا الوقت لدى صاحب السعادة أمين باشا مدير مديرية خط الاستواء :

« قد زرت طبقا لأوامركم كل محطات المديرية تقريبا وتلوت فيها رسائل صاحب السمو الخديو وصاحب السعادة نوبار باشا كما تلوت فى الوقت نفسه نداءكم أمام جميع الضباط والجنود والموظفين المصريين . وبعد ان تشاوروا فيما بينهم سألتهم عما اذا كانوا يريدون البقاء أو يقبلون ان يسافروا معنا بموجب اذن مرورنا .

« ففى لابوريه أجاب الكل أنهم يتبعون المدير أينما سار . ويبدو ان الجميع فرحوا بقدومنا لنجدتهم وأبدى الكل مزيد احترامهم لشخص المدير وامتدح سائرهم طيبته وصلاحه وعدله وما أبداه من التضحية خلال سنين كثيرة وأطلق لى الباشا السراح بأن أحتك بالاهالى وبضباطه فكنت اختلط بمن أشاء وأفاوض من أشاء .

« وأخذنا فى كرى وهى آخر محطة من المحطات التى تحتلها جنود الاورطة الثانية الوقت اللازم للاستعلام والاستقصاء . وكان البلد من شمال وغرب كرى تحتله الاورطة الأولى وكانت هذه الاورطة فى حالة تمرد على ضد الباشا من زهاء أربع سنين فكتب البكباشى حامد افندى الى الباشا يضرع اليه ان لا يذهب الى الرجاف حيث تآمر الثائرون على أسرنا ليقتادونا الى الخرطوم لأنهم متوهمون ان المصريين ما زالوا الى الآن محتلين لها ويزعمون ان الاخبار التى أذاعها أمين باشا مختلقة . ودعت الحالة أن نرتد على اعقابنا بدون أن نزور محطات الشمال .

« وبينما نحن نقرأ فى لابوريه الخطابات السالف ذكرها خرج جندى من الصفوف وصاح : « ان تقولون إلا كذبا . وما خطاباتكم إلا ورقا مزيفا . ان الخرطوم لم تزل ثابتة الى هذه الساعة . والخرطوم هى طريق ديار مصر ونحن نعود اليها من هذا الطريق أو نموت فى البلد الذى نحن فيه » .

« وان هو إلا أن أمر الباشا بحبس هذا الجندى حتى تركت العساكر صفوفها وأحدقوا بنا من كل جانب يهددوننا ببنادقهم المحشوة . وظننا خلال جلبة وضوضاء وشجار استمر بضع دقائق أننا مقتولون أجمع إلا أن ثائرتهم ما لبثت ان خمدت كثيرا أو قليلا وطلبوا منى أن أكلمهم على انفراد فلبيت الطلب فاذا بهم يعربون لى عن أسفهم لما حدث وتبين ان سرور افندى رئيس المحطة هو الذى أفعم أدمغتهم وأغراهم على ذلك .

« وفى ١٨ أغسطس بينما كنا راجعين الى دوفيليه علمنا أن ثورة كانت قد شبت دبرها فضل المولى افندى رئيس محطة فابو واننا أخذنا نحن أنفسنا فيها أسارى . ويبدو انه خلال غيابنا قام بعض من المصريين برياسة عبد الوهاب افندى و مصطفى افندى العجمى (وكلاهما من الذين نفتهم مصر الى جهات أعالى النيل لأنهما اشتركا فى الثورة العرابية) بالقاء خطب بين جموع الاهالى ونشرا عليهم منشورات وكان ذلك بالاشتراك مع أربعة موظفين ملكيين وهم مصطفى افندى احمد واحمد افندى محمود وصبرى افندى والطيب افندى وآخرين . ومما ذكروه فى خطبهم وخطاباتهم انه ليس من الصحيح ان الخرطوم سقطت . وان الرسائل التى قيل إنها من لدن سمو الخديو وصاحب السعادة نوبار باشا كلها ملفقة وان استانلى

لم يكن إلا أفاقا وانه ليس قادما من مصر وانه تآمر هو والباشا على أخذ الاهالى بصفة ارقاء وبيعهم هم ونسائهم وأولادهم للانكليز . واستطردوا بعد فقالوا علاوة على ما ذكر « اننا فى مصر تمردنا على صاحب السمو الخديو فليس اذن من المسائل المهمة ان نتمرد على رجل لا تعلو رتبته درجة باشا » .

« وأحدثت هذه الأقوال فى البلد عاصفة . وترك الجنود الضباط يفعلون ما يشاءون ولم يشتركوا معهم فى شيء من الثورة سوى مراقبتنا عن كثب . وأمر فضل المولى افندى واحمد افندى الدنكاوى و عبد الله افندى العبد قواد الثورة باقتياد الجند الى دوفيليه لينضموا فيها الى الثوار . وأرسلوا فى كل صوب وناحية خطابات يقصون فيها أنهم زجونى انا والمدير فى السجن لأننا تآمرنا على خيانتهم وأصدروا أوامر بالحضور الى دوفيليه ليتشاوروا فيما بينهم فيها بشأن التدابير التى يلزم اتخاذها وطلبوا كذلك المساعدة من ضباط الاورطة الاولى الثائرين .

« وقد وجهت إلى أسئلة بصدد الحملة . وفحص الكتبة خطاب سمو الخديو وقرروا انه خطاب مفتعل . واقترح الثوار خلع الباشا واذعن مناصروه أمام الارهاب والوعيد . وأعلن كتابة أمر عزله وابقائه أسيرا فى الرجاف . أما أنا فكنت مطلقا حرا حسب قولهم وأسيرا فى الحقيقة لأنهم ما كانوا يسمحون لى ان أجاوز عتبة المحطة وكانت كل حركاتى وسكناتى تحت المراقبة . وكانوا قد رسموا خطة لاجتذابك فى البلد وتجريدك من أسلحتك وميرتك وأقواتك وغيرها ثم يطرحونك فى الخارج .

« وأقام الثوار بعد ذلك حكومة جديدة وعزل كل الضباط المظنون

فيهم الانتماء الى الباشا ولكن سرعان ما دبت نيران الغيرة وظهر التخاذل والشقاق بينهم وبعد ان عملت يد السلب والنهب فى منزل أمين باشا وأصدقائه الاثنين أو الثلاثة انفرجت الازمة قليلا .

« وفى ١٥ اكتوبر علمنا على حين فجأة ان رجال المهدى قدموا الى لادو فى ثلاث بواخر وتسعة صنادل .

« وفى ١٧ منه أحضر ثلاثة من الدراويش حاملين علما أبيض رسالة من عمر صالح رئيس قواد المهدى يعد فيها الباشا بالامان والعفو الشامل ان خضع هو وجنوده . وفتح الثوار الرسالة وقرروا المقاومة .

« وفى ٢١ اكتوبر اتصل بنا ان المهديين ومعهم جماعة من الباريين كثيرى العدد استولوا على الرجاف بعد ان قتلوا فيها ٣ من الضباط و٣ من الكتبة و٢ من الموظفين وكثيرا من الجنود وأسروا النساء والاطفال . وعلى هذا ساد الرعب والذعر وأخلى الضباط والعساكر وأهلوهم محطات بيدن و كري و موجى وفروا هاربين بغير نظام الى لابوريه . ولم يلبثوا فى كري الوقت اللازم لأخذ الذخيرة .

« وعند وصول خبر هـــذه الفاجعة قرر الثائرون ان يرسلوا نجدة إلى موجى وفعلا جمعوها من كافة المحطات الجنوبية .

« وفى ٣١ اكتوبر أتت أخبار بأن الشحناء والتخـــاذل قام بين الضباط وأن الجنـــود جاهروا بالامتناع عن امتشاق الحسام ما لم يطلق سراح مديرهم .

« وفى ١١ نوفمبر بلغنا أن الجنود زحفوا على الرجاف فخرج عليهم رجال المهدى بشدة كبيرة فولوهم ظهورهم بلا قتال تاركين خلفهم الضباط فقتل منهم ستة من بينهم الضابط الذى ولى حديثا وظيفة المدير وآخرون من أردأ رجال الثورة . واختفى غير هؤلاء اثنان وسقط عدد كبير من الجنود على الحضيض بسبب تعبهم من شدة اسراعهم فى الهرب ولحقهم العدو وأجهز عليهم .

« ودعا ذلك الضباط المحازبين للباشا الى الالحاح فى طلب اطلاق سراحه . وكان قد مر عليه ثلاثة أشهر وهو واقع تحت مراقبة شديدة . ولخوف العصاة من الشعب أرجعونا الى وادلاى حيث قابلنا الأهالى بحماس . وهكذا انقطع الشك باليقين واقتنع الكل بسقوط الخرطوم واننا قادمون حقا وصدقا من ديار مصر .

« وبعد بضعة أيام بعث الباشا برسل الى دوفيليه وكان مشغول البال لانقطاع أخبارها . وأذيع أن قوة كبيرة من رجال المهدى تتقدم من ناحية الغرب الى وادلاى وانها صارت على مسافة أربعة أيام لا أكثر .

وفى ٤ ديسمبر قدم الينا الضابط المعين لقيادة بورا Bora وهى محطة صغيرة واقعة بين وادلاى و دوفيليه ومعه عساكره والجميع فى حالة اضطراب شديد وقالوا انهم تركوا نقطتهم وان دوفيليه و فابو وكل المحطات الواقعة شمالا سقطت فى يد العدو وان البواخر اسرها رجال المهدى . وان الأهالى المقيمين حول المحطات ثاروا وجاهروا بالانضمام الى صفوف العدو وقتلوا رسلنا ، فانعقد مجلس للشورى وقرر فيه الضباط والجنود

التهقر الي تونجـــورو ومنها يذهبون الى الجبـل ويحاولون ان ينضموا اليكم فى حصن بودو . وطلب منى فى نفس هذا المجلس ان أحطم مركبنا حتى لا يقع فى ايدى المهـدى ولما كنت لا أجد وسيلة لانقاذه اضطررت أن ألبى هذا الطلب وانا آسف أشد الاسف .

« وفى ٥ ديسمبر سافرنا مبكرين حاملين من المتاع ما هـــو أكثر لزوما لنا وتركنا ما عدا ذلك . واخلينا المخازن من الذخـــيرة ووزعناها على الجنـــود . وفى اللحظـة الاخيرة صرح هـؤلاء انه مادام الآن لديهم مقدار وافر من البارود فهـم يؤثرون ان يرجعـــوا الى بلدهم مكراكا وما جاورها من النواحى حيث يتفرقون بين مواطنيهم تاركين الباشا وضباطه حيث هم .

« وبدت الامـــور بالغة النهاية الكبرى فى الخسة . وكنا نسير فى صف طـويل مـؤلف على الأخص من موظفـين مصريين ونسائهم وأهليهم يرافقهم سبعة أو ثمانية من الجنـــود وهم آخر من بقى على عهـد الاخلاص . وكان كل ما يوجـد تحت تصرفنا ٣٠ بندقية وبعض خـــدم مسلحين . وان هو إلا أن شرعنا في المسير حتى انقض الجنود على المساكن وأعملوا فيها سلبا ونهبا .

« وفى ٦ ديسمبر كانت باخرة صاعدة فى النيل خلفنا فاستعددنا لأن نصوب عليها النـــيران ولكنا ما لبثنا ان اتضح لنا انها تحمـل بعضا من رجالنا قادمين من دوفيليه وسلموا لنا خطـــابات من الباشا ومنها علم أن فـــابو أخليت واستطاع اللاجئون منها الوصول الى دوفيليه رغم مهاجمة الزنوج لهم . وان دوفيليه سقطت بعـد حصار دام أربعـــة أيام أمام فئة

صغيرة من جنود الأعداء دخلتها تحت جنح الظلام وأسرت حتى البواخر وولى المدافعون عنها الأدبار وعددهم ٥٠٠ جندى . ولكنهم لما وجدوا أنفسهم بين نارين بث فيهم القنوط واليأس شيئا من الحماس واقتفى الجند أثر الضباط سليم افندى مطر و بلال افندى و بخيت افندى برغوت و سليمان افندى . وزادهم نجاح هذه الحركة اقداما وجرأة فاستردوا المحطة وقاموا منها بخروج كبدوا فيه العدو خسائر فادحة للغاية حتى انه ولى مدبرا الى الرجاف ولم يعقب وأرسل باخرتين لطلب الامداد من الخرطوم . وكان الجنود يظهرون فى كل ناحية ووقت جبنا مخجلا ما لم يقعوا فى ورطة . ومات منهم خلق كثير فى واقعة دوفيليه وقتل ١٤ ضابطا وأصيب سليمان افندى بجرح من عيار نارى خرج من بندقية أحد رجاله ومات بعد ذلك بعدة أيام . وتقدر خسائر المهديين بـ ٢٥٠ قتيلا ولكن الحيطة تدعونا الى حذف ثلثى هذا العدد مع أن هؤلاء لا يحملون من الأسلحة سوى الحراب والسيوف بينما يحمل الجنود بنادق « رمنجتون » ويقاتلون خلف الخنادق والمتاريس ولكنهم لا يصوبون طلقاتهم باحكام فلا يلحق العدو منها ضرر كبير ولا تزعجه .

ورغب الجنود فى وادلاى أن يأخذ الباشا على عاتقه مسألة القيادة ولكن كل ما وقع من أمور الخيانة أبانت له موقفا لا يرجى لاعوجاجه صلاح فتراجع الجنود الى تونجورو . ولم يستغرق الانسحاب من وادلاى أكثر من يومين الا أن هذا الانسحاب أظهر لى شدة صعوبة توصيل هؤلاء الناس الى زنزبار ان لم أقل استحالته فيما لو طلبوا أن نصطحبهم . ومن الوقت الذى سافرنا فيه من وادلاى استرد الحزب المضاد للباشا نفوذه . ولم تعد فرائصه ترتعد من المهدى رأسا . وأخذ ثانيا يتهم أمينا

باشا باختلاق قصة سقوط دوفيليه لكى يسد الطريق على جنوده القدماء ويحول دون انسحابهم ويسلمهم الى المهدى ثم يذهب بعد ذلك فيلحقكم هو واتباعه . وحكم هذا الحزب على أنا و امين باشا وكازاتى لارتكابنا جريمة الخيانة بالاعدام .

« وفى خلال الوقت الذى عقد فيه الضباط والجنود مجلس الاستشارة فى وادلاى حدث شجار هائل إذ طلب البعض البقاء والبعض الآخر طلب ان يلحق بالباشا وانجروا من الكلام الى اللكم والضرب ، وأشار فضل المولى افندي وانصاره بوضعى أنا و أمين فى الاسر وبالعكس عاضد سليم افندى مطر وحزبه رئيسهم سابقا وطلبوا الذهاب معه خارجا عن البلد . ومع ان هؤلاء كانوا يعطون الوعود بالسفر ولكنهم ما كانوا يفعلون شيئا فى سبيل الاستعداد له . فاذا كنتم تريدون أخذهم معكم فعليكم أن تتذرعوا بالصبر أشهرا عديدة . واضطررت بعد ذلك أنا و الباشا و كازاتى أن ننتظر فى تونجورو لأن الثوار كانوا قد أصدروا لقائد المحطة أمرا مشددا بمراقبتنا عن كثب لغاية صدور أمر آخر .

« وفى ٢٨ يناير وصل إلى أنا و الباشا خطاباتكم المؤرخة فى ١٧ و ١٨ واطاعة لأمركم الصريح القاضى بالسفر عاجلا الى كافاللى أخذت فى التأهب للرحيل من اليوم التالى ومعى رد أمين باشا على خطابكم إلا أنه فى خلال هذا الاستعداد جدث من بعض الخدم الأصاغر خيانة أوجبت امساكى يومين عن السفر غير أنه بهمة وسعى شكرى افندى رئيس مسوه الذى ظل على عهد الاخلاص بحيث لا استطيع أن أوفيه حقه من الشكر على سلوكه فى غضون تلكم الأشهر الخمسة المشئومة تمكنت

من الانتقال الى نيامساسى Nyamsassi . ولما كانت أمواج البحيرة فى هذا الفصل صعبة جدا واخطارها كثيرة للغاية فقد استغرق قطع المسافة بين مسوه ونيامساسى خمسة أيام .

« والآن تارة يستأثر الثوار بالنفوذ وطورا يستأثر به أنصار الباشا . ووصل حديثا الى الرجاف باخرة تحمل مددا للمهديين وهؤلاء يرتقبون أيضا قدوم باخرتين غير الأولى فى القريب العاجل وينتظرون كذلك مجىء جنود من بحر الغزال . ولن يتوانى المهديون عن الانقضاض على وادلاى بجيش عرمرم ومباغتة المحتلين لها وهم فى تخاذلهم وترددهم انتقاما للهزيمة التى لحقت بصفوفهم فى دوفيليه .

ان تونجورو واقعة على مرحلة يومين لا أكثر من وادلاى . ولوجود أمين باشا بين أشخاص لا يمكنه ان يركن اليهم فمن المهم المبادرة بانقاذه لأن موقفه محفوف بأكبر المخاطر .

وقد وجهتم لى وللباشا فى خطابيكم رقم ١٧ و ١٨ سهام اللوم لعدم انشاء معسكر فى نسابى Nsabé حسب الوعد وعدم اقامة حامية فيها وتزويدها بالاقوات بحيث تكون مستعدة عند عودتكم . ولأننا لم نكن فى حصن بودو . ولأننا لم نحضر لكم الحمالين ولأن الاشخاص الذين كانوا يريدون الاستفادة من اقامتهم فى حراستكم لم يكونوا فى انتظاركم فى نسابى الى غير ذلك . ونجيب بأن كل ذلك كان يستحيل علينا القيام بعمله إذ بعد أن تغيب الباشا شهرا أى مدة زيارته البحيرة اشتغل بانجاز ما لديه من الاعمال الكثيرة التى كانت متأخرة فى مقر الحكومة . أما من جهتى فقد لبثت أربعة أسابيع بين براثن حمى مستمرة تقريبا . ولم نتمكن من زيارة المحطات

التى فوق وادلاى إلا فى شهر يوليه .

« وان هـو إلا أن فرغنـا من أعمالنـا فى الشمال حتى وقعنـا فى الأسر . وفى ١٨ أغسطس انتزع من الباشا كل ما بقى له من سلطة ونفـــوذ . وقبل أن يبـارح وادلاى حاول أن يرسل فرقة إلى نسابى ليبتنى فيها ثكنة ولـكن الجنود أبوا الامتثـال قبـل أن يعرفوا ما استقر عليه رأى رفاقهم المقيمين فى الشمال . وانه ليعد من حسن الحظ عـدم اعداد المحطة وعدم نقل حامية ومؤن حصن بودو اليها إذ لو حدث ذلك لـكان المتمردون امتلكوا المحطة وأسروا من قد يكون بها من الاوربيين .

« ولابد من إخباركم بأنه عنـد مجيئى فى ٢١ أبريل سنة ١٨٨٨ حاولت الاورطة الأولى دفعتين وكـانت ثـائرة قبل ذلك بمدة طويلة ، ان تقبض على البـاشا . أما الأورطـة الثانية فبقـدر ما يقـال عنهـا من اخـلاص كانـ من غير المستطاع حكمها وقيادتها وأمين باشا لم يـكن له من السيطرة إلا الاسم والشىء التـافه فـاذا عرض أمر هام لا يمكنـه ان يصدر بشأنه حكما بل يلتزم ان يستعطف ضباطه بأن يتكرموا بعمل كيت وكيت .

« وممـا لا ريب فيـه أن أمينا باشا كـان يلمح لنا مـدة اقامتنا فى نسابى عام ١٨٨٨ بأنـ الأمور لا تسير من تلقاء نفسها فى مستوى سهـل ولـكنه ما كانـ يظهـر لنـا الموقف على حقيقتـه . وهـــذا الموقف كـان منذ ذلك الوقت ميئوسا منـه ومع ذلك لم يـكن يخطر ببالنا أنـ الحفيظة والـكدر أو الاخـلال بالنظـام بلغ هـذه المنزلة فى مديريته . لقد كـنـا نظن ـ كما كانـ يظنـ فى مصر وفى أوربا حسبما ذكـر فى خطابات جونـكـر وفى خطـابات الباشا نفسه ـ أن كـل المصاعب آتيـة منـ الخارج وبهذه الطريقـة حملنا أن

نركن الى أشخاص لا يستحقون معونتنا . وعوضا عن أن يقدروا ما نقدمه لهم من النجدة حق قدره ويمدحونا على ذلك نراهم يتآمرون على اهلاكنا لينهبوا أمتعتنا . ولو كان الثوار فى الوقت الذى بلغت فيه الحفيظة والسخط أشدهما أمكنهم أن يعزوا الى أمين باشا احداث اقل مظلمة أو قسوة أو حتى اهمال لكانوا أعدموه حتما الحياة .

« ان الذين يرغبون فى مبارحة البلد هم بعض أشخاص لم يزالوا على عهد الاخلاص للباشا وكثير من المحايدين وبعض موظفين من صعاليك المصريين بثت غارة المهديين الذعر فى قلوبهم . وقد حثتهم أن يتجمعوا فى نسابى حيث يمكنكم الاتصال بهم ولكن يبدو انهم غير قادرين على أن يتحركوا من أماكنهم وان لا شيء يمكن أن يخرجهم من الجمود الذى هم فيه .

« ولا مندوحة من القول إن القسم الأكبر من الأهالى بل أغلب السودانيين وعدد من المصريين يكره مبارحة البلد . وبما أنهم حشدوا من البلاد المجاورة فكثير منهم لم يزر مصر ولم تقع عينه عليها . وان مطمح كل سودانى هو حوز أكبر عدد يستطيع حوزه من الناس . والضابط هنا يعيش عيشة بذخ . ويحكم على ٢٠ أو ٥٠ أو ١٠٠ بين خادم ورجل وامرأة وولد . وهو لا يستطيع فى القاهرة أن يقتنى براتبه الا ٣ أو ٤ أشخاص وهذا ما يفسر لك عدم اهتمامهم بأمر السفر .

« أما رغبة الباشا فى السفر أو عدم رغبته فيه فيمكننى أن أؤكد ان الباشا يريد بلا مراء مصاحبتنا ولكنى لا يمكننى ان اتكهن بصدد الشروط التى يقترحها لدى سفره . ويلوح لى ان آراءه مضطربة كثيرا . فاليوم لا يبغى احسن من السفر وفى الغد تعوقه فكرة اخرى .

ولقد تحدثت معه جملة مرات فى هذا الموضوع وما استطعت ان احصل منه على رأى .

« وقلت له : « الآن واتباعك قد خلعوك واطرحوك ظهريا اظن أنك تشعر بخلوك من كل مسئولية ومن كل التزام من جهتهم » . فأجاب : « انهم لو لم يكونوا عزلونى لكنت أشعر بأن من واجباتى ان أشاركهم فى السراء والضراء وأن أعاونهم بكل ما فى وسعى . ولكنى الآن أعد نفسى مطلق العنان وليس على بعد اليوم إلا ان أفكر فى سلامتى . وإذا كان لى حظ فى ذلك أسافر من هنا بدون أن التفت ورائى » .

« ومع ذلك كان قد قال لى قبل سفرى ببضعة أيام فقط : « حقا ليس على أية مسئولية فيما ينالهم من خير أو شر ولكنى لا أقدر أن آخذ على عاتقى مسألة سفرى أنا الأول تاركا وراء ظهرى شخصا منهم يريد حقا مبارحة هذه الديار . انى أعرف ان المسألة مسألة شعور صرف ولابد أنكم ترونها غريبة ولكنى لا أريد ان يلمزنى عدو من أعدائى فى وادلاى قائلا : « انظروا كيف قد تخلى عنكم » .

وما هذان إلا مثلان من أمثلة كثيرة . ويمكننى ان أقص أقوالا أخرى جمة لا تقل عن المثلين السابقين فى التناقض والتضارب .

« وقد صحت يوما وقد أدركنى شىء من الملل والسآمة عقب محادثة معه من تلك المحادثات التى تنتهى على غير نتيجة قائلا : « لو توصلت الحملة يوما إلى الالتقاء بك فانى أشير على استانلى بالقاء القبض عليك وأخذك معها أردت أم لم ترد » . فأجاب « عند ذاك لا أبدى شيئا فى سبيل

مقاومتكم » . ويبدو لى انه اذا كان ينبغى علينا انقاذه فيلزمنا أولا ان ننقذه من ذات نفسه .

« وقبل ان أختتم هذا التقرير ينبغى على ان أعترف بأنى ما سمعت فى محادثاتى المتنوعة مع اتباع الباشا إلا ثناء ومدحا لما اتصف به من العدل والكرم وشذ عن ذلك القليل النادر ولكنه يقال كذلك انه لا يقبض على موظفيه بيد فيها القوة اللازمة .

« ان السودانيين الثلاثة الذين كنت تركتهم لى بصفة « مراسلة » وخادمى بنزا راجعون معى . أما مبروك قاسم ذلك الرجل الذى صدمته الجاموسة فى نسابى فقد أدركته المنية بعد سفرك الى حصن بودو بيومين .

« هذا وانى ياسيدى العزيز خادمك المطيع . الامضاء

ا . ج ماونتناى جفسن

* * *

وسلم جفسن كذلك الى استانلى جوابا من أمين باشا ردا على خطاب حدد له فيه مهلة ٢٠ يوما ينتظره فى غضونها . ولفته أمين باشا رده الى انه لدى وصول خطابه كان قد انقضى ٩ أيام من الـ ٢٠ وان الـ يوما الباقية لا تكفى مطلقا للتأهب للسفر وقال له انه أخذ معلومية باستعداده لتسليمه القسم الثانى من الأشياء التى يجب عليه تسليمها له وانه عندما يصل الضباط الذين هو فى انتظار قدومهم من وادلاى يكلف واحدا منهم بتسلمها بالوصل اللازم . أما فيما يختص بسفره وسفر كازاتى فقد قال أمين باشا انهما يرغبان السفر غير انه يوجد غيرهم يرغبون فيه

أيضا وانه يرجوه ان يتذرع بالصبر الى أن يتمكن من جمع شتاتهم . وقال له أيضا ان ثلة من رجاله قادمة اليه مع جفسن .

ومع أن هذا الجواب صريح العبارة للغاية وخال من كل لبس وابهام بالنسبة لرغبة أمين باشا فى السفر لم يره استانلى كذلك وكتب له خطابا آخر يطلب منه فيه ان يعرفه بصراحة عن مقاصده .

وفى ١٣ فبراير وصل الى يد استانلى خطاب من أمين باشا يخبره فيه بوصوله الى البحيرة ومعه الباخرتان بهما أول فوج من الاشخاص الراغبين فى السفر وانه حالما يتم الترتيبات اللازمة لايوائهم ترجع الباخرتان الى مسوه لاحضار آخرين غيرهم . وقال أمين باشا كذلك ان لديه ١٢ ضابطا يريدون مقابلته وان معه ٤٠ جنديا . وانهم أتوا تحت إمرته ليرجوه أن يمنحهم الوقت اللازم لاحضار اخوانهم الذين ينوون السفر من وادلاى وأنه هو وعدهم بأن يعمل ما فى وسعه لمعاضدتهم واستطرد قائلا ان الامور تغيرت عما كانت وان استانلى يمكنه ان يعين لهم الشروط التى يراها .

ومع ان استانلى كان دواما فى ريب من ناحية ضباط المديرية ويخشى أن يدبروا مؤامرة بقصد تسليمه هو واتباعه الى المهديين فقد أرسل جفسن فى ١٤ فبراير ومعه ٥٠ رجلا مسلحين لخفارة أمين باشا وضباطه لغاية المعسكر حيث وصل الجميع فى ١٧ منه .

ويقول استانلى ان سليم بك رجل يناهز الخمسين من العمر ذو قامة تبلغ ست أقدام (٨٣ و ١ متر) وان هيئته لم تقع فى نفسه موقع هيئة رجل

متآمر بل رجل مكسال همه الأكل والشرب . وكان يوجد بين الضباط الآخرين ثلاثة مصريون من الذين اشتركوا فى الحوادث العرابية وأما الباقون فسودانيون . وكان الكل متشحين بكساو طلية بجدتها الامر الذى أثر فى نفوس أتباع استانلى . وقدم أمين باشا أتباعه لهذا الاخير وتأجلت الجلسة للغد .

وفى ١٨ فبراير حصل الاجتماع فى مضرب استانلى الكبير . وشرح استانلى للضباط مقصد حملته قائلا ان الطبيب جونكر الذى أقام بينكم قال انكم واقعون فى موقف حرج وان ليس لديكم بارود للمدافعة تجاه عدوكم . وعندما سمع ذلك أصدقاؤكم الانكليز أعطوه نقودا ليشترى لكم بارودا ويحضره لكم . ووقت مروره من ديار مصر طلب منه الخديو ان يقول لكم إن فى استطاعتكم مرافقته اذا شئتم واذا كنتم تؤثرون البقاء فأنتم وشأنكم .

وترجم أمين باشا لهم هذا الكلام وبعد ذلك قال الكل : « كويس » وتكلم سليم بك أكبر ضابط بينهم فقال :

« لقد برهن لهم الخديو مرة أخرى على رض
وانهم رعاياه الأمناء المخلصون . وهم لا يتمنون أكثر من
يخطر ببالهم قط ارادة البقاء هنا . وانهم جنود الخديو
يشاء وعليهم له واجب الطاعة . وان رفاقهم فى وادلاى انت
بين يديه (أى استانلى) ليطلبوا منه ان يمنحهم الوقت اللازم لشحن أهليهم بالبواخر لكى يتمكنوا من الاحتشاد فى معسكره ويرجعوا الى مصر » .

وبعد ذلك قدم الضباط الى استانلى الخطاب الآتى :

حضرة صاحب السعادة مندوب حكومتنا .

عندما أبلغنا سليم بك مطر قائد جنود المديرية خبر قدومكم السعيد امتلأنا سروراً وزدنا رغبة فى الرجوع الى بلدنا ولهذا تساورنا الآمال أن نأتى اليكم بمشيئته تعالى فى وقت قصير جدا . ولمعلوميتكم بذلك حررنا لكم هذا الخطاب من وادلاى .

الصاغان : بخيت برغوت و بلال الدنكاوى .

اليوزباشية : حسين محمد . مرجان ادريس . مصطفى العجمى . خير يوسف السيد . مرجان بخيت . سرور سودان . عبد الله منزل . فضل المولى الامين . احمد الدنكاوى . كودى احمد . السيد عبد السيد .

الملازمون : مبروك شريف . نور عبد البين . مصطفى احمد . خليل عبد الله . فرج سيد احمد . مرسال سودان . مرجان نديم . صباح الهامى . بخيت محمد . عابدين احمد . اسماعيل حسين . محمد عبده . خليل نجيب . احمد ادريس . ريحان راشد . ريحان حمد النيل . خليل سيد احمد . فرح محمد . على الكردى . احمد سلطان . فضل المولى بخيت . الريس عبد الله . السيد ابراهيم .

فأجابهم استانلى انه سيعطيهم الرد كتابة ويمنحهم فيه الأجل الكافى للذهاب الى وادلاى لأخذ الجنود وذويهم وانزالهم فى الباخرتين واحضارهم . هذا اذا كانوا لم يزالوا موطدين العزم على السفر .

فأجاب سليم بك وباقى الضباط انهم موطدون العزم على السفر .

وفى الغد ١٩ فبراير استحضر استانلى سليم بك وضباطه وسلمهم الرسالة الآتية باسم ضباط وادلاى :

« السلام عليكم . ان سليم بك وضباطا آخرين طلبوا من استانلى انتظار قدوم أصدقائهم الذين لم يزالوا فى وادلاى . فأرسل اليهم الرد بخطه منعا لحدوث أى سوء تفاهم .

« وبما أنه — أى استانلى — أرسل خصيصا من قبل الخديو ليدل من يرغب فى الذهاب من مديرية خط الاستواء الى القاهرة على الطريق وأن المستر استانلى لا يمكنه أن يعمل سوى أن يحدد وقتا معقولا لأولئك الذين يريدون مبارحتها معه .

« ومع ذلك يجب أن يكون معلوما جيدا ان جميع الأشخاص الذين يبغون السفر معه ينبغى عليهم أن يتدبروا هم أنفسهم فى أمر نقل ذويهم وأمتعتهم ولا يستثنى من ذلك إلا الباشا و اليوزباشى كازاتى والتاجر اليونانى ماركو والاثنان الأخيران أجنبيان وغير مرتبطين بخدمة مصر .

« لذلك ينبغى على كل جندى أو ضابط عقد النية على مبارحة البلد مع المستر استانلى أن يتزود هو نفسه بالمواشى والحمالين اللازمين لنقل أولاده وما معه من متاع .

« وعليهم أن يحتاطوا حتى لا يبهظوا أنفسهم بالمتاع الذى لا فائدة ترجى منه . والسلاح والذخيرة وأدوات الطبخ والزاد هى وحدها

الأشياء الضرورية .

« ومن المعلوم أن الذخيرة الاحتياطية المحضرة من مصر باسم الباشا وجنوده تبقى تحت تصرف الباشا دون سواه كما أمر بذلك الخديو .

« والمستر استانلى يريد أن يعرف الجميع حق المعرفة انه غير مسئول عن أى أمر اللهم إلا عن ايجاد الطريق الموافق والمؤونة الكافية لحرس الحملة وذلك بقدر ما يمكن الحصول عليه من النواحى التى تجتازها .

« غير ان المستر استانلى يرى نفسه ملتزما بحكم الشرف ان يبذل ما فى استطاعته ليعاون أمينا باشا ورجاله وأصدقاءه فى سبيل الحصول على الهناء والسلامة والراحة .

« وعندما يتلى هذا الاعلان فى وادلاى فعلى الضباط ان يعقدوا مجلسا ويتخذوا التدابير اللازمة حسبما هو مدون به . وكل الذين يرون فى أنفسهم القوة والوسائل لمبارحة مديرية خط الاستواء عليهم ان يتأهبوا للسفر للمعسكر حسب الارشادات التى يكون الباشا قد أعطاها . أما أولئك الذين ما زالوا مترددين والذين لم يأنسوا من أنفسهم القوة والذين يرتابون فيما لديهم من الوسائل فعليهم ان يعملوا بحسب ايعاز رؤسائهم .

« وأثناء ذلك يكون المستر استانلى جهز معسكرا فى القدمة ليضع فيه الذين عقدوا النية على السفر معه » .

هنرى . م . استانلى

قائد حملة الانقاذ فى كافاللى

ملحوظة : من تلاوة هـذا المستند يتضح جليا ان استانلى بانتدابهم الى السفر يلزمهم بالقعـــود عنه . وفى الواقع كيف يكون ذلك ؟ هـل فى استطاعة كل هؤلاء المخلوقات أن يحصلوا على حمالين وما يلزمهم من الدواب لنقل أولادهم ومتاعهم ؟ أو ليست هـذه بالأحرى حيلة دبرها استانلى ليستفيد منها الثناء على صنيعـه ويتوصل فى الوقت نفسه الى مبتغاه الا وهـو بقاء الجنود المصرية فى موضعهم لـكى يجندهم أولئك الذين كان قـد تقرر حضورهم فيما بعد فى خدمة شركة افريقية الشرقية الانكليزية كما حدث ذلك بعد .

وفى ٢٦ فبراير أرسل سليم بك والضباط على الباخرتين اللتين كانتا أحضرتا من مسوه الى معسكر البحيرة وسقا من الامتعة والملتجئين .

وأحاط أمـين باشا استانلى بوصول بريد فى ٢٥ فـبراير من وادلاى . وانه تسلم خطـــابا رسميا من سليم بك باسم الضبـاط المتمردين بزعامـــة فضل المولى افندى يخبرونه فيه بعزله من رياسة قيـادة الجنود وأن مجلسا عسكريا حكم عليه هو وكازاتى بالاعـدام . وان اليوزباشى فضل المـولى افنـدى ترقى الى رتبة قائمقام لدى تسلمه زمام الاعمال أى الى رتبة البكوية .

وفى ٢ مارس وصل فيتا حسان وفى ٥ منه وصل حواش افندى بكباشى الاورطة الثانية .

وفى ٢٥ مارس قدمت البـــاخرة نيانزا وورد معهـــا بريد وادلاى . وأرسل سليم بك الى أمين باشا يقـول انه يرى ان كل الثائرين يريدون أن يسافروا معه . وانه يمكن انتظارهم فى المعسكر . وأبلغ الباشا استانلى هذا الخبر وقلبه طافح بالفـرح والسرور . إلا أنه بدت على استانلى سيما التشكك

والارتياب فى هـــذا الخبر . وقال لقد مر احـــد عشر شهرا لم يجمعوا فى خـــلالها سوى ٤٠ ضابطا ومستخدما مع ذويهم وان كل شهر اقامه فى افريقية يكلف جمعية الانقاذ ١٠٠٠٠ فرنك (٤٠٠ جنيه) وان الزنزباريين عيل صبرهم وحنوا للرجـــوع الى ديارهم . وقال استانلى أيضا عـــلاوة على ما تقدم انه علم من حواش افندى وعثمان افندى لطيف والميكانيكى محمد أن لا سليم بك ولا فضل المـــولى بك يريد الرجـــوع الى مصر وان الثقـــة التى وضعها أمين باشا فى ضباطه هى من قبيل وضع الشىء فى غير محله وان لدى الباشا أسبابا وجيهـــة تدعوه الى الريبة فى مقاصدهم فلقد ثاروا عليه ثلاث دفعـــات وجاهروا بالعزم على القبض على نفس استانلى حالما يعود .

ولما كان أمين باشا قد طلب من استانلى ان يعرفه عما يجب عليه ان يجاوب به الضباط قال له استانلى انه سيستدعى ضباطه بحضوره وهـــؤلاء يتكفلون باجابته .

وأرسل استانلى فى طلب استيرز Stairs و نلسن Nelson و جفسن Gephson و پارك Parke وبعد ان جلسوا عـــرض عليهم الموقف وبين لهم الآجال الكثيرة التى منحت لسليم بك وضباطه بلا جـــدوى . وكذلك صرح لهم بمخاوفه من قبوله فى معسكره من ٦٠٠ الى ٧٠٠ جندى مسلحين كانوا بالأمس عصاة فأصبحوا اليـــوم مخلصين ومطيعين . ولقد يستطيع المرء أن يتساءل أى الاغراض بثت فى نفوسهم هذا الروح روح الاخلاص والطاعة واذا قبـــلوا بصفة جنود أمناء مخلصين الا يمكن ان يدب فيهم ذات ليـــلة روح التمرد ويستولوا على الذخيرة ويحرموا بهذه الكيفية الحملة

من وسائل الرجوع الى زنزبار . وهل بعد كل هذه الاعتبارات يكون من الحكمة يا حضرات الضباط امتداد المهلة الى ما بعد ١٠ أبريل وهو التاريخ المعين للسفر ؟

فأجاب الضباط بالاجماع بالنفى .

وتنفيذا لهذا القرار أرسل استانلى فى ٢٧ مارس الى سليم بك وضباطه فى وادلاى الرسالة التالية :

اعلان الى سليم بك والضباط الثائرين .

معسكر كافاللى فى ٢٦ مارس سنة ١٨٨٩ .

« بعد السلام . بما انه قد منحت مدة معقولة تسمح لكل انسان يرغب مبارحة هذا البلد ان يصل الى معسكرنا فيحيط رئيس حملة الانقاذ سليم بك وزملاءه علما بأن هذا اليوم هو الثلاثون من بعد مبارحتهم معسكر نيانزا فى طلب جمع أناس وادلاى . « فالمدة المعقولة » انتهت اليوم .

« ومع ذلك بناء على ما أبداه أمين باشا من الملاحظات وطلبه امتداد المدة يكون معلوما لكل من يهمه ذلك ان الحملة مدت أجل اقامتها فى كافاللى اسبوعين أيضا ابتداء من تاريخه وعلى ذلك ستتخذ الحملة سبيلها ميممة زنزبار فى ١٠ أبريل القادم فكل انسان لا يصل فى التاريخ المذكور لا يلومن إلا نفسه إذا لم يستطع مرافقتنا » .

الامضاء

هنرى . م . استانلى

وهذه الرسالة الثانية لا يمكن اعتبارها إلا تكرارا للرسالة السابقة .

وذكر استانلى ان عثمان افندى لطيف أتى اليه فى ٣١ مارس وأحاطه برأيه عن ضباط وادلاى وهاك ما قاله له :

« ان سليم بك يمكنه ان ينضم اليهم ويتألف منه ومن رجاله عدد مجموعه ٣٥٠ ما بين ضابط وجندى . أما فضل المولى رئيس الحزب المعارض ومعاونه فهما من المحازبين للمهدى (وهذا لا يتفق مع الحقيقة لأن الاول قتل فيما بعد فى واقعة ضد المهديين) . فانهما من وقت ما علما بسقوط الخرطوم (وذلك قبل اليوم بـ ٣٧ شهرا) أى فى الوقت الذى سافر فيه الطبيب جونكر بالضبط كانا امتنعا عن الامتثال كلية للباشا . وكانت الآمال قد سولت لأمين باشا أن قدومكم قد يحملها على تغيير ما كان قد علق باذهانهما فذهب هو وجفسن الى وادلاى . ولما كان فضل المولى يريد ان يكون من المقبولين عند الخليفة وينال منه الزلفى والمناصب العالية بتسليم الباشا اليه بادر بالقاء القبض عليه . وكان أيضا قد دبر خطة وهى تنحصر فى اجتذابكم بمعسول الوعود ويبعث بكم الى الخرطوم . وأنا أوجه اليكم النصح ان تكونوا على حذر فيما لو أتيا لزيارتكم . أما أنا (أى عثمان لطيف) فقد كفانى ما نالنى من هذا البلد ويهمنى جدا الرجوع الى مصر .

وسأله استانلى عما يراه الناس هنا . فأجابه عثمان لطيف ان حواش افندى لا يتجاسر على البقاء هنا بعد سفركم . فلقد كان بصفته بكباشى الاورطة الثانية معدودا من الناس الغلاظ الاكباد ولذا كان مكروها وطالما هموا بقتله . أما الباقون جميعهم تقريبا فيؤثرون البقاء هنا طائعين مختارين لو نصحهم سليم بك بذلك . أما أنا وحواش افندى

فسنلازمكم فى سفركم . نعم قد يحتمل أن يقضى علينا فى الطريق لكن لو بقينا هنا فهلاكنا أمر لا مفر منه .

وسأل استانلى عثمان افندى عن سبب عدم الميل للباشا فأجاب انه يجهل السبب فان الباشا كان عادلا للغاية مع الكل . ولكن كلما كان يتسامح مع الناس انصرفت قلوبهم عنه . فقد كانوا يقولون : « ليذهب لجمع الحشرات والطيور فقد استغنى عنه الحال » . والباشا كان يحب الاسفار ويراقب كافة الاشياء إلا أنه قلما كان يهتم برجاله .

وسأله استانلى هل يكون الباشا محبوبا أكثر عنده وعند الآخرين لو شنق منهم اثنين أو ثلاثة فأجاب عثمان افندى لطيف سلبيا وقال انه يكون مهيبا أكثر . وطلب من استانلى ان لا يبلغ الباشا ما ذكره له من الكلام وإلا فلن يغتفر له ذلك مطلقا . فطمأنه استانلى وأوصاه بأن يأتى لينبهه الى ما قد يحدث من المؤامرات فى المعسكر . فأجابه عثمان لطيف انه هو وابنه مستعدان لخدمته وانهما سوف يلمان بكل ما يدبر فى المعسكر ويبلغانه إياه .

وراقب استانلى عثمان افندى لطيف بعد ان خرج فرآه يتجه الى مضرب أمين باشا وشاهده يقبل يده ويخر أمامه ساجدا تعظيما واحتراما . وكان الباشا جالسا فى مقعده فى هيبة ووقار يصدر أوامر الى عثمان لطيف افندى بعظمة وهذا ينحنى كل مرة اكبارا واجلالا . ويقول استانلى انه لو كان رآهما أجنبي ساذج لتخيل ان فى الأول تتمثل السلطة الملكية بينما تتمثل فى الثانى طاعة العبودية . ويقول استانلى علاوة على ما ذكر ان مراسلته « سيلى » Séli وهو شاب زنربارى أكثر براعة فى

الجاسوسية من كل الذين فى المعسكر ويعلم بما يدور فيه أكثر كثيرا من عثمان افندى لطيف ومن حواش افندى ومن كافة المصريين..

وفى بكرة يوم دخل أمين باشا فى مضرب استانلى وذكر له ان كازاتى لا يبدو مرتاحا لترك رجاله فى المديرية ويرى ان واجبه يقضى عليه بالبقاء معهم . فأجابه استانلى بأن ذلك خطأ لأنهم كانوا جميعا من عهد قريب أسارى لدى الجنود وكان هؤلاء يريدون ان يبعثوا بهم الى المهدى فى الخرطوم .

واعترف أمين باشا بأن ذلك حق وانه سيسافر فى ١٠ أبريل إلا انه رجوه أن يتكلم مع كازاتى فى هذا الشأن . فقبل استانلى وذهب الاثنان الى مضرب كازاتى وهناك دارت محادثة طويلة بين الاثنين وتمسك استانلى بأن ثورة الجنود وتمردهم وسلوكهم مع الباشا يجعله فى حل من كل مسئولية قبلهم بينما كان كازاتى على نقيض ذلك يتمسك بأنه حتى بعد ذلك يجب عليه ان لا يتخلى عنهم وقد يجوز أنهم الآن تغيرت افكارهم ورجعوا الى الطريق السوى . وانفصلوا فى نهاية الامر بدون ان يقنع أحدهما الآخر .

وفى أول أبريل عملت الترتيبات الاولية الهامة للعودة . فسافر اللازم استيرز ورجاله يرافقهم حواش افندى ورشدى افندى وثلاثة مصريون مع اتباعهم الى بلد الرئيس مازامبونى لينشئوا فيه معسكرا ويستحضروا الاقوات التى تحتاج اليها الحملة التى تقرر مسيرها فى ١٠ أبريل .

وذكر استانلى انه علم فى ٥ أبريل من مراسلته سيلى ان الزنزباريين

يقولون فيما بينهم ان أشخاصا حاولوا مرارا سلب بنادقهم ولكن يقظتهم وانتباههم حالا دون ذلك .

ملحوظة : (ولماذا يكونون قد حاولوا سرقة هذه البنادق ؟ ان الاشخاص الذين كانوا بمعسكر استانلى من المديرية هم بلا شك أولئك الذين كانوا يريدون حقيقة السفر وبادروا بالمجىء بقدر ما يمكنهم من السرعة حتى لا يتخلفوا عنه . وعلى ذلك ليس لهم أية مصلحة فى وضع عراقيل فى سبيل سير الحملة . ويبدو أن الحقيقة هى ان استانلى ما تمحل هذا العذر وما أبدى ما أبداه عن حالة الافكار التى قال انها كانت سائدة بالمعسكر وهى الحالة التى وصفها لنا بعد ، الا ليحدث ذلك الانقلاب العظيم ويخلق له مبررا للابتعاد عن جنود المديرية الذين ما كان يريد بأى وجه من الوجوه ان يستصحبهم فى سفره) .

وقال استانلى بعد ان ذكر محاولة سرقة البنادق انه كان يسود المعسكر شعور بأن أمرا يوشك ان يقع فيه . وكان الناس يتهامسون فى خلواتهم ولوحظ ان المصريين الذين بالمعسكر يبعثون برسائل فى ملفات الى أبناء جلدتهم فى وادلاى وان هؤلاء يردون عليهم برسائل لا تقل عنها ضخامة .

ملحوظة : (هذه تهمة مبهمة غير معينة كان من واجبات استانلى ان يجلى غامضها فى الحال بحجز وفتح هذه الرسائل وذلك أمر هين لين على رجل يضع أعناق رجال قافلته فى المشانق) .

وزاد استانلى على ذلك بأن قال ان بعضهم نبهه الى أخذ الحيطة والحذر

من ناحية المصريين وان لا يطرح من باله البندقية التى سرقها ضابط والمحاولة الجريئة التى بذلت بقصد سرقة البنادق الأخرى . وقال ان كل ذلك يدل على ان حدثا جسيما تعد له العدة قبل سفره .

وتوجه استانلى الى أمين باشا وحالة افكاره على ما ذكرنا بل ازدادت اضطرابا بقصد انتهاز الفرصة وقال له ان البريد الذى وصل من وادلاى مذكور به وجود اضطراب كبير فى حالة الامن وخلل فى النظام . وان نحو ستة أحزاب يصطدم بعضها ببعض وان أبواب مستودعات الحكومة كسرت وأخذ كل منها مشتهاه بدون ان يستطيع الضباط منع شىء . وان رجاله هنا وصل اليهم جملة خطابات من هناك ومن غريب الاتفاق ان حاول البعض هذه الليلة سرقة بنادق الزنزباريين . وانه يبدو له أنه كثير جدا ان يقضى خمس ليال علاوة على ما مر من الزمن ليصل الى يوم ١٠ أبريل وانه يرغب السفر فى الحال وانه إذ كان لا يميل الى استعمال القوة فيعرض على أمين باشا وسيلتين :

الوسيلة الأولى ان يستدعى رجاله ويسألهم ليقف على من يريد مصاحبته فالذين يريدون البقاء يطردون وان لم يمتثلوا تستعمل معهم القوة .

والوسيلة الثانية ان يسافر هو بهدوء وسكينة فى الغد عند انبثاق النهار بحراسة رجال استانلى وينشىء معسكرا على قيد ٥ كيلو مترات من هنا ويستدعى برسائل أولئك الذين يبغون مصاحبته ولكن لا يجوز لأحد غيرهم ان يقترب من معسكره والا كان عرضة للهلاك .

وطلب أمين باشا استشارة كازاتى فرفض استانلى هذا الطلب واحتد

قائلا انه لا يأذن بحدوث ارتباك أو خلل فى النظام فى حملته وان هذه ستحمل أحمالها وتنطلق فى السير بعد ثلاثين دقيقة وانه اذا أريقت قطرة دم تقع مسئوليتها على أم رأسه .

وخرج استانلى ودق اشارة حمل السلاح وفى ظرف خمس دقائق كانت رجاله مصفوفة على شكل ثلاثة أضلاع مربع وأمر جفسن بأخذ بلوكه المسلح بالعصى واخراج كل اناس المديرية . وانتشر الزنزباريون فى المعسكر لا يبقون على أحد ولا يعفون أحدا من ضربات عصيهم . ويقول استانلى انه كانت تضحكه رؤية رجل زنزبارى بسيط يهز عصاه فوق رأس وكيل المديرية أو البكباشى أو اليوزباشية والملازمين .

ولما صار الجميع داخل المربع طفق استانلى يتكلم مرة أخرى عن نفس مسائل السرقة والتآمر . وبعد ان انتهى من ذلك سأل من منهم يريد السفر ومن منهم لا يريده . وبطبيعة الحال بادر الناس أجمع وهم محاطون بهذه الظروف الى القول إنهم يودون السفر . وهذا علاوة على أنهم جميعا كانوا قد أتوا لهذا الغرض وكل ما قاله استانلى وكل ما افترضه ما كان له وجود إلا فى مخيلته .

وأعلن استانلى ان السفر سيقع بعد خمسة أيام وأمر بأن يحرر له كشف بأولئك الذين عقدوا النية على السفر وفعلا تم تحرير هذا الكشف وها هى اسماء الاشخاص ذوى الحيثيات منهم :

أمين باشا . و اليوزباشى كازاتى . و الطبيب فيتا حسان . و السنيور ماركو جسبارى . و وكيل المديرية عثمان افندى لطيف . والضباط : البكباشى حواش

افندى منتصر . و الصاغ ابراهيم افندى حليم . و اليوزباشية : احمد افندى ابراهيم . و عبد الواحد افندى مقلد . و على افندى شمروخ . و على افندى سيد احمد . و شكرى افندى . و الملازمون : سليمان افندى عبد الرحيم . و ابراهيم افندى ترباس . و فرج افندى . و الموظفون : أيوب افندى . و اسنيكا افندى . و رشدى افندى . و عزرا افندى . و رفائيل افندى . و واصف افندى . و غبريال افندى . و عوض افندى . و محمد افندى خير . و يوسف افندى . و رجب افندى . و عارف افندى . و احمد افندى رائف . و احمد افندى ابراهيم . والثلاثة الاخوة باسيلى افندى و توما افندى و داود افندى .

وفى ٨ أبريل وقعت مشاجرة بين كل من عمر وهو جاويش العساكر السودانية التى قدمت من مصر مع استانلى وشخص زنزبارى بسبب اهانة وقعت من هذا لزوجة الأول . وهذه المشاجرة أفضت الى اشتراك السودانيين والزنزباريين فيها كل منهم فى جانب ابن جلدته وانتهت المعركة باصابة عدد كبير بجراح . ولما اتصل هذا الخبر باستانلى حكم على عمر بأن يحمل صندوق ذخيرة الى أن تشفى جراح الزنزباريين . ويرى فيتا حسان ان سبب هذا الشجار هو استانلى نفسه كما ذكر ذلك فى صلب تاريخ المديرية عن هذه السنة .

وفى ١٠ أبريل أخذت القافلة كما قال استانلى فى السير . وكانت مؤلفة حسب الارقام التى سطرها استانلى كما يلى :

رجال الحملة ٢٣٠ ورجال المديرية ٦٠٠ وحمالون ٦٨٠ فيكون المجموع ١٥١٠ نسمة .

وبعد ذلك وصف لنا الرحلة لغاية زنزبار وهذا أمر سبق تدوينه واذا كنا قد كتبنا هذا الملحق وسطرنا كذلك ملحق السنة الماضية فما ذلك إلا لتبيان صلاته مع سلطة مديرية خط الاستواء حسب روايته هو نفسه .

الحوادث التى وقعت
فى مديرية خط الاستواء

بعد سفر أمين باشا منها

وقدوم حملة استانلى الى ديار مصر

من سنة ١٨٩٠ إلى ١٨٩٩ م

لم تكد حملة استانلى تبلغ القاهرة فى بدء عام ١٨٩٠ م ومعها رجال مديرية خط الاستواء الذين أمكنها استحضارهم حتى وصل اليها عاملا شركة شرق افريقية الشرقية الانكليزية وهما السير ف . د . وينتون « F.D.Winton » والكابتن ويليامز « Captaine Williams » . وقد يجوز أيضا أنهما وصلا اليها قبل الحملة وظلا ينتظرانها فيها .

وكان ضباط وجنود مديرية خط الاستواء الذين قدموا مع الحملة تابعين بالطبع لنظارة الجهادية التى بدون رضاها ما كان فى استطاعة أحد منهم أن يتطوع لخدمة أى شخص ما . ولكن هذه النظارة لم تكن مصرية إلا اسما وكانت فى الواقع ونفس الأمر مصلحة من مصالح جيش الاحتلال البريطانى . وعلى هذا يستطيع المرء أن يدرك بسهولة أن العاملين السابق ذكرهما لم يصادفا أقل عناء فى تجنيد من وقع عليه اختيارهما من بين القادمين مع الحملة . وفضلا عن ذلك فمن المحقق ان نظارة الجهادية قد استعملت



الكابتن لوجـــارد

كل ما لها من السيطرة على هـؤلاء الرجال وذلك بضغطها عليهم لحملهم على قبـول هـذا التجنيد . إذ من البداهة أن أولئك الرجال ما قاموا بأعباء هـذه الرحلة الطويلة الشاقة من قلب افريقية الى ان بلغوا الديار المصرية كما سبق ايضاح ذلك لكى يعودوا الى الموضع الذى كانوا فيه بمجرد وصولهم .

وقصارى القول هذا هو ما حدث . فان السير ف . دى وينتون والكابتن ويليامز جندا من بين رجال المديرية على أثر وصولهم من افريقية الى مصر اليوزباشى شكرى افندى الذى كان قائدا لمحطة مسوه والملازم فرج افندى و٧٠ سودانيا وأقلعـا معهم الى ممبسة فوصلوا اليها فى أوائل شهر يونيه من عام ١٨٩٠ م وفيها وجدا الكابتن لوجارد « Lugard » الذى كان فى انتظارهما فى تلك الناحية من الشهر الماضى . وكانت الشركة قد عينته قائدا للحملة التى كانت بالذهاب لتسلم أوغندة . وقد قلت لتسلم أوغندة مع أنه لم يحصل أى اتفاق بين ملكها والشركة المذكورة لأنه يمكن اعتبار ما كان لم يحدث الى ذلك الوقت فى حكم الامر الواقع .

ووجـد الكابتن لوجارد لدى وصوله الى ممبسه فى أوائـل شهر مايو من سنة ١٨٩٠ م أوامر من الشركة بالاسراع فى السفر بقدر مافى الاستطاعة لأنهـا علمت ان أمينا باشا التحق بخدمة الحكومة الالمانية وسافر الى تلك المنطقة فكانت تخشى أن لا يسبق حملة أمـين باشا ويعقد اتفاقا مع ملك أوغندة الأمر الذى يحرمها الشيء الذى تصبـو اليه وتطمح لأن الاتفاقية الانكليزية الألمانية التى قررت مصير هـذا البلد ما كانت أبرمت بعد وما كانت وقع عليها .

وفى الحال أخذ الكابتن لوجارد فى إعداد معدات السفر وغيرها من اللوازم . وفى ٦ أغسطس من عام ١٨٩٠ م ولى وجهه شطر الجهة المقصودة فبلغها قبيل آخر العام المذكور . وانى لا أكلف نفسى عناء وصف رحلته لأنه خارج عن موضوع هذا الكتاب الذى ينحصر فى ايضاح ما وقع للجنود المصرية الذين تركوا فى مديرية خط الاستواء وكذلك مصيرهم .

وكانت أوغندة لدى وصول حملة الكابتن لوجارد منقسمة الى ثلاثة أحزاب دينية الأمر الذى نشأ عنه نشوب حرب أهلية . واليك بيان أديان هذه الاحزاب :

الأول الاسلام الذى أدخله تجار العرب الزنزباريون الذين يتبادلون المتاجر مع أوغندة . ومن الامور المحققة أن هذا الدين هو أول دين دخل فى ذلك البلد .

والثانى البروتستانت وهو دين أدخله فيها المبشرون الانكليز الذين قدموا اليها وتوطنوا فيها عام ١٨٧٧ م كما هو مذكور فى الملحق الرابع لعام ١٨٧٨ م .

والثالث الديانة الكاثوليكية وهذه أدخلها فى البلد الآباء البيض الجزائريون Les pères blancs d'Algerie (وهؤلاء الآباء البيض ليسوا جزائريين جنسية بل مبشرين أوربيين مقرهم فى بلاد الجزائر) .

ومع أنه كان من الصعب معرفة عدد معتنقى كل دين من هذه الأديان الثلاثة بالتدقيق إلا أنه كان من المسلم به أن عدد كل طائفة منهم كان مساويا

لعدد الأخرى تقريبا ولذلك كان ينشأ عن انضمام طائفتين الى بعضهما انحطاط هائل فى عدد الثالثة يجر عليها الضرر .

وكان يبدو أن انضمام الطائفتين الأخيرتين الى بعضهما ضد الأولى أمر بديهى لأنهما فى الحقيقة من دين واحد هو المسيحية ولكن هذا كان غير الواقع لأن فريقى النصارى كانا يقتتلان ويتشاحران حتى كأنهما كانا يناجزان المسلمين . ونشأ عن ذلك أنه حين قدوم حملة شركة افريقية الشرقية الانكليزية ما كان فى استطاعة انسان القول إن طائفة منهم أو طائفتين موقفها أو موقفهما كان متفوقا . وكانت السلطة تنتقل من طائفة الى أخرى بحسب الظروف ومن هنا يدرك المرء بسهولة حالة التخبط والفوضى التى كانت تسود أرجاء البلد .

ورجح قدوم حملة الشركة كفة طائفة البروتستانت لأنها هى والحملة من دين واحد ومن عهد ما وضعت الشركة يدها على أوغندة شبت حرب صليبية ثم داوم عمال الحكومة الانكليزية على امدادها بالوقود فكان المسلمون لها طعاما بادىء ذى بدء ومن بعدهم الكاثوليك وذلك بقصد تطهير البلد من هاتين الطائفتين . وهذه الحرب الصليبية نجحت نجاحا باهرا حتى انه على ما أعلم لم يبق فى أوغنده اذا استثنينا الوثنيين إلا البروتستانت . واذا هاج الشوق أحدا لاستيعاب مفصلات هذه المسألة فما عليه إلا أن يطالع مؤلفات الآباء الكاثوليك التى وضعوها عنها .

ولدى وصول الكابتن لوجارد أبرم معاهدة مع موانجا ملك أوغندة بالنيابة عن شركة افريقية الشرقية الانكليزية والمعاهدات التى من هذا النوع هى عبارة عن المستندات التى تتملك بها الدول الاوربية فى افريقية والشرق

حقوق الأمم المستضعفة وتختلسها ظلما وعدوانا . وبعد ذلك بدأ المحادثة مع طائفة الكاثوليك للشروع فى عمل مشترك تدور رحاه على المسلمين أولا فاذا ما فرغ من هؤلاء وتخلص من وجودهم انقلب على الأولين . وهـذا ما حدث فعلا وفاز بتحقيقـه . واليك ما ذكره فى كتابه « قيام مملكتنا الافريقية الشرقية The Rise of our East A. E. » ج ٢ ص ١١٢ وذلك قبل أن يشرع فى شن حربه الصليبية على المسلمين :—

« لا يقاتل بعد الآن نصرانى نصرانيا ونحن ضد الاثنين . ولكننا جميعا مصفوفون فى ناحية واحـدة وعلى وشك أن نصير رفقاء فى شن الحـرب على العدو المشترك فالمسيحيون ضد المسلمين » .

ويبـدو مع هـــذا ورغم ذلك أن هذا الضابط كان أكثر عـدالة وأكثر وفاء بالوعـود التى قطعت من كافـة الضباط الذين خـــدموا فى هذا البلد .

وتألفت حملة من الطائفتين ومن سودانيي الشركة وشنت الغـــارة على المسلمين وانتصرت عليهم ولكن هذا النصر لم يكن باتا . وبعد ذلك ذهب الكابتن لوجارد ابتغاء تجنيـد جنود خط الاستواء المصريين القـدماء وكان هـؤلاء مقيمين فى كافاللى فى المعسكر الذى أخـــلاه استانلى تحت إمرة سليم بك مطر . وكانت هـذه المسألة فى الواقـــع بغيته الاوليـة وكان يريـــد الاسراع لاسيما أنه كان قـد سمع أن أمينـــا باشا يعم تلك المنطقة ليجندهم فى خدمة الحكومة الالمـانية وكان لا يريد أن تفلت منـــه هذه الفرصة .

وقبل أن نخوض كثيرا فى هذه القصة ينبغى أن أذكر ما وقع من الحوادث فى مديرية خط الاستواء بعد سفر أمين باشا مع حملة استانلى ووصول جنود المديرية إلى كافاللى :—

حول جنود المديرية بعد سفر أمين باشا

لقد بارح سليم بك كما سبق القول معسكر استانلى فى كافاللى فى ٢٦ فبراير عام ١٨٨٩ م مع الضباط الذين كانوا قد ذهبوا بصحبته عند هذا الأخير وذلك ابتغاء الشروع فى اخلاء مديرية خط الاستواء من الموظفين والجنود .

ومع ذلك كان الأجل الذى منحه استانلى وحدد له نهاية مارس ثم مده الى ١٠ أبريل لا يكفى مطلقا لحشد كل أولئك الخلائق فى معسكره فى المدة التى عينها . فالحاميات التى كانت فى مختلف المحطات تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة شاسعة . وكان من المستحيل حشدها فى الوقت اللازم . فمثلا حامية مكراكا كان لابد لها من شهر لتصل فقط الى وادلاى . ومن هذه المحطة كان من اللازم الابحار مسافة أخرى على متن الباخرتين والمراكب التى يمكن أن تجرها الى أن تصل الى معسكر استانلى . ولم يكن من اللازم نقل المستخدمين والجنود فقط بل كان ينبغى ايضا نقل ذويهم وأتباعهم ومجموعهم يبلغ عدة ألوف من الارواح . فكان من رابع المستحيلات استطاعة الوصول فى الوقت المعين بوسائل النقل التى كانت قليلة جدا .

وكان من اللازم عدم التعويل على السفر برا لأنه حتى لو اطرحنا

جانبا مسألة الصعوبات الهـــائلة التي تعترض تحريك جموع كبيرة كهذه على مسيرة مسافات هكذا ساشعة فالطريق الذي كان من الضرورى اجتيازه مأهول بقبائل معادية ولابد من محاربتها للتمكن من اجتيازه .

ولقد كان استانلى من أكثر الناس خـــبرة بالأسفار فى افريقيـة ويعرف حق المعـــرفة أنه يستحيل جمع كل هؤلاء الخلائق فى الأجـــل المضروب ولكنه بتحديد هـذا الأجل لم يرد إلا التخلص من اللوم . أما فى الحقيقـة فكان قد قرر عـدم ارجاعهم معـــه وغرضه تركهم حيث كانوا للانتفاع بهم فى أيام أخرى وأمور أخـــرى . ألم يصرح لنا أنه لم يكن ليسمح بوجودهم فى معسكره خـوفا من أن يوجـــد به من ٦٠٠ الى ٧٠٠ جنـدى مدججـــين بالسلاح مع ان هذا لم يكن السبب الحقيقى ؟ .

وشرع سليم بك بالاختصـار على أثر وصوله الى وادلاى يجـد ويعمـل . وابتدأت عملية النقل . ولما نمى اليه خبر سفر الحمـــلة بادر بارسال ثلتين خلفها الأولى مؤلفة من ضابط واحد وثلاثين جنـــديا والأخرى من ضابط أيضا و٥٠ جنديا لتلتمسا من أمين باشا الانتظار غـــير أن هاتين الثلتين لم تستطيعا اللحـــاق بالحملة ولم تفوزا بالوصول الى مقصدهما . وعـــاد الضابط الأول الى مسوه بدون أن يعمـل أى عمل . أما الثـانى ويقال له السيد افندى فقـــد اهتدى صدفـة عند البحث فى أخذ معسكرات استانلى الى ال ٤٢ صندوق الذخيرة التى كان طمرها فيه وأخذها ثم رجع وأقام فى معسكر استانلى فى كافاللى .

وفى غضون وقـوع هذه الحوادث اختـل النظام مرة أخرى وتجدد

الاضطراب بين فريقى سليم بك وفضل المولى بك فى وادلاى وفى ذات ليلة فتح الأخير هو وعصبته مخازن المحطة واستولوا على كافة ما فيها من الذخيرة وولوا وجوههم صوب الشرق .

أما سليم بك وكان عندئذ فى مسوه فوقع فى أشد الحيرة لأنه لم يكن لديه إلا النزر اليسير من الذخيرة والبعض من محازبيه وكان فريق من الباقى من هؤلاء فى وادلاى والفريق الآخر فى طريقه الى مسوه للانضمام اليه .

وكان سليم بك لا يستطيع بحكم الطبع أن يرجع الى وادلاى وقرر أن ينتظر وصول محازبيه المرتقب قدومهم اليه . وعندما وصل هؤلاء ذهبوا جميعا الى معسكر كافاللى لينضموا الى فريق السيد افندى . وفى هذا المسكر اتخذوا محل اقامتهم .

ونمى خبر العثور على الـ ٤٢ صندوق الذخيرة الى فضل المولى بك فأرسل ٤٠٠ رجل للاستيلاء عليها . ولدى وصولهم الى كافاللى أوشكت موقعة أن تحدث بين الفريقين غير أنه فى نهاية الأمر حكم الفريقان العقل وبذا انفض الاشكال وقسمت الذخيرة بينهما .

وكان عدد الفصيلة المنضمة وقتئذ الى سليم بك يبلغ ٨٠٠ جندى مدججين بالسلاح « رمنجتون » وهؤلاء مع أتباعهم يبلغ مجموع عددهم زهاء ٨٠٠٠ نسمة .

وكان مع هذه الفصيلة عوض افندى مخزنجى المديرية ومحمد افندى زيور وهو كاتب شركسى المحتد . غير أن عدد الجنود نقص بسبب ما قام بينهم

وبين الاهالى من الحروب . غير أن سليم بك كان قد حصن المحطة واستمر العلم المصرى يخفق فوق معاقلها .

وفى يوليه سنة ١٨٩١ م وصل أمين باشا الى كافاللى وكان مقصده تجنيد عساكره القدماء باسم الحكومة الالمانية . وقابله سليم بك ومن كان بمعيته لدى قدومه بمزيد الفرح والابتهاج لأنهم خالوا أنه أتى اليهم من قبل الحكومة المصرية يحمل لهم امدادا لكن أمينا باشا صرح لهم أنه التحق بخدمة الحكومة الالمانية وانه لا ينبغى لهم أن ينتظروا أية معونة من لدن الحكومة المصرية وانه خير لهم أن ينخرطوا فى سلك الجندية تحت إمرته .

وإن هو إلا ان سمع سليم بك هذا القول حتى أجاب انه هو وجنوده من رعايا جناب الخديو وانهم يعتبرون أنفسهم دائما أبدا فى خدمته . وعلى ذلك لا يستطيعون اجابة طلبه بل أذاع الجنود اشاعة فحواها أن الخديو غضب على أمين باشا بسبب تركهم وطرده من خدمته .

وتوصل أمين باشا مع ذلك الى تجنيد زهاء عشرين نفسا منهم . وفى ٩ أغسطس سافر . غير أن اكثر أولئك الذين جندهم تسللوا بعد بضعة أيام وقفلوا راجعين الى كافاللى . وعند ذلك فقط أتى الكابتن لوجارد ووجدهم على هذه الحالة . وكان قدومه فى ٨ سبتمبر أى بعد شهر من سفر أمين باشا . أما قصة الفصيلة الثانية التى شايعت فضل المولى فسنذكرها فى الوقت المناسب .

تجنيد الكابتن لوجارد للعساكر

ووصل الكابتن لوجارد إلى شاطىء بحيرة البرت نيانزا الغربى فى ٦ سبتمبر من عام ١٨٩١ م تجاه نسابى حيث كانت الباخرتان « الخديو » و « نيانزا » قد قدمتا بالاشخاص الذين كانوا قد عزموا على الرحيل إلى ديار مصر مع حملة استانلى . وأعلمه أهالى المديرية الذين كانوا بمعيته بذلك وأطلعوه على هذه الأماكن . وأبلغه الاهالى أيضا أن جنود سليم بك السودانيين ضاربون على مسافة غير بعيدة . وبعد ان تسلق سفح نجد نزل بجوار قرية .

وزاره فى نفس مساء اليوم بعض الضباط وفرحوا بلقاء رفاقهم العائدين من الديار المصرية بعد أن طال عهد غيابهم عنهم وقفل البعض من الأولين راجعا يحمل الخبر إلى زملائه . وقضى الباقون ليلتهم فى المعسكر مع شكرى افندى ورفاقه . وأبلغوهم ان سليم بك ليس فى معسكره فى هذه الآونة بل ذهب ليقابل فصيلة من فصائلهم قادمة من مديرية خط الاستواء .

وفى اليوم التالى قوض لوجارد مضاربه ونصبها تجاه معسكر السودانيين بحيث صار لا يفصلها إلا جدول ماء . وبعد ذلك بعث برسل إلى سليم بك يستقدمه على وجه السرعة . فأجابه أن ابعث بشكرى افندى لمقابلتى ولكن الكابتن لوجارد رفض مصرحا أنه لا يرسل اليه أى شىء قبل أن يراه هو شخصيا .

ووصل سليم بك فى ١١ منه وذهب الى الكابتن لوجارد . ووصف

الاخـــير الاول فقال إنه من الجبابرة وأنه عبل الجسم لدرجـــة خارقة للعادة على أن استانلى كان قد وصفه بأنه رجل منهمك فى تعـــاطى المسكرات ميـــال الى الراحة . ويراه لوجارد بالعكس رجـــلا ذا حزم وعـزم كما برهن على ذلك فى الحـوادث الأخــيرة التى وقعت فى مديرية خط الاستواء .

وعرض عليـــه الكابتن لوجارد عنـد مقابلته أن يستحضر معه من يريده من ضباطه فأجاب سليم بك أن لا حاجة لذلك وأنه وحـــده يبت فيما يلزم نيـابة عن ضباطه وأن هؤلاء يقبلون ما يراه ويقره . وهـــذا ما جرى وتم .

وجاوب سليم بك على الاقـــتراحات التى اقترحها عليـه الكابتن لوجارد بتجنيده هـو ورجاله بأن شعر رأسه ابيض وهو فى خـــدمة الخديو وأن لا شيء فى العالم يستطيع أن يحوله عن الاخلاص فى خـدمة العـــلم الذى خاطر بحياته مائة مرة فى سبيل نصرته وأنه إذا كان يحمل تصريحا من الخديو فهو ينضم اليه ولكنه بدون ذلك لا يخدم أى علم آخـر مهما كان ذلك العلم .

فأجاب الكابتن لوجارد على ذلك أن مصر أخلت السودان وأن الخـديو أرسل بواسطة استانلى أمرا للجنـود باخـــلاء مديرية خط الاستواء وأن مصر وانكلترا مرتبطتان بمعاهدة وثيقـة العرى وأنه أى (لوجارد) يحمـل شارة مصر العسكرية لأنه حارب الدراويش فى السودان باسم الخـديو . وقال علاوة على ذلك انه سيكتب للخـديو ويكتب سليم بك كذلك اليه ليلتمسا منـــه هـذا الاذن ثم بعـد أن تأتى إجابة الخـديو يعمـــل سليم بك

بما يجيء بها . أما الآن فلنتفق فيما بيننا فاذا كان الخديو لا يأمر بخدمة الانكليز (١) ويستدعيكم إلى مصر يمسى العقد لاغيا وتكون لكم الحرية المطلقة فى السفر وهو يعاونهم فى ذلك . وانه ريثما ترد إجابة الخديو يكون سليم بك فى خدمة الانكليز ويأتمر بأوامره .

وقبل سليم بك هـــذه الشروط وطلب من الكابتن لوجارد أن يرشده عن الموضع الذى يرغب أن يذهب اليه واعدا أن يظل هنـــاك مع جنوده رافعا رايته وأن يخدم الانكليز الى أن يأتى جواب الخديو فيعمل فيما بعد بمقتضاه وافترقا على ذلك .

وفى الغد تقابلا مرة ثانية أظهر سليم بك فيها صلابة فى المفاوضة . فكان يريد أن تستمر جنوده تحت مطلق تصرفه ويعسكروا فى محطة واحدة الى حين ورود إجابة الخديو .

فأجابه الكابتن لوجارد أنه لا يستطيع قبول هذا الشرط وأنه لا يسمح بدخول قـــوة مسلحة فى أرض تدير شئونها الحكومة البريطانية بأى حال من الأحوال ما لم تكن هـذه القـوة تحت كامـــل تصرفاته . فيسكنهم فى المحال التى وقع عليها اختياره وذلك يكون تبعا لما يستطاع الحصول عليه من الأقوات ومراعاة الاماكن التى تتطلب حاميات . وحيث أنه وعد بالكتابة للخـــديو فاذا أمر بعودتهم إلى مصر (٢) فهو يبذل كل ما فى وسعه ليسهل رجـــوعهم اليها وقال عـلاوة على ذلك مخاطبـــا أيضا سليم بك : « انه خير لك أن تعتمد علىّ وتثق بى وإنك إذا أردت أن تعـــرف

(١) — وهذا الأمر مستحيل . (٢) — وهذا الأمر بعيد الاحتمال .

أننى ممن يحتفظون بوعودهم ولا يفرطون فيما يصـدر منهم من الكلام فما عليك إلا أن تستعلم من رجالك أما إذا كنت غير واثق منى فبقدر ما نسرع فى قطع المفاوضات يكون ذلك خيرا وأبقى » .

وانتهى الكلام بقبول سليم بك بتأثير شكرى افندى الذى كان بمصر إذ أفهمه أن الانكليز والخـديو مرتبطون بعهود لا انفصام لها وأنه اذا أبى التسليم بما عرضه عليـه لوجارد يصعب عليه أن يبرىء نفسه أمام الحكومة المصرية . هذا ومن جهة أخرى فان شكرى افندى ما استخدم كما سبق القول إلا لهذا الغرض ولهذه الغاية .

وجال بخاطر الكابتن لوجارد أولا أنه يمكنه أن يذهب بهذه الجنود ويحتل ثانية وادلاى ويترك فيها حامية فى بقعة حصينة غير أن الاحوال تغيرت عما كانت فى الزمن السابق فالباخرتان الخـديو ونيانزا أغرقتا وأمستا أثرا بعـد عين واغراقهما ، فى نظره وحسبما قال ، يعد طامة كبرى فلولاه لكان بالطبع قد وضع يده عليهما كما وضع يده على الجنـود المصرية وكل ما كان من ممتلكات مصر وذلك بحكم الاتحاد الوثيق — كما قال — الذى بين الخديو والانكليز . وهذا الاتحـاد بحسب عقليته يخول له تملك كل ما يختص بمصر .

واذن أضحت الحال بسبب عدم وجود هاتين الباخرتين اللتين كان بواسطتهما يمكن قطع المسافة إلى وادلاى فى الزمن السالف فى ظرف ثلاثة أيام ، داعية الآن الى قطعها برا فى قلب بلد مأهول بالاعداء . وعلى ذلك اضطر الكابتن لوجارد رغم رغبته الشديدة فى وضع يده فى التو والحال على مديرية خط الاستواء المصرية أن يؤجل هـذه العملية وهو آسف كل الاسف

إلى ما بعد . ومن ناحية أخرى فان سليم بك اعترضه فى ذلك صراحة لأن أمر الخديو لم يكن قد ورد بعد .

وتمت التسوية على ذلك وكتب منها نسختان احداهما بالعربية والأخرى بالانكليزية وها كها :

« يتعهد الكابتن لوجارد أن يكتب للخديو يستأذنه فى تجنيد العدد اللازم من الجنود له وللشركة أيضا وإذا أبى الخديو الترخيص بذلك واستدعيت الجنود الى الديار المصرية سهل لهم طريق مرورهم فى قلب أرض الشركة وذلك مقابل الخدمة التى يكونون قد أدوها . واذا كانوا ينتظمون نهائيا فى خدمة الشركة يمنحون مكافأة عن المدة التى يكونون قد قضوها فى خدمة الشركة وذلك لحين ورود الترخيص من الخديو . وفى أثناء هذه المدة ينتظمون فى سلك الجندية بقيادة الكابتن لوجارد الذى يتعهد بأن لا يرسلهم إلى مديرية خط الاستواء وأن يبقيهم داخل حدود مملكة الاونيورو . أما اذا دخلوا نهائيا فى سلك الجندية فى خدمة الشركة بعد ورود اذن الخديو فيتحتم عليهم أن يذهبوا محل ما يؤمرون وهم رافعون علم الشركة . ولهم إلى أن يرد ذلك الاذن أن يرفعوا العلم المصرى . أما فيما يختص بالرتب والمرتب والكساوى والعلوفة فيعاملون المعاملة التى كانوا يعاملون بها فى عهد الحكومة المصرية » .

وكتب الكابتن لوجارد وسليم بك إلى الخديو حسب الاتفاقية فأذن بطبيعة الحال كما كان ينتظر بتجنيد جنوده الخاصة فى خدمة الشركة . وهذا الاذن قد وصل إلى أوغندة بعد أن أعلنت الحكومة الانكليزية امتلاكها لهذه البلاد فأهمل أمره حتى لم يهتم كائن من كان بتبليغه الى الجنود .

ويقول الكابتن لوجارد إنه سر أيما سرور لانتهاء المفاوضة بهذه الطريقة . وبالطبع يسر سرورا لا مزيد عليه لأن الحكومة الانكليزية بعد الشركة اكتسبت بدون أن تخسر فلسا واحدا قوة نظامية بأسلحتها وذخيرتها لتحتل أرضا كانت تطمح اليها من أمد مديد وتلك الارض من ممتلكات غيرها واكتسبت معها أرباب الصنائع والعمال بمديرية خط الاستواء . وبعد أن تم هذا حصل الاتفاق ما بين كل من الكابتن لوجارد وسليم بك على السفر بعد عشرين يوما .

واجابة لطلب سليم بك عرض الكابتن لوجارد الجنود فى يوم ١٧ سبتمبر . وروى هذا الاخير أن عددهم كان زهاء ٦٠٠ جندى وكانوا فى العرض يؤلفون مربعا ومسلحين بسلاح رمنجتون وهؤلاء عدا الذين كانوا بغير سلاح وفى استطاعتهم أن يحسنوا القيام بالخدمة إذا كانوا يمتلكون أسلحة . ووجه اليهم الكابتن لوجارد بعض كلمات تتعلق بأمر تجنيدهم ثم والوا السير على عزف الابواق والطبول أمامهم . وكان كثير منهم مصابا بجروح مندملة أصيبوا بها فى حروبهم مع الدراويش . وكان بينهم بعض المصريين . ويقول الكابتن لوجارد إنه يستحيل على المرء أن لا يعتريه هزة اعجاب عند رؤية هؤلاء الجنود المتروكين مارين أمامه بأعلامهم الممزقة والمثقوبة من كل ناحية بفعل الرصاص الذى اخترقها فى المواقع الدامية والحروب الهائلة مع المهديين وإخلاصهم الذى لا حد له للخديو والراية المصرية . وكان من بين هؤلاء الجنود ضابط قديم يقال له بلال بك مرضوض الذراعين بفعل الرصاص الذى أصابه وصير ذراعيه عاطلتين عن الحركة أصلا . وهذا الضابط بشجاعته وهمته أنقذ دوفيليه يوم أن هاجمها المهديون . وقال سليم بك للكابتن لوجارد إن كثيرا من الجنود مات متأثرا من سهام أهالى المديرية المسممة عند

قدومهم من وادلاى الى كافاللى .

فهل كان يليق بعد كل هذا أن يكون جزاء هؤلاء الجنود المخلصين من حكومتهم أن تتهاون فى أمرهم الى هذا الحد وتتركهم بهذه الحالة ؟ !

وهل يصح أن يوصف هؤلاء الجنود بالثوار ويقال عنهم انهم كانوا عقدوا النية على القبض على استانلى ليسلموه للمهديين وتقف حكومتهم منهم هذا الموقف الشائن ؟ ! . إن هذا لا يصدر من حكومة رشيدة أبدا ولكن لا غرابة فقد كانت هذه الحكومة مغلوبة على أمرها حتى ليصح لنا أن نقول إن ما صدر منها لم يكن فى الحقيقة إلا من وحى المحتلين وضغطهم وان كان هذا لا يعد عذرا مبررا لها فى هذا الموقف الخطير .

وقدم بعد الظهيرة ثمانية من كبار الضباط إلى الكابتن لوجارد ليوقعوا التعهد وقد قال إن مقابلته لهم كانت لطيفة وأن أساليبهم مشوبة بالأدب والأنس .

وشرعوا فى السير فى ٥ اكتوبر سنة ١٨٩١ م . وعلى طول الطريق أقام الكابتن لوجارد على حدود الاونيورو سبعة معاقل وضع فيها حاميات من جنود سليم بك ولم يحتفظ إلا بمائة جندى قادهم إلى حصن الشركة القائم فى « روباجا » عاصمة أوغنده التى وصل اليها فى ٣١ ديسمبر من سنة ١٨٩١ م .

ولدى دخولها وجد أمرا من الشركة باخلاء أوغندة لأن مواردها المالية لا تسمح لها بالاحتفاظ بها . ووقع هذا الخبر فى نفسه موقعا سيئا

وعقد النية هو والكابتن وليامز على أن يرجع أحدهما إلى انكلترا ليحاول حمل الشركة على العدول عن قرارها . ولكن فى ٧ يناير من سنة ١٨٩٢ م قبل الشروع فى تنفيذ هذا المشروع قدم بريد من الساحل مؤداه أن الشركة قررت مد الاحتلال عاما آخر .

وسعى الكابتن لوجارد فى تهدئة الخواطر ومصالحة الكاثوليك مع البروتستانت وذلك بتخصيص منطقة لكليهما . ولما تكلل سعيه بالنجاح باشر مفاوضة المسلمين ابتغاء معاملتهم بعين الطريقة السالف ذكرها . ولما كان فريق المسلمين أرسل مندوبين للمفاوضة شيع الكابتن لوجارد مع هؤلاء سليم بك بصفة مندوب من قبله . ويقول هذا الكابتن إنه كان يثق ثقة تامة بالبك المشار اليه وان المسلمين يعتبرونه أهم انسان بين معتنقى ديانتهم فى هذه المنطقة وكان سليم بك مزودا بأمر يقضى باستحضار الملك الذى نصبوه عليهم وهو شخص يقال له « امبوجو » Ombogo وكان لوجارد لا يريد الاعتراف بتنصيبه .

واتخذ سليم بك طريقه وبعد وقت أرسل خطابا الى الكابتن لوجارد يقول فيه إنه ابتغاء اقناع امبوجو حلف له يمينا على المصحف أنه لا يناله أقل سوء ما دام يسلم نفسه للكابتن السالف ذكره . وأورد هذا الاخير فى كتابه (المجلد الثانى ص ٤٧٨) ان هذا العمل برهان ساطع ليس فقط على اخلاص سليم بك فحسب بل على ما كان عنده من الثقة فى الانكليز أيضا وأظهره بصبغة أحسن كثيرا من الصبغة التى رآه عليها استانلى وجفسن .

وفى نهاية الأمر أحضر سليم بك قبيل آخر مايو « امبوجو »

وهذا فوض أمره الى الكابتن لوجارد . وقال لوجارد (راجع المجلد الثانى من كتابه ص ٤٩٦) ان سليم بك وشخصا مصريا آخر يقال له احمد افندى أظهرا فى تلك المفاوضات براعة فائقة وذات قيمة لا تقدر وأنه كان من المستحيل أن يدرك غيرهما هذا النجاح (وسنرى فيما بعد كيف جوزيا على هذه الخدمة) .

وصمم الكابتن لوجارد بعد ان عين منطقة للمسلمين على الرجوع الى بلاد الانكليز ليحاول منع إخلاء أوغندة واتخذ سبيله فى السفر فى ١٦ يونيه عام ١٨٩٢ م . فوصل الى ممبسة فى أول سبتمبر وبينما هو سائر فى طريقه صادف فريق الضباط الذين كانوا يشتغلون فى رسم سكة حديد أوغندة المنوى انشاؤها بقيادة الماجور مكدونالد .

وقال الكابتن لوجارد عن هذا الضابط انه رجل كفء غير ان اساليبه فى افريقية لا تتفق مع أساليبه .

وقد ذكرت هنا ما قاله لوجارد عن هذا الضابط لأنى سأضطر الى التكلم عن هذه الشخصية فيما بعد .

وأقلع الكابتن لوجارد فى ١٤ سبتمبر الى انكلترا . وكان معه ابنة سليم بك وكان قد سلمها اليه ليوصلها الى ديار مصر . وكان فى صحبته كذلك كثير من الفارين من مديرية خط الاستواء . ونزل مع من كان بمعيته فى السويس وولى وجهه شطر القاهرة وفيها علم أن الحكومة المصرية قررت أن لاشأن لها البتة بكل من يأتى من تلك المديرية بل ترفض أن تصرف لهم متأخر رواتبهم . فدهش

كثيرا من هذه المعاملة التى لا يصح أن تصدر من حكومة تعرف لنفسها كرامة اللهم الا اذا كانت تريد بعملها هذا ان تكره رعاياها على البقاء فى تلك المنطقة لينتظموا فى سلك جندية غيرها كما حدث فعلا .

ويقول الكابتن لوجارد انه بذل ما فى وسعه فى نظارة الجهادية المصرية لكى ترأف بهؤلاء اللاجئين . ثم يمم انكلترا ووصل الى لندره فى ٣ اكتوبر من عام ١٨٩٢ م . وفيها علم ان اخلاء أوغندة الذى كان قد تقرر ميعاده فى آخر السنة تأجل ثلاثة أشهر ليكون لدى الحكومة الانكليزية الوقت الكافى لأن ترسل مندوبا من قبلها ليحصى الثمار التى يمكن جنيها من ذلك البلد حتى تستطيع عند اللزوم أن تحل محل الشركة .

مهمة السير جيرالد پورتال

وعين السير جيرالد پورتال Sir Gerald Portal قنصل جنرال بريطانيا فى زنزبار والذى كان السكرتير الأول للوكالة السياسية البريطانية فى مصر من عام ١٨٨٣ إلى عام ١٨٩١ م تحت رياسة اللورد كرومر ، قومسيرا بريطانيا وعهد اليه الذهاب الى أوغندة وأن يصحب معه عددا كبيرا من رجال اركان الحرب للقيام بالابحاث اللازمة عن حالة هذا البلد والبت فى شأن القواعد التى يمكن وضعها له من وجهتى الادارة والسياسة . وزود كذلك بأمر مقتضاه أن يحل اذا رأى أوفقية ذلك محل « شركة افريقية الشرقية البريطانية » .

وفى أول يناير من عام ١٨٩٣ م اتخذ طريق زنزبار ووصل الى روباجا عاصمة أوغنـــدة فى ١٧ مارس . وبعد أن أقام فيها أسبوعين وهـــو وقت قصير للغاية لا يكفيه ليفكر فيما يلزم عمـــله أو ما يلزم اجتنابه الأمر الذى يـــدل دلالة واضحـــة على أن القومسير البريطانى كان لديه سلفا تعلـــيمات معينة بالخطـــة التى يجب عليـــه اتباعها ، أنزل فى أول أبريل علم الشركة ورفع محله العـــلم البريطانى وبذلك وضع البلد تحت حماية انكلترا .

وفى غضون اقامة السير جيرالد بورتال القصيرة فى أوغنـــدة قسم أرض المملكة مرة أخرى بين الثلاث الطوائف ونشأ عن ذلك احتجاج الكاثوليك والمسلمين بشدة لترجيـــح كفة البروتستانت فى القسمة . ولم يكترث بالطبع السير جيرالد بهـــذا الاحتجاج وضرب به عرض الحائط . وكتب سليم بك خطابا يطلب فيـــه انصاف المسلمين فقابله السير جيرالد بورتال فى ٢٥ مايو أى قبـــل سفره بخمسة أيام وأفهمه أن هذه مسألة لا تعنيه ولا دخـــل له فيها . وقال السير جيرالد فى كتابه « مأمورية أوغندة ص ٢٣٩ » إن سليم بك وافقه على ذلك . ومن اللازم أن نتذكر هذا القول عند الكلام على ما وقع للماجور مكدونالد عقب سفر القومسير البريطانى تماما .

وكان من بين القرارات التى اتخذها السير جيرالد بورتال أثناء إقامته فى أوغنـــدة قرار بتعيين رئيسين لوزارة الملك على أن المعتاد دواما تعيين رئيس واحد . وغرضه من ذلك إرضاء طائفتى الكاثوليك والبروتستانت إذ جرت العادة أن يكون لكل من الطائفتين وزير أول وأبى أن يتمتع

المسلمون بمثل هذا الشرف .

وذكر السير جيرالد بورتال بالصفحة رقم ٢٤٥ فى مؤلفه الآنف الذكر أنه فى عشية يوم سفره أى فى ٢٩ مايو قابل رؤساء المسلمين مقابلة حدث فيها هرج ومرج وذلك بحضور الملك وفى غضونها أفهمهم أن لا حق لهم فى أية توسعة فى سلطتهم . وكل هذا يدل على أنه ما كان يشعر بمودة نحو المسلمين .

وفى ٣٠ مايو من عام ١٨٩٣ م بارح السير جيرالد بورتال عاصمة أوغندة وعهد مؤقتا بادارة الاعمال الى الماجور مكدونالد . ولا يجب أن يعزب عن بالنا ان هذا الماجور لازمه طول مدة اقامته فى أوغندة . ولو وجد أى شك وقتها فى قيام ثورة كالتى سنأتى فيما بعد على ذكرها لما سافر بالطبع السير جيرالد . ومما يبرهن على ذلك أن السير جيرالد عندما تلقى خطابات من الماجور مكدونالد وهو فى الطريق كتب يعرض على هذا الماجور الرجوع إذا كان هنالك ضرورة تقضى برجوعه .

وفى ٨ يونيه وصل الى السير جيرالد وهو فى طريق السفر خطاب من الماجور ماكدونالد يخبره فيه بهجوم من كباريجا ملك أونيورو على معاقل أوغندة قتل فيه شكرى افندى ضابط أمين باشا الذى جنده عمال الشركة من القاهرة وأخبره أيضا فيه بأن الحالة أمست حرجة .

فأجابه السير جيرالد بورتال أنه فى انتظار أخبار أخرى فى ناحية يقال لها موميا Momia لغاية ٢١ الجارى . وأنه مستعد للرجوع إذا دعت

الحالة الى ذلك . وانتظر فى الواقع الى ما بعد هـذا التاريخ وفى ٢٤ منه تلقى خطابا ذكر فيه أن الحالة تحسنت ولا تستدعى حضوره . وعلى ذلك قوض السير جيرالد معسكره وعاود السير . ولم ترد الى هذه الفترة أخبار بشأن الثورة التى اشتهر أمرها .

وفى اليوم التالى ٢٥ منه جاء السير جيرالد بورتال خطاب من الماجور يقول فيه إنه أتاه خطاب من سليم بك مكتوب بلهجة وقحة وإنه يخشى قيام ثورة من جانب الجنود السودانية وانضمام هؤلاء الى مسلمى الأونيورو الأمر الذى ينشأ عنه ولا بد من اضطراب فى الأمن وخلل فى النظام . وطلب منه الرجوع وفى الحال قفل السير جيرالد راجعا .

وفى ٤ يوليه عندما بلغ السير جيرالد بورتال « موميا » فى طريق الرجوع أتاه خطاب آخر من الماجور مكدونالد يخبره فيه أنه حدث قتال مع المسلمين وانتصر عليهم وقبض على سليم بك وحاكمه وحكم عليه بالنفى وأن فى استطاعته أن يستمر فى طريقه . وأبلغه أيضا أن سليم بك و « امبوجو » الذى بايعه المسلمون ليكون ملكا عليهم وهو ذلك الذى سلم نفسه للكابتن لوجارد بناء على الحاح سليم بك وكذلك بعض رؤساء المسلمين قد أرسلوا مخفورين ليأخذهم القومسير معه الى الساحل . ولمرض سليم بك عجز عن الوصول وتوفى فى الطريق قبل أن يدرك الساحل .

ومن الغريب أن يرى الانسان أن هذه الثورة — هذا على فرض أنها كانت ثورة جسيمة بالمقدار الذى تفضل الماجور مكدونالد وأراد أن يصبغها به — لم يصل خبرها لا الى الماجور ولا الى القومسير قبل

ذلك الحسين ، مع أن الأخير سافر قبل الزعم بحدوثها بزمن يسير . ومن رأينا أن هذه المسألة يمكن اعتبارها من الحكايات الملفقة أو إهمالا صادرا منها . غير أنه يظهر أن تلك المؤامرة لم تحدث فى الواقع إلا فى مخيلة الماجور ومن المرجح أنها ما اخترعت إلا لتدعم بها القضية وتكون من المبررات للاستيلاء على هذه الارجاء .

ولقد قال لنا الماجور إنه جرد الشركة من جنودها الذين كانوا مقيمين فى حصن قاعدة البلد بصفة حامية بدون أن يبدوا أية مقاومة . ثم قال لنا إنه اخذهم الى خندق الحصن ووضع على الافريز المشرف عليه رجالا مدججين بالسلاح . فاذا كان هؤلاء الجنود ذوى مقاصد سيئة فهل كانوا ينصاعون لمن يقتادهم الى خندق الحصن ؟ ان الانسان له أن يشك فى صحة هذا القول .

وبعد ذلك ذهب وفاز على جماعة المسلمين المتجمهرين خارج العاصمة وانتصر عليهم ثم زحف على « بور أليس » Port-Alice وكانت هذه محطة قائمة على بحيرة فكتوريا نيانزا على مسافة عشرين كيلومترا من قاعدة البلد حيث كان يوجد سليم بك مع زهاء ٣٠٠ جندى من السودانيين ودخلها تقريبا وحده وقبض عليه دون أية مقاومة منه أو من الجنود الذين كانوا معه .

فهل يمكن أن يسلم الانسان وقد جرت الأمور هذا المجرى بأن تهمة الثورة هذه كانت جدية ؟ وما الذى كان يمنع سليم بك وعساكره من الانضمام الى المسلمين الذين يقول الماجور إنه هزمهم ، إذا كانوا يريدون هذا الانضمام ؟ الجواب لا شيء بالطبع .

ومما يبرهن على أن هـــذه المسألة لم تبلغ مبلغ الأهميـة التى أراد أن يصورها فيها الماجـــور ماذكره نفس السير جـــيرالد بورتال إذ قال فى كتابه السابق بالصفحة رقم ٢٥٩ إنها كانت نزاعا محليا وذلك بعد أن وصلت اليه تفصيلات ما قد حدث .

ويبدو أن الماجور مكدونالد لم يثر كل هذه الضجة إلا ليتخلص من سليم بك والرؤساء المسلمين . فلقد نالوا من سليم بك ما كانوا يبتغونه وهـو تجنيد العساكر السودانية . وعنـدما تم لهم ما أرادوه منـه أمسى شجا يجب التخلص منه . ووجدوا أن الفرصة سانحة أيضا لازاحة الرؤوس المسلمين وترك البلد خالصا للطوائف الأخرى .

واحتج الكابتن لوجارد فى كتابه (المجـــلد الثانى بالصفحتين رقم ٥٥٩ و ٥٦٠) على هذا التصرف قائلا :

« لم يتصل بأوربا الى الآن ما وقع للمسلمين الذين ظـــلوا باقين . فلقد فوض هؤلاء أمر ملكهم إلى ووضعوه بين يدى واثقين بعدالتنا وانصافنا وطهارة ذمتنا . وهـــذا العمـل فى عرف اهالى أوغنـــدة تـكاد أهميته لا تقـل إلا يسيرا عن كف أيديهـم عن الحـــرب . هـذا وقد نمى الينـا الآن (أى بعـد سفر السير جـيرالد بورتال) أن المسيحيين ظفـــروا بالمسلمين وأقصوهم عن ديارهم . وكان قد داخلنى الأمـل أن هـــذا العنصر الأسلامى يستطيـع أن يصير تحت إدارة حصيفة مصدر قـــوة لا ضعف لحكومتنـا سواء أكان بصفة رعايا مخلصين أمنـــاء راضين بمـا قسم لهـم فى عالم الغيب أم بصفـة عامـــل توازن فى البـلد . وإن كل توسع يمنـح فى الأراضى للطائفـة المسماة : « فرنسا » المدججة بالسلاح يثير بحكم الطبع

حفيظة المسلمين لأنهم يرون أنى عاملت تلك الطائفة بكرم وسخاء أكثر مما عاملتهم .

« ولقد يستدعى تساهل خال من المحاباة كالتساهل الذى جنيت ثماره قبلا إنصاف طائفة الأهالى المسلمين الخطيرة الشأن إنصافا لا يقل عما يمنح لطائفة المسيحيين . وأرى أنه من العدل والصواب رفع الصوت بالشكوى من الحكم على جموع الأهالى المسلمين تلك الشكوى التى تردد صداها فى رسائل القسيسين ومكاتبات (المكاتبين الخصوصيين) . فالكاثوليك والبروتستانت لهم مبشرون يرددون رجع شكاويهم وينشرونها فى اوربا . وفى استطاعة الأولين أن يسارعوا برفع راية حرب أهلية وفى استطاعة الآخرين أن يقاوموا الحكومة بسهولة ويشهروا بها وأوربا لا تردد سوى رجع اصواتهم . أما المسلمون فقد ارتبطوا بالمعاهدة وهذه تحرم استعمال تلك الافعال التى لا تبيحها الأنظمة البريطانية . وذات الأب هيرت Hirth يصرح بأن الكاثوليك يتقلدون الأسلحة . والسير بورتال يقول علاوة على ذلك (إنهم يسرون للملك المداوة بدون داع) . ومع ذلك فالمسلمون متهمون ببث الدسائس وهم مبعدون ومطرودون بينما الآخرون ينعمون بمنح جديدة . إننا وجدنا فى أوغندة لنحكم بدون التفات للمعتقدات وما دام الأمر كذلك فلماذا يحتم علينا القضاء على المسلمين اللهم إلا اذا كان ذلك لعدم وجود مبشرين لهم يرفعون أصواتهم بالشكوى فى عالم الصحافة » . ا ه

أما اتهام سليم بك بالخيانة فهاك الكيفية التى فند بها الكابتن لوجارد

هـذا الاتهام فى كتابه الآنف الذكر بالمجلد الثانى بالصفحتين رقم ٤٧٨ و ٤٧٩ :—

« جاء فى برقيات وردت حديثا أن الكابتن مكدونالد أثبت على سليم بك الخيانة والمؤامرة مع مسلمى أوغندة بقصد إقصاء الانكليز عن هذا البلد كما أثبت عليه تهما أخرى .

« ويؤخذ من التقارير التى وردت لانكلترا أن الريب التى انبعثت فى نفس سليم بك عندما جال فى خاطره أن المسلمين عوملوا معاملة مجحفة لا تعد خيانة . وكان عند ذاك مريضا وفى حالة أشبه بحالات المشرفين على الموت ومع ذلك لم يحل هذا دون صدور الأوامر بتسفيره الى الساحل الأمر الذى كان حتما سببا فى وفاته .

« ومن الحكاية التى رويتها يظهر للعيان أن سليما ظل حيالى مخلصا وأمينا مخاطرا فى ذلك بحياته . وقد تم بهمته وحسن مساعيه الاتفاق مع المسلمين فى وقت كانت الفرصة فيه سانحة له بارتكاب الخيانة وكان السودانيون قريبين منه فى ناحية طورو Toru ومستعدين لاقتفاء أثره والعمل بأوامره بدون بحث ولا جدال . أما طائفة مسلمى أوغندة فكانوا حتما يبادرون بانتهاز هذه الفرصة . ومع كل ذلك ظل مخلصا الاخلاص التام .

« ولقد كنت أعرف ذلك الرجل الذى اشتغلت معه حق المعرفة حتى أنى أستطيع أن أحكم أنه ظل كذلك مخلصا . هذا ولا بد أن يكون سليم بك قد خرج خروجا غريبا عن جادة الصواب لتحوله عن

مبدأ ذلك الاخلاص الذى بلغ فيه شأوا بعيدا ليسلك مسلك العداوة والبغضاء وذلك فى الوقت الذى كان يساوره فيه رسول الموت . وزعموا أن سليما شط به الفكر فى تقدير نفوذه ومكانته فاندفع فى ذلك الطريق طريق البغى والعدوان لما رآه من معاملتى أنا والكابتن ويليامز له . وقالوا انه لا يليق معاملة مرؤوس أجير بهذه المعاملة . ولكن سليم بك لم يكن عندما كنا فى أوغندة ضابطا منتظما فى سلك الجندية بل كان حائزا لرتبة بك فى الجيش المصرى — وهى رتبة سامية — وظلت مناطق شاسعة تحت قيادته منذ سنين . ومعاملته بمعاملة ضابط صغير أمر مستهجن . وكان من المتفق عليه بيننا أن يرجع الى مصر . وكان عندما يتم تجنيد السودانيين ينبغى عليه أن يزايل البلد بلا نزاع . أما فيما يتعلق بشخصى فيحزننى أن أفكر فى أمر ذلك الرجل الذى أزمن فى الخدمة والذى اختاره غوردون لقيادة مرولى والذى بهمته ومهارته نجت دوفيليه من السقوط . ولم يثبت عليه الى هذه الساعة أية خيانة وهو فى معمعان انحلال جيوش السودان ، ذلك الرجل الذى برهن على اخلاصه لى معرضا حياته للخطر . وانى أعرف أنه أكره على السفر بغتة وهو مشرف على الموت مسلوب الكرامة مغضوب عليه ليقضى عليه فى الطريق سجينا محكوما عليه بالاعدام من غير مدافعة ولا مرافعة » . اه

ومن جهة أخرى فان الكابتن لوجارد الذى ترقى الآن الى رتبة لورد نوه كذلك حديثا فى محاضرة ألقاها بصدد تلك الناحية بذكرى سليم بك وأشاد بما كان له من المنزلة والاحترام ونشرت هذه المحاضرة فى العدد السادس الصادر فى لندره فى شهر ديسمبر عام ١٩٣٠ م

من جريدة : « Geographical Journal » بالمجلد السابع والستين . وهذا أمر يستوجب له المديح والثناء .

وهاك ما قاله :—

« . . . . وأزيد على ذلك فقط اننا ضممنا الينا السودانيين وأمكننا أن نرتبط معهم بعلاقات ودية . فاخلاص هـؤلاء بقيادة رئيسهم الطاعن فى السن لحاكمهم الخديو الذى قاتلوا المهدى والدراويش فى ظلال رايته مدة خمسة عشر عاما كما كانوا يقولون ، لهو اخلاص يحـرك العواطف ويثير الحنان فى النفوس . ولقد مر أربعون عـاما ومع ذلك فأنى لا أستطيع أن أحتمل أن تمر بمخيلتى ذكرى الظروف التى انبنى عليها نهاية خدماته المترعة بالبسالة والاقدام » .

ومن ناحية أخرى فان الماجور مكدونالد ذلك الرجل الذى كان وجوده يناسب جيل الصليبيين أكثر مما يناسب جيـل العصر الحاضر قال مفتخرا بصنعه فى الصفحة الأخيرة من كتابه « التجنيد والخدمة فى شرق افريقية البريطانية Soldiering and Surveying in British East Africa » ما يأتى :—

« لقد كان من حسن حظى وأنا قومسير مؤقت أن أعمل بصفة قطعية على ملاشاة آخر مجهود تبذله الهمجية الاسلامية لطرد النفوذ الاوربى ومشروعات المبشرين والتمدن » . اه

وردا على ما ذكره الماجور مكدونالد أقول :—

ألم تك مع هذا حكومة أولئك « المسلمين الهمج » هى التى أرسلت المبشرين الى قلب أوغنده التى طردوا منها المسلمين وآوتهم فى محطاتها واستقبلتهم استقبالا رسميا باهرا وأدت التشريفات العسكرية لهم (راجع روايات المبشرين ولسن وفلكن) مع انهم كانوا ذاهبين ليبشروا بدين مناقض لدينهم ؟ !

وهل لو اجتاز مشايخ من مشايخ المسلمين أرضا لدولة مسيحية لينشروا دينهم كانت هذه الدولة تعاملهم بتلك المعاملة التى عومل بها المبشرون ؟

وهل تلك البعثات المسيحية المختلفة الاجناس التى كانت ضاربة فى قلب السودان أيام حكم مصر بقصد تنصير رعايا مصر من الامور التى تكون محتملة فى بلد خاضع لحكم دولة مسيحية ؟ !

كل هذه أسئلة تحتاج الى أجوبتها .

ويبدو من ناحية أخرى أن الماجور مكدونالد متصف بصفات لا يقره عليها دواما رفاقه وذلك لأنه عدا ما ذكره عنه الكابتن لوجارد من أن أساليبه فى افريقية لا تتفق مع أساليبه ذلك القول الذى سبق تدوينه فقد عثرنا فى « كتاب حوادث افريقية Africa Incidents » للماجور ثروستن بالصفحة رقم ٨٢ بصدد الثورة التى اشتهر أمرها على ما يأتى :

« ويبدو أن پورتال لسبب ما وجد مانعا يحول دون تسليم عهدة الحماية الجديدة ـ وذلك ريثما يصل خلفه ـ الى موظف كان سابقا فى

خدمة « شركة افريقية الشرقية البريطانية » فعين بصفة مؤقتة الكابتن مكدونالد قومسيرا وترك له تعليمات وافية فيما يتعلق بالسياسة الواجب اتباعها .

« وضرب مكدونالد مع ذلك بهذه التعليمات عرض الحائط واطرحها ظهريا وسار على خطة خاصة به . وهكذا قبل أن يتجاوز پورتال ١٥٠ ميلا فى سفره صوب الساحل أتته الاخبار بحدوث قلاقل فى « كمپالا » Kampala ولذا أجل سفره وأرسل مددا لقاعدة البلد » . اه

ولاية الكولونيل كولفل
وتجنيد فرقة فضل المولى بك

لما رفع السير جيرالد پورتال الراية الانكليزية على أوغندة وأعلن الحماية البريطانية على البلد طلب من حكومته إرسال أربعة ضباط لهم المام باللغة العربية وسبق لهم الخدمة مع جنود من السودانيين وذلك بقصد أن يتولوا رياسة جنود مصر السودانيين الذين جندهم الكابتن لوجارد بواسطة سليم بك وأحضرهم إلى أوغندة واشترط ان تكون رتبة أحدهم راقية ليعهد إليه إدارة شؤون البلد .

وهذه الاوصاف لا تنطبق بحكم الطبع إلا على الضباط الذين أدوا خدما فى أورط الجيش المصرى السودانية وعلى ذلك وقع الاختيار على أربعة من هؤلاء وأرسلوا إلى أوغندة وهم : الكولونيل كولفل Colvile والكابتن جيب Gibb وبيزانت Besant وترستن Thruston .

وسافر هؤلاء على الأثر ووصلوا إلى زنزبار فى ٣١ اغسطس عام ١٨٩٣ م وبارحوها فى ٤ سبتمبر . وفى أثناء الطريق وقع أحدهم وهو الكابتن

بيزانت فى مخـــالب الامراض ولعـــــدم إمكانه مداومـة السير ترك فى محطة من محطات الشركة ليرجع الى بلاده بعد إبلاله . واتصل بالكولونيل كولفـل وهـو فى الطـريق فى إحدى محطـات الشركة ان السير جيرالد بورتال الذى كان يظن أن يقـابله فى طريقه والذى كان يحمل باسمه رسائل ، قـد سلك طريقا آخـــــر ومر منذ عشرة أيام . ولما كان أرقى الأربعـة فى الرتبـة فتح تلك الرسائل ووجــــد فيها التعليمات اللازم تبليغها إياه ومن بينها أمر بتسليمـه مقـاليــــد الأمور وارجاع الماجور مكدونالد إلى بلاد الهند . واستمر هو ورفيقاه الاثنان سائرين إلى أن دخلوا قاعدة أوغندة فى ١٠ نوفمبر .

وليس من موضوع كتابنا هـذا بيان ما عمله الـكولونيل كولفل فى مدة ولايته . بل أريد أن أذكر فقط الاعمـال المتعلقة بجنـود مصر هؤلاء الجنود الذين أخذوا منها بقصد أن يسلب بهم أكبر مديرية من مديرياتها منفعة وأكثرها لزوما لها . أما فيما يختص بالـكولونيل كولفل فانى أكتفى بالقول انه أعلن الحـرب بهؤلاء الجنود على كبـاريجا ملك الأنيـورو ورتب خطا أقام به نقطا حربيـــــة احتلها هؤلاء الجنود . وهذا الخط يبتدىء من أوغندة وينتهى عند كيبيرو الواقعة على ضفة بحـــــيرة البرت نيـانزا الشرقية والتى بها الملاحات الشهيرة . تلك الملاحات التى يعود منهـا كما سبق القول على كباريجا ايرادات عظيمة .

وأرسل الكولونيل كولفل فى ينـاير عام ١٨٩٤ المـاجـور « أون » Owen وهو ضابط من الضبـاط الذين قـدموا مع السير جـــيرالد بورتال وظل مقيما بالبــــلد ، إلى وادلاى وهى آخر قاعدة اتخــــذت لمديرية خط

الاستواء . وكان يريد من وراء ارساله أمرين : الأول أن يرفع على هذه الناحية العلم البريطانى والأمر الثانى تجنيد فضل المولى بك وفرقته التى كان المظنون انها فى وادلاى وذلك بالطريقة التى جندت بها فرقة سليم بك .

ووصل الماجور أون الى وادلاى ورفع الراية الانكليزية على الحصن المصرى القديم وجند خمسين رجلا من الاهالى الذين يمتلكون بنادق فى خدمة الحكومة الانكليزية ليؤلف منهم حرسا لمنع التعدى على تلك الناحية التى وضع يده عليها ثم قفل راجعا الى أوغندة بدون ان يعثر على فضل المولى بك أو فرقته . وكل ما قيل له انه يوجد فريق من الدراويش على مقربة من الجهة آخذا فى التقدم .

وأقام الكولونيل كولفل عندما رتب خط النقط الحربية لغاية بحيرة البرت نيانزا معسكرا رئيسيا فى بقعة يقال لها « أهواما » Hoima على مسافة ٣٠ كيلو مترا تقريبا شرقى البحيرة وفيه حشد معظم العساكر السودانيين ونصب عليهم الكابتن ترستن قائدا . وكان هذا القائد قد خدم فى الجيش المصرى .

وفى مارس عام ١٨٩٤ م نمى إلى هذا الضابط من بعض الاهالى ان قوة كبيرة من الجنود السودانيين معها جملة أعلام قدمت واحتلت « مهاجى » القائمة على ضفة بحيرة البرت نيانزا الغربية وكانت قبلا محطة من المحطات التى ابتناها أمين باشا . وأول فكرة طرأت على ذهنه ان هؤلاء لا بد ان يكونوا الدراويش الذين اتصل خبرهم بالماجور أون لما كان فى وادلاى . فقام ترستن فى الحال الى كيبيرو حيث كان يوجد مركب

مصنوع من الصلب وموضوع فى البحيرة فأبحر فيه وولى وجهه فى بادىء الأمر الى ناحية قريبة من مهاجى ليستقى أخبار أولئك الذين قدموا حديثا . فعلم من الاهالى ان عددا كبيرا من الجنود الزنوج ومعهم كثير من الامتعة وكثير من الرايات ومدفع ورجل من البيض أتوا من ناحية الشمال ووصلوا الى « مهاجى » فاستنتج الكابتن ترستن من وجود الرجل الابيض بينهم انه قد يجوز ان يكونوا من جنود شرق الكنغو بقيادة ضابط من البلجيك .

وعندما اقترب الكابتن ترستن من مهاجى ظهر له عدد من الاكواخ وأناس سود يغدون ويروحون فى كل صوب وناحية ولمح كذلك عددا كبيرا من الاعلام منتشرة على شاطىء البحيرة . وبما أن عدم النظام فى كل هؤلاء الجنود يدل على أنهم غير تابعين لأمة متمدنة أخذ الخوف يدب فى قلب الكابتن ترستن ظنا منه أن يكون هؤلاء هم الدراويش الذين فكر فيهم فى بادىء الأمر فوجه اليهم بعض طلقات عالية من مدفع المكسيم الذى كان معه غير انهم لم يجاوبوه عليها . وتأكد بهذه الطريقة انهم لم يكونوا من الدراويش فاقترب من الضفة ورأى جليا انهم رافعون العلم المصرى والموسيقا تعزف السلام الخديوى . واصطفت الجنود واصدر لهم القائد الأوامر باللغة التركية المستعملة فى الجيش المصرى التى يعرفها الكابتن ترستن .

واقترب الكابتن ترستن من الشاطىء ونزل إلى البر واستقبل بكل أنواع الحفاوة العسكرية مع النفخ فى البوق والقرع على الطبول . وبعد ذلك حضر لمقابلته أربعة ضباط من السودانيين متوسطى السن متشحين

بثياب بيضاء نظيفـــة وأوصلوه إلى حديقـة حيث قدمت له القهوة وقـــدم اليـه كافة الضباط . ولما كان الليـــل قد أخـــذ يرخى سدوله طلب الكابتن ترستن الانصراف ليـــترك لهـم وقتا لتـأدية فـــروض الصلاة وقال لهم إنه يأمـل ان يراهم فى اليـــوم التالى ويتفـاوض معهم فيما يتعلق بالاشغـال مؤمـــلا الوصـول الى اتفاقيـــة ترضى الطرفـــين ثم ذهب الى مضربه . وفى الغـــد أتوا بجمعهـم ليزوروه وقصوا عليـه ما وقـــع لهـم . وهاك ما قالوه :

لما تركهم أمين باشا انقسمت جنوده شطرين : أحـدهما بقيادة سليم بك وقد ذهب إلى كافاللى ونزل بها ومنها جنـده الكابتن لوجارد . والثانى بقيادة فضل المـــولى بك وقد انصرف الى الاطيان الخصبة الواقعة شرق وادلاى وأقام بها . وهناك زارهم الكابتن فون كركهوفن Von Kirkhoven البلجيكى وكان قد أتى من ولاية الكنغو بجندهم باسم هـذه الولاية وذهب بهم غرب النيل . ثم قتل الكابتن فون كركهوفن قضاء وقدرا بيد خادمه وخلفه ضابط بلجيكى أيضا يقال له دولاج De Laages وهـــذا أدركته المنيـة بعد الأول بزمن يسير ثم تولى القيادة بعده ضابط آخر بلجيكى يسمى بيرت Beart . وتلقى هذ االضابط عندئذ تعليمات مقتضاها اقامة نقطة حربيـة فى وادلاى وأرسل كافة جنوده السودانيين لتنفيذ هذا الأمر . وكان عددهم يبلغ ٧٠٠ جندى فسافروا على دفعتين بين الأولى والثانيـــة خمسة عشر يوما . فالفصيلة الأولى وكانت منقسمة إلى بلوكين بقيادة فضل المولى بك التقت بالدراويش بقـــرب وادلاى ودارت بينهما رحى الحرب فكانت النتيجة إبادة الفصيلة تقريبا برمتها وقتـــل فضل المولى بك ومن سلم من الموت أخـذ أسيرا . أما الفصيلة الثانية المكونة من البلوكين الآخرين فوصلت إلى وادلاى

وأقامت فيها . وهـــذه هى الجنود التى أخبر عنها أهالى هذه الناحية الماجور أون قائلين إن قوة من قوات الدراويش آخـــذة فى الاقتراب وذلك عندما أتى إلى وادلاى ليرفع الراية البريطانية . وبما أنهم كانوا لا يحصلون على القوت فى هـــذه الناحية إلا بمشقة هجروها وأتوا للاقامة فى مهـــاجى الواقعة على شاطىء البحـــيرة وفى هذه الناحية عثر عليهم الكابتن ترستن ومع ذلك فهؤلاء لم يكونوا إلا نصف القوة فقط أما النصف الآخر فمعسكر فى الجبال على مسافة بضعة أيام .

وقال لهم الكابتن ترستن ان الكابتن بيرت لابد ان يكون قد أخطأ لأن البلد الذى هم فيـــه من ممتلكات انكلترا وانه على ذلك لا يستطيع مطلقا ان يسمح لقوة مسلحة يظلها علم أجنبى ان تقيم فى هذه الارض وان من أبسط الأمور وأهونها لهم ان ينتظموا فى سلك الجندية مع انكلترا . فقالوا انهم يقبلون ذلك بطيبة خاطر لا سيما انهم لم يصلهم من البلجيكيين سوى راتب سنة واحـــدة وان هذه السنة قد انقضت . فسلمهم الكابتن ترستن راية انكليزية رفعـــوها وحيوها بالسلام الملكى . وبعد ذلك دعوه لزيارة معسكرهم فلبى دعوتهم وحيوه عند وصوله الى ذلك المعسكر بطلقات البنادق . ومن هذا الكابتن علموا بوفاة الخـــديو توفيق . وتبين عندئذ أن الرجل الأبيض المرافق لهم وخاله الكابتن ترستن ضابطا بلجيكيا هو كاتب مصرى الجنس أشقر اللون كان معهم وان هـذا على ما يظهر لعب دورا هاما فى مسألة تألب الجند على أمين باشا .

وقال لهـم الكابتن ترستن انه أزمـــع الذهاب ليتكلم مـع رئيسه الكلونيل كولفل بصدد الاتفاق الذى عمـــل معهم وانه سيرجع اليهم بعد

شهر ومعه ما نزوده به من التعليمات . وانه يجب عليهم ان يستحضروا فى غضون هذا الشهر نصف جنودهم النازلين فى الجبال .

وعاد الكابتن ترستن إلى معسكره فى أهواما وأرسل فى الحال بلاغا الى رئيسه الكولونيل كولفل بما أجراه . ولما كان هذا الرئيس محتاجا الى الجنود وأخذ يبحث عنهم من أمد طويل وأرسل الماجور أون من أجل هذا الغرض إلى وادلاى ، بادر الى انتهاز هذه الفرصة التى سنحت له وأرسل فى التو والساعة إلى الكابتن ترستن أمرا بتجنيدهم وارسالهم إلى أوغندة مع أتباعهم .

وسافر الكابتن ترستن بلا توان فى أول مايو عام ١٨٩٤ م ومعه يوزباشى سودانى من أولئك الذين كان الكابتن لوجارد قد جندهم يقال له ريحان افندى راشد وكان قد خدم فى الزمن السابق بصفة راسلة لغوردون باشا عندما كان مديرا عاما لمديريات خط الاستواء . ويقول الكابتن ترستن إنه كان رجلا ماهرا محبوبا من الجنود وكان يخال عند أخذه معه ان يستخدمه كوسيط لتمهيد المشكلات إذا وجد شيئا من هذا القبيل .

ووصلا إلى مهاجى وقابل الأهالى الكابتن ترستن بالتشريفات المعتادة . وبلغهم شروطه فقبلوا بها واشترطوا لذلك ان يقبل بها البكباشى احمد افندى على الذى حل محل فضل المولى بك والذى كان مع الفصيلة الأخرى . وهذا الضابط كان عند ذاك يوزباشيا ولعب دورا هاما فى مسألة التمرد على أمين باشا . وقد قال ريحان افندى راشد ان احمد افندى هذا ـ وكان له به معرفة ـ رجل مستبد صلب الرأى له نفوذ كبير على العساكر وهؤلاء يعتبرونه كملك فتشاءم الكابتن من ناحية هذا الرجل لا سيما وانه يمتلك عددا كبيرا

من الرقيق ذلك الأمر الذى لا يمكن احتماله وغض النظر عنه فى أراض تحكمها بريطانيا .

ووصل احمد افندى على هو وجنوده وأتباعه بعد أربعة أيام . وعند اجتيازه المعسكر حاول الكثيرون ممن كانوا به أن يقبلوا يده . ووجده الكابتن ترستن - وكان قد قابله - رجلا مهذبا وبعد التحيات المعتادة طلب احمد افندى على منه الانصراف لأنه متعب وقال انه سيرجع وقت العصر ليزوره .

ولاحظ الكابتن ترستن ان عدد الرايات المصرية يفوق عدد الرايات البلجيكية كثرة بين أولئك الجنود . ويفهم بسهولة من هذا الامر انهم شديدو التعلق براياتهم المصرية القديمة أكثر من تعلقهم بالأعلام الأخرى . وحالما لاحظ ذلك جال فى خاطره أنه فى استطاعته الاستفادة من هذا الشعور وعلى هذا رفع علما مصريا بجانب العلم الانكليزى الذى كان يخفق أمام سرادقه وترك جانبا القبعة التى كانت على هامته وارتدى طربوشا وأخرج من حقائبه براءة تعيينه ضابطا فى الجيش المصرى ووضعها فى جيبه .

ومن حيث أن هذا الضابط توسل بهذه الطريقة ليخدع العساكر المصرية ويجندهم فى خدمة الحكومة الانكليزية فقد تاقت نفسى أن أخرج شيئا قليلا عن موضوعنا هذا وأنقل ما ذكره هو ذاته فى كتابه « حوادث افريقية ص ٧٦ » عند نهاية خدمته فى الجيش المصرى بصدد الطربوش الذى وضعه الآن على هامته .

وهاك ما قاله :

« فى أوائـــل شهر مايو عام ١٨٩٣ م أبحرت من الاسكندرية وعندما دارت بى الباخرة حول الميناء ألقيت طربوشى فى البحر مع شىء من الكفران بالنعمة وانكار الجميل ولكن بدون أدنى ذرة من الاسف » . اه

وانى اذا ذكرت هنا ما قاله هذا الضابط فما ذلك إلا لأبين لأبنـــاء وطنى شعور بعض الأجانب حيـــال مصر التى أكلوا زادها وشربوا ماءها وألحقوا بخدمتها .

ولنرجع الآن الى موضوعنا وما يأتى أدهى وأمر :ــ

وفى الساعة الرابعة قدم البكباشى احمد افنـــدى ومعه كبار ضباطه والكاتب المصرى . وبعـــد أن أمرهم الكابتن ترستن بالجلوس قال للبكباشى احمـــد افندى على انه أرسل فى طلبهم لأنه لا يريد أن يبقى فى هذه الناحية لا هو ولا جنوده وانه ينبغى عليهم أن يأخذوا متاعهم غدا ويقتفوا أثره .

وسأله احمد افندى على من هو وما هى السلطة التى له عليه ؟

فأجابه ترستن انه المتولى القيادة فى كل الاراضى البريطانية التى فى منطقة النيل وان حاكم أوغندة الانكليزى أصدر له تعليمات بأن لا يسمح له بالاقامة حيث هو مقيم الآن وبما انه دخل فى بلدهم فصار بحكم دخوله هذا يأتمر بأوامره .

فأجاب احمد على ان البلد ليست ملكا للانكليز وانه تلقى أوامر

بالمجيء الي حيث هو مقيم الآن وانه مصر على البقـــاء فى النقطة التى هو نازل فيها .

وطلب منـــه ترستن ان يعـــرفه الممالك للأرض التى يقـــيم فيها بحسب فكره .

فأجابه احمد على ان كل هـذه البـــلاد كانت قبلا ملكا لأفندينا (الخديو) وهذا تخلى عنها . أما الآن فهو لا يعرف الممالك ولكن البلجيكيين أرسلوه ليحتلها .

فقال له ترستن انه لم يحصل شيء من هـذا وأن الخديو لم يتخل عن هذه الاراضى بل كلف الانكليز باحتلالها الى ان يروق له استرجاعها .

وبعد ذلك تبادلا الحديث الآتى وقد ورد فى كتاب ترستن الآنف الذكر بالصفحتين رقم ١٧٩ و ١٨٠ وها هو :ـــ

سأل ترستن احمد على فقال : هل أكون قد أصبت كبد الحقيقة اذا رأيت فيك بكباشيا مسلما وهل تفضل ان أسميك اسما آخر ؟

فأجابه احمد على : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . . الخ . .

فقال ترستن : أظن ان المسلمين المتمـدنين أو رعايا الامبراطـورية العثمانيـة يعتبرون على كل حال أن مولانا السلطان بمنزلة خليفـة الرسول وامام المسلمين . فهل هذا حق أو السلطان شيء آخر ؟

فأجاب احمد على : انه لم يك شيئا آخر .

فسأله ترستن : وهل من واجبات المؤمنين الامتثال لأوامر السلطان أو لأوامر ملك مسيحى أجنبي ؟

فأجابه احمد على : كلا ! بل لأوامر السلطان بلا نزاع .

فقال ترستن : والملك النصرانى ليس له عليهم حقوق بالطبع ؟

فأجاب احمد على : نعم ليس له عليهم أى حق .

فسأله ترستن : وهل يباشر أمير المؤمنين بنفسه السهر على كل قسم من أقسام الشعوب الاسلامية أم يباشر ذلك بواسطة مندوبين ينتدبهم للبقاع البعيدة ؟

فأجاب احمد على : أرى انه يصرف الأمور فى الامبراطورية كما ذكرت .

فقال ترستن : ولكن لا يلزم ان ندع أى شك يحوم حول هذا الموضوع . إذ من الجائز أنى لم أعبر عما أريد بكيفية واضحة . فهل تعيين الأمراء أمر شرعى أو من الاشياء المحرمة ؟

فأجاب احمد على : انه بالبداهة أمر شرعى .

فقال ترستن : أوليست طاعة الأمراء فرضا واجبا على المؤمنين ؟

فأجاب احمد على : بلى إنها من فروض الاسلام .

فقال ترستن : وهل افندينا أمير من أمراء السلطان ؟

فأجاب احمد على : نعم هو كذلك .

فسأل ترستن : وهل تجب اطاعة أوامره ؟ .

فأجاب احمد على : بكل تأكيد » . اه

وبعد ذلك أخرج ترستن براءة تعيينه ضابطا وعليها بصمة ختم الخديو ووضع هذه البصمة على جبينه ثم أعطاها لأحمد على وقال له اقرأ أوامر أفندينا واعمل بها .

وأخذ احمد على البراءة وبعد ان تلاها قبل الختم ووضع البراءة على رأسه ثم أعطاها للكاتب الذى بعد ان عمل مثل ما عمل قرأها وقرر أنها براءة حقيقية من الخديو .

ونهض عند ذلك احمد على وأقبل على ترستن ليقبل يده غير ان هذا أبى وقال نحن الآن رفاق وأنا لا أقبل ذلك . فقال له احمد على انه صار الآن مستعدا ان يتوجه إلى حيث يأمره وانه يطلب منه فقط ان يأذن له بأربعة أيام يجمع فى خلالها الاقوات فسمح له بذلك .

ويرى من هذه القصة ان هذه الفصيلة كانت تريد دواما مثل فصيلة سليم بك ان تظل مخلصة لعلم بلدها مصر . وانما تخلى الحكومة عنهم والمناورات التى توشك ان تكون مجردة من الصدق مثل المناورة التى أتيت توا على ذكرها ، هى التى أكرهتهم على الدخول فى خدمة الحكومات الاجنبية .

ومن المهم ان أكرر هنا ما حدث بعد ذلك لأحمد على ليكون فى ذلك

عبرة لمن يعتبر . فلقد حدث له ما حدث لسليم بك وبعد ان جندت عساكره أمسى فضلة لا خير فيها ولا شيء يرجى منها . وعندما وصلت فصيلته الى أوغندة عزل من القيادة وأعطى قطعتين صغيرتين من الارض ليتولى زرعهما بدون أن يعين له راتب أو معاش حتى ولا خدم . وقال ترستن ان آخر مرة رآه فيها كان يربح معاشه من تجارة الماعز . وقال علاوة على ما ذكر انه رأى من الشهامة ورحابة الصدر ان لا يوجه اليه أية ملامة . وللقارىء أن يحكم أى الضابطين الانكليزى أو السودانى أحق بتلقيبه بلقب ضابط .

ولما هبت ريح ثورة الجنود السودانية فيما بعد انضم اليها احمد على وقتل فى معركة من المعارك التى شنوها عليهم الانكليز .

وقد تم سفر هذه الجنود حسب الاتفاق . فنقل الى أوغندة ٥٠٠٠ خمسة آلاف نسمة وهناك أمر الكولونيل كولفل الماجور كننجهام Cunningham الذى تولى فيما سلف قيادة الأورطة الثالثة عشرة السودانية فى الجيش المصرى وكان ترستن ملحقا فى الخدمة بهذه الأورطة أيضا ، بفرز هؤلاء الناس .

وهاك نتيجة هذا الفرز :

٣٠٠ جندى سليمى البنية متعلمين تعليما وافيا و ٥٠ طاعنين فى السن غير صالحين للخدمة و١٠٠٠ شاب من عبيدهم يمكن تجنيدهم وجعلهم جنودا صالحة .

وحدثت جملة وقائع مع كباريجا ملك الاونيورو فى غضون عام ١٨٩٤ م

بدون حصول نتيجة يركن اليها أو يعول عليها . وكافـــة المحاولات التى بذلت فى سبيـل أسره ذهبت هبـــاء وفشلت . وبارح الماجـور مكدونالد أوغندة فى يونيه وبارحها الكولونيل كولفل فى آخر السنة وذلك بعد أن أصيب بمرض بالـغ فى الشدة لدرجة أن دعت الحالة الى حمله طـول الطريق حتى وصل الى الساحل . وعنـد سفره فـوض للمستر جاكسن Jakson وهو من الموظفـين الملكيين القيام بشؤون وظيفتـه . وسافر الكابتن ثرستن كذلك من البلد فى فاتحة عام ١٨٩٥ م واشترك فى حمـــلة دنقلة مع الجيش المصرى ثم رجـع الى انكلترا ، وعاد الى أوغنـدة فى أبريل من عام ١٨٩٧ م أى فى السنة التى اندلع فيها لهيب ثورة الجنود السودانية الكبرى التى سنأتى على وصفها بعد . وأخـذه هؤلاء الجنود أسيرا هو واثنين آخرين من الضباط الانكليز وأعدموه الحياة .

ثورة الجنـــود السودانية
فى أوغنـدة

لم يتوصل الماجور ثرستن بحكم الطبيعة أن يذكر فى كتابه « حوادث افريقية » شيئا عن ثورة الجنود السودانية التى لقى فيهـــا حتفه . غير أن أخاه الذى نشر هذا الـكتاب دون فى آخـره فصلا سماه « التالى » ذكر فيه أسباب هـــذه الثورة وتطوراتها على اختلافها . وبما أن أخاه قتل بيد هؤلاء الجنود فلا مجال للقول إنه كان يكتب ليدافع عنهم أو انه كان ميالا اليهم . ولذلك ينبغى لنا عندما يكتب شيئا مخففا لوقع خطئهم أو يحمل المـــرء على أن يلتمس لهم العذر فى أفعالهم ، ان نعتقد بصحة ما كتب . وعلى هذا وقع اختيارى على كتابه دون سائر كتب المؤلفين الآخرين الذين كتبوا فى هذا

الموضوع . فمن هذا الكتاب استقيت أكثر المعلومات التي سيأتي ذكرها . هذا ومما زاد نيران هذه الثورة اشتعالا اشتراك موانجا ملك أوغندة فيها وقيامه على السلطة البريطانية بسبب معاملتها له معاملة مزرية وذلك بتحديد سيطرته وتدخلها فى تصرفات بلاطه حتى فى أمور نسائه كما قال شقيق الماجور ثرستن بالصفحة رقم ٢٨٧ . ومع ذلك فقد وقع فى الأسر فى آخر الثورة هو وكباريجا ملك الاونيورو [١] وأرسل كلاهما الى جزر سيشل حيث قضيا بقية حياتهما .

وكان عدد جنود فصيلتى سليم بك وفضل المولى بك الذين جندتهم السلطة البريطانية للخدمة فى أوغندة يبلغ زهاء ١٠٠٠ جندى . وهذه الجنود هى البقية الباقية من حامية مديرية خط الاستواء . وكانت هذه الجنود عندما تقوم بغارات لجلب الأقوات تستولى كذلك على عدد وافر من الزنوج وتحتفظ بهم وتضرب عليهم الرق . ولذلك ازداد عدد الفصيلتين السالف ذكرهما حتى بلغ وقت ارسالهما الى أوغندة ١٠٠٠٠ نسمة تقريبا بما فى ذلك أسرهما وأرقاؤهما . وكان من بين هذا العدد فريق يصلح للتجنيد . ففى وقت فرز فصيلة فضل المولى بك كان يوجد كما قيل ١٠٠٠ من أولئك الأرقاء يصلحون للخدمة العسكرية . وبالتحقيق كان يوجد مثل هذا العدد فى الفصيلة الأخرى التى كان يقودها سليم بك فكانت الحكومة البريطانية كلما حدث فراغ فى الصفوف أو أرادت ازدياد تلك القوة تلجأ الى تجنيد أولئك العبيد وبهذه الوسيلة بلغ عدد الجنود فى أوغندة ١٦٠٠ جندى عام

---

(١) — السير جفرى ارتشر Geoffrey Archer الذى كان حكمدارا للسودان وكان قبل هذه الوظيفة مقيما فى أوغندة سمح لكباريجا بالعودة الى بلاده ولكن كباريجا لم يصل اليها ومات فى أثناء الطريق ما بين زنزبار وأوغندة .

١٨٩٧ م أى فى السنة التى هب فيها ريح الثورة .

ويبـــدو أنه عنـدما رجـع الماجـور ترستن الى أوغنـدة فى أبريل عام ١٨٩٧ م بعد أن غاب عنها عامين وجد كما قال أخـوه بالصفحة رقم ٢٩٤ الجنود فى حالة استوجبت اشفاقه وحنانه . فكان راتب الجنـدى الشهرى أربع روبيات بينما كان الحمال يقبض ١٢ روبية وعلاوة على ذلك كانت رواتبهم متأخـــرة ستة أشهر عند قدومه . وكساويهم المتعين صرفها لهم سنويا يظهـــر أنها كانت تصرف إليهم بغير نظام . لأن الحالة التى كانوا عليها يلوح انهـــا كانت أسوأ من حالتهم يوم أن قدمـــوا الى أوغنـــدة . وقد يدهش المرء حيال الانتقادات التى توجه الى الادارة المصرية عنـــدما يرى أن عساكرها بعـد انفصالهم عنها مـــدة سبع سنوات فى ثياب أحسن حالا مما كانت بعـد أن قضوا نفس هـــذه المدة فى خدمة الانكليز .

أما المسافات التى كانوا يقطعونها ذهابا وإيابا فكانت على ما يظهـر بعيـــدة عن حـد التصديق كما جاء بالصفحة رقم ٢٩٥ . فقد كانوا يلبثون شهورا متنقلين بهذه الكيفية بدون أن يروا أسرهم لأنهم كانوا يرسلون تارة ذات اليمـــين وطـورا ذات الشمال اما لقمع تمرد قبيلة أو لحراسة قافلة وذلك بصرف النظـر عن المعاملة الشديدة الصارمة التى كان يعاملهم بها الماجـــور ترنان Ternan . وهـذا الضابط من الذين خـدموا ايضا فى الجيش المصرى . ومـع ذلك فرغم هـــذه المعاملة التى لا تتفـــق إلا قليــــلا مع ماتوجبه الانسانية ظل هؤلاء الجنود مخلصين وقاتلوا مخاطرين بأرواحهم جنود ولاية الكنغو المتمردين أولئك الجنود الذين قتلوا ضباطهم

وكانوا ينوون دخول أوغندة .

ويستطيع الانسان وهذه حالتهم أن يتصور حالة أفكارهم عندما أخبروا أنهم على وشك أن يباشروا القيام بحملة ذات أمد طويل وغير معين ويجوز أن يكون سنة أو سنتين أو أكثر . ومما زاد الطين بلة أنهم علموا أن الماجور مكدونالد ذا الذكرى المشئومة والذى كان قد بارح البلد سيرجع هو نفسه اليها ويتولى قيادة هذه الحملة . ويبدو أن العساكر كانوا فعلا تغلى مراجلهم احتداما من هذا الضابط بسبب المعاملة الفاشمة التى أصلى بنارها كما سبق القول قائدهم قديما سليم بك مطر بالحكم عليه وبنفيه مع المرض الذى كان يئن من آلامه حتى أنه مات فى الطريق .

ومن المستحسن قبل ان نسير شوطا بعيدا فى موضوع هذه الثورة أن نبين ماهية هذه الحملة والغرض منها فنقول :ـ

ان السبب الذى أبدوه رسميا عند اعادة فتح السودان هو أنه على أثر الضغط الذى كان يقوم به الدراويش على الايطاليين فى كسلا طلب هؤلاء من الحكومة البريطانية الزحف على دنقلة ليكرهوا الدراويش على التراجع وتخفيف ذلك الضغط .

وهذا القول بعيد عن الصواب . والحقيقة هى ان الحكومة البريطانية علمت من مصدر سرى أن حملة مارشان التى أرسلتها الحكومة الفرنسية من أراضى ممتلكاتها فى اتجاه الشرق تقصد فى الواقع ونفس الأمر فاشودة والنيل للتوطن هناك ودق أوتادها والحصول على طريق فى وادى النيل . واذن كانت حملة أوغندة فى الحقيقة تقصد الذهاب الى

فاشودة واحتلالها قبل ان تصل اليها حملة مارشان Marchand ولكن المصدر الرسمى كان يقول انها ألفت لتذهب الى منابع نهير جوبا Juba وتحديد تخوم النفوذ الايطالى .

وكان فى غير حيز الاستطاعة اتخاذ طـــريق النيل لسببين : الأول احتلال الدراويش للقسم الواقع شمال مديرية خط الاستواء ووجوب قتالهم بادىء ذى بدء . وحتى لو فـــرض أن هذا القتال تكلل بالنجاح فانه يعيق جدا مسير الحملة . والثانى أنها حتى على فرض أنه لم يكن يعوق سيرها كانت تلاقى فى طريقها منطقـــة السدود واجتيازها من المستحيلات إلا إذا كان يوجد هنالك بواخر وهذه لا وجود لهـــا . فلهذه الاسباب كان على الحملة أن تتجه من قسم أوغندة الشرقى صوب الشمال ثم إلى بحيرة رودلف ـ وهـــذا ينطبق تماما على السبب الذى ذكر رسميا ـ وبعد ذلك تستمر فى سيرها شمالا دائرة حول منطقة السدود من الجهة الشرقية وهكذا تصل الى احتلال فاشودة .

وما هى يا ترى أغراض الحكومة البريطانية من احتلال فاشودة ؟ أكانت لتسلمها لحكومة السودان لتدمجها فى الاتفاقية الانكليزية السودانية الخاصة بادارة السودان حتى تكون جزءا منه أم لتزعم متى احتلتها أن الجنود البريطانية هى التى فتحتها وحدها ، وبما أن فتحهم لها يكون عندئذ من الأمور المقـــررة فيقتضى اعتبار البلد بأجمعه ابتداء من هذه الناحية وما وراءها جنوبا من ممتلكات انكلترا ؟ انه ليصعب على المـــرء أن يقـــرر أحد الأمرين ، ولكن اذا كان ولا بد أن يحكم بحسب تصرفات هذه الحكومة وأفعالها التى منها زعمها ان الجزء الجنوبى من

مديرية خـــط الاستواء المصرية الذى وضعت يدها عليه بهـــذه الوسيلة هو أرض بريطـــانية يجب أن يحكم ان غرضها كان اعتبار كل المنطقة ابتداء من فاشودة وما وراءها جنوبا هى كذلك بريطانية وتقرير حدود السودان عند هذه الناحية .

وعلى ذلك لما علمت الجنـــود السودانية التى كان قد تقرر أن تشترك فى تأليف هـــذه الحملة بالشروع فى تنفيذ هذه النية ، وكانوا متشبعين بالروح السابق تبيانه ثار منهم ٦٠٠ جنـــدى لأنه استحال تعميم هـــذه الثـــورة لبعد المسافات بين مختلف الحاميات الفـــاصلة بين الحاميـــة والأخرى ولأن الحكومة توصلت الى تجريد تلك الحاميات من أسلحتها قبل ان تتصل بها أخبار الثـــورة وتنضم الى بعضها . وليس من أغراضى أن أقص مفصلات هذه الثورة التى أوشكت ان تجر الى إفلات أوغنـــدة من يد الانكليز بل أكتفى ان أقـــول انه بواسطة الجيوش الهندية التى أحضروها والتى انضم اليها أهالى أوغندة المسيحيون — لأن الجنود السودانية كانوا مسلمين — استمرت الحرب سجالا بين الفريقين أكثر من عام وانتهت بابادة هؤلاء الجنود . وهلك فى هـذه الحروب كثير من الضباط الانكليز . أما العساكر السودانية فخسروا فيها رؤساءهم الثلاثة الكبار وهم بلال افندى ومـــبروك افندى وجادين افندى الذين كانوا من قدماء ضباط الجيش المصرى كما خسروا رؤساءهم الآخـــرين . ولم يؤخـــذ من جميع هؤلاء ضابط حى بل قضى عليهم فى ميدان القتال . تلك كانت خاتمة من بقى من الجنود المصريين الذين فى السودان ، أولئك الجنـــود الذين ظلوا على عهد إخلاصهم لحكومتهم بعد أن تركتهم .

خاتمة خدمة أمين باشا

الآن وقد أتينا على ذكر جميع ما سلف أرى من المناسب أن نذكر ما وقع فى الختام لأمين باشا فنقول :

لابد أن يتذكر القراء تلك الوليمة التى أولها الماجور ويسمان قومسير غرب افريقية الالمانية الامبراطورى أثناء وجود حملة استانلى فى بجاماايو Bagamayo تكريما للذين رجعوا مع الحملة المذكورة وانه فى أثناء هذه الوليمة اتجه أمين باشا بعد أن تناول الطعام نحو النافذة المطلة على الشارع . ولما كان قصر نظره لا يسمح له بتمييز الاشياء بدرجة كافية خاله بابا يوصل الى طنف ونظرا لانخفاض عتبة تلك النافذة سقط فى الشارع ونقل على أثر هذا الحادث الى المستشفى الالمانى وفيه عولج فى الحال المعالجة التى استدعتها حالته . وكان من المظنون فى أول الأمر أنه أصيب بكسر فى الجمجمة غير انه اتضح لحسن حظه انه لم يصب بشىء من ذلك وبعد ان قضى فى المعالجة ثلاثة أشهر أبل من مرضه والتحق بخدمة الحكومة الالمانية فى فبراير عام ١٨٩٠ م .

وكان يوجد فى ذلك الحين مناظرة شديدة جدا بين انكلترا والمانيا حول اقتناء أراضى افريقية لأن الاتفاقية الانكليزية الالمانية التى كان مبينا بها منطقة نفوذ كل من الدولتين ما كان وقع عليها بعد وكانت كل واحدة منهما تحاول ان تسبق الأخرى فى احتلال الاراضى التى تطمح اليها لكى تضع المنازعة لها أمام أمر واقع .

وكان من بين الاراضى التى تتوق لها نفوسهما أراضى افريقية الوسطى

التى بها الممتلكات المصرية . وكانت هذه الممتلكات شاغلة لأفكارهما أكثر مما عداها . فكانت انكلترا ترى أن وضع يدها عليها هو بمثابة امتلاك مفاتيح الباب الذى تستمد منه مصر الحياة ولذلك كانت دواما قابضة عليها كملحقة من ملحقاتها . أما ألمانيا فهذه حتى على فرض أنها كانت مدفوعة الى ذلك بأسباب أخرى فان وضع يدها على أراض كانت تتوق انكلترا لهذه الدرجة الى امتلاكها يجعل فى امكانها طالما كان هذا السلاح فى يدها أن تنال منها امتيازات ذات بال فى مناطق أخرى ما كانت لتنالها إذا لم تكن واضعة يدها على تلك الممتلكات .

وعلى ذلك كانت الممتلكات المصرية هي التى تطفىء حرارة ظمئهما وعليها تدور رحى المساومة والمصالحة بين الدولتين .

وأعقب دخول أمين باشا فى خدمة المانيا هبوب عاصفة سخط وحنق فى صحافة الانكليز فرمته بالكنود ونكران الجميل وما شا كل ذلك من الكلام الجارح لأن الانكليز حسب قولها هم الذين أنقذوا حياته بمالهم فكان ينبغى عليه ان يضع نفسه تحت تصرفهم ويستعد لخدمة سياستهم فى مستقبل الايام لا لخدمة المانيا .

ولكن لم يكن هذا بل سافر أمين باشا على رأس حملة برعاية الحكومة الالمانية الى أواسط افريقية ليضم الى هذه الدولة أراضى وسط هذه القارة فعول على الذهاب الى بحيرة البرت نيازا للبحث عن جنوده القدماء ليتمكن بواسطة ماله عليهم من النفوذ الذى كان يتخيله ، من تجنيدهم واستخدامهم بصفة قوة مسلحة توصله الى تنفيذ أغراضه وتحقيق مطامعه .

وانتظمت الحملة وتألفت برياسة أمين باشا من : الدكتور استلمان العالم بالطبيعيات Dr. Stuhlmann ، واللفتنانت لانجلد Langheld قائد الجنود ، واثنين من الآباء البيض وهما شينز وأخت le Péres Blancs Schynze et Achte وكان أولهما ساح قبلا فى الساحل مع حملة استانلى ، ورجب افندى سكرتير أمين باشا قديما فى مديرية خط الاستواء الذى كان مقيما معه ، وباشجاويش وجاويش المانيين ، و ١٠٠ جندى ، و ٦٠٠ حمال .

وفى ٢٦ أبريل سنة ١٨٩٠ م سارت الحملة فى طريقها . وبعد أن جال أمين باشا فى ارجاء داخلية افريقية مر من جنوب بحيرة فكتوريا نيانزا ووصل بعد سياحة ١٥ شهرا أعنى فى يوليه سنة ١٨٩١ م الى كافاللى وفيها وجد سليم بك مطر وجنوده . وظن هؤلاء فى بادىء الأمر انه أتى من قبل الحكومة المصرية لانقاذهم من المكان النازلين فيه . ولكن لما أخبرهم ان ليس له علاقة بهذه الحكومة وانه موظف من قبل الحكومة الالمانية خمدت حميتهم من جهته . وحاول ان يجند البعض منهم غير أنهم أبوا ولم يستطع ان يستميل منهم غير ١٥ وأغلب هؤلاء هربوا منه بعد بضعة أيام ورجعوا الى كافاللى .

وبعد أن أقام أمين باشا فى هذه الناحية شهرا توجه غربا فى جوف الغابة الكبرى التى اجتازها استانلى وهو آت لأخذهم ووصل تقريبا الى نهر الكنغو وفى هذا الموضع قبض الاهالى عليه وأعدموه الحياة وكان ذلك فى أواخر اكتوبر سنة ١٨٩٢ م .

وهكذا كانت خاتمة خدمة ذلك الرجل الذى اهتمت أوربا بأجمعها بشأنه فى وقت من الاوقات .

ضياع السودان

يتهمنا الانكليز بضياع السودان . وردا على هـــذه التهمة اقـــول اننا لم نضيعه واننـا لو تركنا نعمل بمفردنا وبحسب ما يبدو لنـا بدون تدخلهم لما ضاع السودان أبدا وانه ما ضاع الا بتدخلهم وليس لأحد ان يداخلـه أقل ريب فى ان هـــذا الضيـاع كان مقصودا ومتعمدا والحوادث التى وقعت بعد تبرهن بوضوح وجلاء على صدق ما نقول .

وأمامنا وضع يدهم فى الحـــال على مديرية خط الاستواء التى هى من ممتلكاتنا وذلك عقب مبارحتنا لهـا تحت تأثير ضغطهم . ومن ناحية أخرى فانهم كما بينت فى خلال سرد هـذا التاريخ كانوا يطمحون الى امتلاكهـا منذ زمن بعيـد لكونهـا أنفـع مديرية من مديرياتنـا السودانيـة الأخـــرى وألزمهـا لكياننـا لأن القابض عليهـا يقبض فى الوقت نفسه عـــلى مصدر حياتنا ولهذا سارعوا الى احتلالهـا قبـــل اعادة فتح السودان واعتبروها أرضا بريطانية حتى لا تدمج فى عقد الاشتراك فيه (اتفاقية سنة ١٨٩٩ م) .

ولدينا كذلك أمام أعيننا دخولهم عنوة شركاء لنا فى السودان بعد اعادة فتحه وكانت خاتمة ذلك طردنا من هـذا البلد الذى هو ملك لنـا وحدنا وجزء لا يتجزأ من أرضنا .

ودعما لدعوانا هذه أنشر المكاتبات الآتية :

(١) — مذكرة قدمتها لمجلس النواب الانكليزى .

(٢) — خطاب من السير مالكولم مكلريث Malcolm Mcilwraith الى جريدة التيمس وقد نشرته فى ٢٠ مايو سنة ١٩٣٠ م .

(٣) — ردى على هذا الخطاب وقد نشرته التيمس فى ١٢ يونيه سنة ١٩٣٠ م .

(٤) — رد السير رنل رود Rennell Rodd على ردى السابق . وقد نشرته التيمس فى ١٤ يونيه سنة ١٩٣٠ م .

(٥) — ردى على السير رنل رود وقد اعتذرت التيمس من عدم نشره لطوله .

(٦) — صورة مناقشة حدثت فى مجلس النواب الانكليزى بصدد وادى النيل .

واليك هذه المستندات :

(١)

مذكرة قدمتها للحكومة البريطانية ولمجلس نوابها وللأمة الانكليزية بواسطة صحافتها :

« فى الوقت الذى يلوح فيه اننا على وشك ان نعقد اتفاقية بيننا وبين انكلترا وذلك بفضل ما ظهر من بعد نظر وزارة العمال الحاضرة وتشبعها بروح العدل والانصاف واحترامها مبادىء حقوق الشعوب

تلك المبادىء التى نبـــذتها ويالأسف الوزارات البريطـــانية السابقة وجعلت بيننا وبين الأمة الانكليزية المطبوعة على تقديس هـــذه المبادىء حجبا كثيفة منذ احتلت انكلترا ديارنا . نعم فى هذا الوقت الذى يرفرف فيه روح التسامح والوئام على ما يظهـــر فوق رؤوس الفريقين أناشد الامة الانكليزية وحكومتها الحاضرة ان تمد يدها لحل مسألة لا يليق بكرامتها ابقاؤها معلقة بدون حل الى الآن . تلك هى مسألة السودان .

وانى لعلى يقين انه متى وصلت الوقائع التى سأذكرها بعد الى جمهور الشعب الانكليزى يبادر الى حلها الحل العادل المنطبق على مبادىء الحق .

فأقول انهم اتهمونا بتضييع السودان مع اننا لم نضيعه وما كان ليضيع أبدا لو تركونا نعمل حسب ارادتنا واليك البراهين :

لقد تمكن عبد القادر باشا حلمى بالقوة المحلية التى كانت تحت امرته من قمع الفتنة واخمـــاد نار الثورة فى الجزيرة كلها تقريبا . فهل كان يعجز عن اعادة الأمن الى ربوع السودان اذا كان قد أمد بالاثنى عشر الف جندى التى فوض أمر قيادتها الى هيكس باشا ؟ اللهم لا .

فقد كانت الخطة التى وضعها خطة حكيمة وهى تنحصر فى ان يستمر مرابطا هو وجيوشه ومدفعيته وأسطول البواخر على طول مجرى النيل .

وفى هذا الوقت لم يكن بيد المهدى سوى كردفان وهى عبارة عن بيداء قاحـــلة لا تستطيع بحال من الاحوال ان تمير الجموع الملتفة حوله . فكان بذلك مضطرا للتخلص من هـــذا الموقف الى سلوك أحد هذين الطريقين :

فاما أن يخاطر بنفسه (وهـــذا أمر بعيد الاحتمال) ويهـــاجم جيوش عبد القادر باشا وهى متحصنة على النهـــر بمدافعها وبواخرها فتضربه الضربة القاضيه .

وإما أن يبقى كما هـو محصورا فى كردفان (وهـذا أكثر احتمالا) فيكون القضاء عليه محققا بمرور الزمن .أعنى ان الجوع لا يلبث ان يهاجم جموع أولئـــك الغوغاء فيفت فى عضدهم ويبـدد شملهم فتخبو نار الثـــورة من تلقاء نفسها . هذا فضلا عن أن أنصار المهدى يكونون قد أدركوا أن حكومة هذا الرجـل أقـل رفقا بهم من حكومـة مصر فينصرفون عنه ويهجـــرونه حالما تخمد جذوة الحمـــاسة التى تأججت بين ضلوعهم فى بادىء الأمر .

قال سلاطين باشا فى كتابه : (السيف والنار) ص ٢٣٢ بهذا الصدد :

« لو صادفت نصائح عبد القـــادر باشا آذانا مصغية لجـــرت الأمور فى السودان فى غير المجرى الذى جرت فيه ولكانت النتائج غـــير هذه النتائج السيئة .

« فقد كان يرى عدم تسيير حملة كبيرة لاعادة فتح كردفان وأن تترك والثـــوار الذين فيها الآن وأن يبقى الجيش المصرى والمـدد الذى يتلقاه مرابطا فى حصون قوية على طـــول مجرى النيـــل الأبيض . وكانت القـــوات العسكرية التى تحت إمرته كافية لقمع ثورة الجزيرة الواقعـــة بين النيلين الأزرق والأبيض والايقاع بجيوش المهدى الآتية من الغرب والحيلولة دون تقدمها .

« ولو اختيرت هـــذه الخطة لكان من المحتمل كثيرا أن يدب الفساد فى صفوفهم . وتسودهم الفـــوضى بسبب اختلال الادارة عندهم وعدم وجـــود نظام ما يستندون اليه . وبذلك تستطيع الحكومة ان تسترجع الأراضى التى ضاعت منها ولو بالتدريج على ممـــر الأيام . ولا ريب فى أنى لم أكن بمستطيع فى ذلك الحـــين أن أحتفظ بسيطرة الحكومة فى دارفـــور . على أننا لو قدرنا فى هـــذه الحالة ضياع هـذه المديرية نهائيا فاننا نكون قد اخترنا أخف الضررين بلا مراء . ولكن لم يكن ذلك رأى القابضين على أزمة الحكم فى القاهرة .

« فقـــد ظهر أمر عال جاء فيه أنه لابد من توطيد سطوة الحكومة بجيش يرسل تحت إمرة الجـــنرال الانكليزي هيكس بمساعدة ضباط أوروبيين آخرين . أما عبـــد القادر باشا فقد استدعى وعين عـــلاء الدين باشا الذى كان فـــيما سبق حكمدارا عاما لشرقى السودان بدلا منه .

« فلم تكد تبلغ مسامع المهـــدى هذه الأخبار حتى وعاها وعمل لها حسابها وأعد لها عدتها » . اه

وقد حدث بعد ذلك أن فرضت علينا انكلترا استدعاء عبد القادر باشا فـــرضا . وبديهيا أن مصر لم تستدع قائدها المنصور من تلقاء نفسها ، وتلا ذلك ان حتمت علينا اعداد حمـــلة على رأسها هيكس باشا واركان حربه وهم وان كانوا ضباطا ممتازين ولهم دراية حسنة بمهنتهم إلا أنهم يجهلون تمام الجهـــل حالة البلاد وطبيعة أرضها . وبدلا من أن يتبـــع أولئك الضباط خطة عبـــد القادر باشا التى هى غاية فى

الحكمة ويضعوها نصب أعينهم ساقـــوا الجيش الى صحارى كردفان وهناك هلك منـــه من هلك ظمأ ومن بقى قاتل فى أرض موافقة تمام الموافقة للاعداء وغير صالحـــة لقتال جيش منظم فعانى أشد الآلام ثم أبيـــد عن آخره ، أعنى أن ما كان منتظرا أن يحل بالمهدى ورجاله حل بجيشنا بسوء الخطة التى وضعت له .

فقـــل لى بربك من المسئول عن ضياع السودان بعـــدئذ أمصر ام انكلترا ؟

وإليك ما قاله الجنرال السير فرنسيس ونجت باشا وهو أعرف القواد الانكليز بالمسائل السودانية بالصفحة رقم ١١٥ من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان سنة ١٩٠٦ م بعد ان عاين ميدان القتال :

« زرت ميدان الواقعـــة التى قتل فيها الدراويش المرحوم الجنرال هيكس باشا وأفنـــوا كل جيشه سنة ١٨٨٣ م . ومن الغريب أن العساكر كانوا فى حالة شديدة من العطش مع وجـــود بركة كبيرة من المياه على بعـــد ميل واحد عنهم ولكنهم لم يعلموا بها والمحل واقـــع على بعد ٣٠ ميلا جنوبى الأبيض فى وسط غابة كثيفة ولا أشك فى أنه لو كانت النجدة المرسلة لرفع الحصار عن الأبيض أكثر عددا وأقـــوى عددا لكانت لاقت ما لاقته حملة هيكس . وإرسال تلك الحملة فى احوال كهذه يعد ضربا من الجنون وهو أكبر دليل على ان الحكومة فى ذلك الحين لم تكن عالمة بحقيقة الحال ولم تحسب حسابا للصعوبات التى لا بد لجيش عظيم من ملاقاتها فى أثناء مروره ببلاد كهذه » . اه

وقد وصل اللورد كرومر من انكلترا الى مصر بعد سفر الحملة بعدة أيام فكتب عنها فى تقريره السابق الذكر ص ١١٦ ما يأتى :

« لم أعثر على كتابة من الجنرال هيكس يستدل منها على عدم استصوابه لهذه الحملة ولكن لا ريب عندى فى انه كان عالما حق العلم أن الجيش الذى تحت قيادته لم يكن صالحا للقتال ولم يشأ أن ينصح للحكومة بالعدول عن هذه الحملة حتى لا يقال انه تردد فى تأدية مهمة محفوفة بالاخطار » . اه

وانى أقول تعليقا على هذا القول دون ان يكون لى أدنى قصد الى انتقاص الجنرال هيكس أو تسوىء ذكرى هذا الجندى الذى فاض روحه فى حومة الوغى وصار فى عداد الغابرين إن هذا التأويل من اللورد كرومر لا يتفق مع الواقع .

وبيانا لذلك أذكر لك الكيفية التى ألفت بها هذه الحملة والحوادث التى توالت عليها :

لما تألفت الحملة بمصر وأرسلت الى السودان نيطت قيادتها العامة بضابط مصرى هو سليمان نيازى باشا وعين هيكس باشا أركان حرب وقائدا ثانيا لها ودامت هذه الحالة الى أن انتصر الجيش فى واقعة المرابيع فى ٢٩ أبريل عام ١٨٨٣ م .

وكتب عنها السير فرنسيس ونجت باشا فى كتابه (المهدية فى مصر والسودان) ص ٧٥ ما ترجمته :

« طهر النصر البلاد من الثوار بين الخرطوم وسنار وعادت قبائل

كثيرة وقدمت الطاعة الى الحكومة . وصار هيكس فى حالة تمكنه من توجيه النظر الى كردفان منبع الثورة . غير أنه كان عليه قبل هذا ان يزيل من طريقه العراقيل التى كان يلقيها له كبار الموظفين فى الخرطوم بعد ما مرت ساعة الخطر الوقتى . فشمر عن ساعده وحارب هذه الدسائس محاربة طويلة استغرقت شهر مايو ويونيه ويوليه ولم تستبعد الحكومة أكبر عائق يقوم فى وجهه ألا وهو سليمان نيازى باشا إلا بعد ان قدم هيكس باشا استقالته . وعلى أثر ذلك حل محله فأصبح هيكس باشا القائد العام للحملة التى سترسل الى كردفان » . اه

فماذا يستطاع ان يستنتج من هذا غير ان هيكس باشا كان يريد ان تكون يده هى العليا فى كل أمر ورأيه فوق كل رأى فقدم استقالته لكى يزال من أمامه أكبر مخالف له الا وهو سليمان نيازى باشا الضابط الوحيد الذى يعلوه فيقال من منصبه ليخلو له الجو ؟

ولا مساغ للشك فى أن تغييرا له مثل هذه الأهمية لا يمكن حدوثه الا بتدخل قوى من قنصل بريطانيا العام بالقاهرة وهذا مما يبرر القاء المسئولية الكبرى على حكومة انكلترا .

فمن البديهى إذن ألا يجد اللورد كرومر شيئا مما توقعه من هيكس باشا لأنه هو الذى اختط خطة هذه الحملة وهو أيضا الذى دبرها . ولو كان الأمر على خلاف ذلك لكان من واجبه أن يلفت أنظار الحكومة التى يعمل لها للاخطار التى تقف فى سبيله ثم يقوم بواجبه بعد بيانها كجندى .

ويظهر فوق ذلك أن الضباط الانكليز أنفسهم عندما أمعنوا فى تلك الصحارى لاح لهم شبح خطئهم . غير انه لسوء الطالع كان قد قضى الأمر وسبق السيف العذل .

والدليل على صحة ما تقدم ما دونه سلاطين باشا فى كتابه (السيف والنار) ص ٢٤١ قال :

« بعد وقت قليل وصلت الى مذكرات أمير الألاى فركهار رئيس أركان حرب ومستر أدونوفان مكاتب جريدة ديلى نيوز . فلما قرأتها جميعها من أولها الى آخرها بعناية تامة ألفيتها مفزعة محزنة . فقد أطنب كلاهما فى وصف الشقاق الذى كانت حلقاته مستحكمة بين الجنرال هيكس وعلاء الدين باشا . وحمل فركهار على رئيسه بشىء من العنف لزلاته العسكرية واستشعر الاثنان بالكارثة التى حلت . ولام فركهار رئيسه وعنفه تعنيفا مرا لتقدمه بقوة ساءت حالتها وروحها المعنوية حتى بلغت مبلغا يؤدى بها من غير نزاع الى نزول كارثة » . اه

ومن الأمور الطبيعية التى لا تحتاج الى نزاع أن الجيش الذى يكون مسوقا الى هلاك محقق بالعطش وبما سينزله به عدوه تحت إمرة رؤساء أضاعوا كل ثقته بهم لقيادتهم له الى موارد الحتوف والهلكة لا يمكن ان يكون روحه فى مستوى عال .

وقد اضطررنا بعد ذلك الى أن نفتح السودان فتحا جديدا ، وأن تكون عساكرنا ضعف عسكر الانكليز ، وأن نؤلف فوق ذلك حملة خاصة تتكفل بانشاء السكك الحديدية التى بدونها لا يمكن أن يتم فتح ما والتى

لا يستطيع أى جيش انكليزى ان ينشئها .

وبعد أن تم كل شيء وانتهى كل أمر أجبرنا على أن نوقع عقد اتفاقية اشتراك غير مشروع لأن الخديو ليس له أى صفة تخوله التنازل عن أى جزء من الأراضى المصرية لمصلحة كائن من كان والآن ينكرون علينا حتى هذا العقد بعد كل الضحايا التى أجبرنا على تضحيتها جبرا لأننا امتثلنا وأطعنا رغم أنوفنا الأوامر التى أملتها علينا انكلترا وفرضتها علينا فرضا ثم بعد هذا تبقى هى وحدها اليوم متمتعة بفوائد هذه الاتفاقية . أما نحن فيكفينا ان نرجع صفر اليدين .

ولم تكتف انكلترا بذلك كله بل اقتطعت من السودان القسم الجنوبى من مديرية خط الاستواء القديمة وألحقته بأوغندة واعتبرته أرضا بريطانية وهذا القسم هو الذى سيقام عليه خزان بحيرة البرت نيانزا وله أهميته العظمى لدى مصر .

فانكلترا التى طلبت من فرنسا اخلاء فاشودة باسم القطر المصرى كان يجب عليها بعد ذلك ان تطبق على نفسها مع مصر المبدأ الذى اتبعته مع فرنسا بعينه ما دام لا يوجد فرق بين هذه الحالة وتلك .

ويؤخذ من كل ما سلف أن السودان لم يضع إلا لأن الانكليز أجبروا مصر على اتباع خطة أفضت الى ضياعه وانه لو ترك لها الأمر لما أضاعته مطلقا .

وبما أن مصر اضطرت بعد ذلك كله أن تفتح السودان فتحا جديدا فلا يجمل بشرف دولة عظمى كالدولة البريطانية التى تحتله الآن والتى لها فيه الأمر

والنهى أن تحرمها من حقوقها فيه .

(٢)

خطاب السير مالكولم مكلريث المنشور فى جريدة التيمس بتاريخ ٢٠ مايو عام ١٩٣٠ م .

وهذا الخطاب كتبه السير مالكولم مكلريث ردا على رسالة بعث بها نائب من نوابنا هو ممدوح رياض بك إلى جريدة التيمس بصدد مسألة السودان .

وهاك ترجمته :

مصر والسودان
مسألة السيادة

جناب مدير جريدة التيمس

سيدى

نشرتم فى جريدتكم الصادرة فى ١٧ مايو رسالة لرياض بك (ولعل هذا من سلالة رئيس النظار الشهير فى سالف الأيام) يعترض فيها على الرأى الذى أبديته بخصوص مصر والسودان فى الخطاب الذى بعثت به اليكم فى ١٠ مايو .

والنقطة الوحيدة فى هذه الرسالة التى ألحف عليكم بنشر بعض كلمات ردا عليها هى تلك النقطة الخاصة بذلك الزعم القائل إن : « اللورد

كرومر يرى ان الاتفاقية التى أبرمت عام ١٨٩٩ م لم تنتقص شيئا أبدا من حقوق مصر فى السودان » .

ويبدو ان هذا الرأى بنى بالأخص على اعتبار ان الاتفاقية « لم تبت فى حد ذاتها فى مسألة الملكية » لأن الغرض الأساسى منها كان الوجهة الادارية . ومما نزيد فى ضرورة الرد ان هذه النظرية نفسها على ما أرى تمسك بها وزير خارجية مصر (وكان عضوا من أعضاء الوفد فى المفاوضة الأخيرة) بأكثر الحاحا وشدة فى محادثة طويلة نشرتها « جريدة الديبا » فى عددها الصادر فى ١٦ مايو . ومع أن هذا الرأى يرتكز ارتكازا متينا على ما للورد كرومر نفسه من المكانة والنفوذ فان هذا اللورد دحضه بذات أقواله إذ أنه صرح بجلاء : « أن الحقوق البريطانية القائمة على حق الفتح ليست حقوقا على الادارة فحسب بل تتناول حقوق الملكية فى السودان » . (راجع كتاب مصر الحديثة تأليف الايرل اوف كرومر الجزء الثانى ص ١١٦) .

ومن جهة أخرى لم تكن هناك حاجة إلى نقض يصدر منه لأن هذه الحقوق واضحة فى نص الاتفاقية ذاتها . خذ مثلا وجود العلم إذ يكفى كفاية تامة لأن يكون علامة ورمزا للملكية . ويجب أن يقلل رفع العلم البريطانى فوق ربوع السودان من ذلك الوقت حقوق ملكية مصر . ونحن نعلم يقينا ان ذلك محق تلك الحقوق محقا تاما من أساسها . أما رفع العلم المصرى فذلك أمر ليس له إلا معنى سياسى يكاد لا يذكر . والسبب فى رفعه يرجع إلى مراعاة الشعور المصرى لا أقل ولا أكثر وذلك ترضية لعزة النفس المصرية . وهناك سبب سياسى آخر وهو ابعاد السيادة العثمانية التى

كانت لا بد أن تجر إلى بقاء الامتيازات للدول .

ولقـــد اعترفت مصر نفسها فى قضية بنسيني Bencini التى ذكرتها (وهـذه القضية لم يشر اليها رياض بك قط) بأن ليس لها حقوق ولا عليها واجبات حكومة فى السودان لأنها طلبت اخراجها من القضية مستندة فى ذلك صراحة إلى ان حكومة السودان مستقلة ومنفصلة تمـــاما . لهذا أنا عاجز عن أن أدرك كيف يعد قولى ان حقوق مصر فى السودان لا تزيد على حقوق دولة أخرى « قولا جريئا » .

المخلص

الامضاء : مالـكولم مكاريث

(٣)

ردى على هــــذا الخطاب . وقد نشرته جريدة التيمس بتاريخ ١٢ يونيه سنة ١٩٣٠ م .

وهاك ترجمته :

مصـــر والســـودان

حضرة الفاضل رئيس تحرير جريدة التيمس

قرأنا بدهشة عظيمة فى جـــريدة الاهرام ترجمة ما كتبه سير مالـكولم مكاريث ردا على رسالة حديثة عن حقوق مصر فى السودان أرسلها ممدوح بك رياض الى جريدتكم .

فقد وجدنا سير مالكولم فى رده هذا يقيم أدلة غريبة جدا على تلاشى حقوق مصر فى السودان تلك الحقوق التى لم تفق فى نظره حقوق غيرها من الدول . وأدهشنا أكثر أن تصدر مثل هذه الحجج الغريبة عن رجل نبيل كالسير مالكولم عاش فى مصر ردحا من الزمان وعين فى وظيفة مكنته من الوقوف على أمور واقعية لهذه المسألة فكان خليقا به بعد كل ذلك أن يعلم بأن مصر لم تضيع السودان من تلقاء نفسها ولكنها أجبرت بضغط من السياسة الانكليزية على اتباع خطة أفضت إلى ضياعه . وذلك بأن فرضت عليها تسيير حملة الى السودان بقيادة هيكس باشا وبعض ضباط آخرين بريطانيين وكان الجميع على مقدرتهم وكفاياتهم يجهلون تمام الجهل طبيعة أرض القطر الذى سيعملون فيه . فكانت نتيجة ذلك أن قادوا الجيش إلى فلاة كردفان المعدمة المياه وهناك أبيد عن آخره ولم يحفلوا بالآراء التى أبداها عبد القادر باشا الذى اعترض على خطتهم التعسة وكان قد أوشك أن يهدىء البلاد قبل وصولهم اليها . ولو بقى فى مركزه لوضع الأمور فى نصابها .

وأذكر تأييدا لما سبق ما دونه سير ريجنلد ونجت وهو بلا شك أعرف القواد الانكليز بالمسائل السودانية فى الصفحة ١١٥ من تقرير لورد كرومر عن مصر والسودان سنة ١٩٠٦ م قال :

« زرت ميدان الواقعة التي قتل فيها الدراويش المرحوم الجنرال هيكس باشا وأفنوا كل جيشه سنة ١٨٨٣ م . ومن الغريب أن العساكر كانوا فى حالة شديدة من العطش مع وجود بركة كبيرة من المياه على بعد ميل واحد عنهم ولكنهم لم يعلموا بها . والمحل واقع على بعد ٣٠ ميلا جنوبى

الأبيض فى وسط غابة كثيفة ولا أشك فى أنه لو كانت النجدة المرسلة لرفع الحصار عن الأبيض أكثر عددا وأقوى عددا لكانت لاقت ما لاقته حملة هكس . وإرسال تلك الحملة فى أحوال كهذه يعد ضربا من الجنون وهو أكبر دليل على أن الحكومة فى ذلك الحين لم تكن عالمة بحقيقة الحال ولم تحسب حسابا للصعوبات التى لابد لجيش عظيم من ملاقاتها فى أثناء مروره ببلاد كهذه » . اه

ونحن إذا سلمنا حتى بأن مصر لم تكن لها حقوق سابقة فى السودان فان حقها فيه محفوظ باشتراكها مع انكلترا فى فتحه . وفوق ذلك فان القوة المحاربة التى أعادت فتح السودان كانت الجنود المصرية فيها ضعف البريطانية . وأن المصريين هم الذين وحدهم أنشئوا السكة الحديد التى لولاها لكان فتح السودان متعذرا . وأن مصلحة الأشغال والمهمات فى الجيش المصرى والعمال المصريين هم الذين شيدوا جميع المبانى الفخمة والمنشئات التى فى السودان والتى يفخر بها الانكليز إلى الآن أيما فخار .

ألم يبرهن كل ذلك على ان مصر لها حقوق فى السودان أكثر مما للانكليز فيه بموجب هذا الفتح ؟ !

ثم ذكر سير مالكولم رأيا أبداه لورد كرومر فى مؤلفه « مصر الحديثة » وهو مناقض لآرائه السابقة التى نقلها عنه ممدوح بك عن اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ م فهل يا ترى عقدت اتفاقية أخرى بين مصر وانكلترا فى شأن السودان فى المدة التى بين الرأى الأول الطبيعى الذى أبداه لورد كرومر ورأيه الثانى ؟ ! اننا شخصيا لا نعرف عن ذلك شيئا ولا نرى ما يبرر تغيير الآراء فى مسألة كهذه .

وقد أتى سير مالكولم أيضا فى رده على ذكر قضية صرح فيها محامى الحكومة المصرية بأن مصر ليس لها أى شأن فى السودان .

فنرد عليه بأن المحامى فى قضية كهذه يكون بالطبع من موظفى مصلحة قلم القضايا التى هى احدى مصالح وزارة الحقانية التى تأتمر وتسترشد بأوامر وتعليمات المستشار القضائى كما يعرف ذلك سير مالكولم . فالتكلم فى السياسة فى مثل هذه الحالة وتحت هذه الظروف ليس له قيمة بالمرة ولا يمكن بأى حال من الاحوال ان يربط مصر وهى تحت الاحتلال البريطانى .

(٤)

رد السير رنل رود على ردى هذا . وقد نشرته جريدة التيمس بتاريخ ١٤ يونيه سنة ١٩٣٠ م .

وهاهى ترجمته :

مصر والسودان

جناب مدير جريدة التيمس

سيدى

إن إخلاص الأمير عمر طوسون وثباته لا ينازع فيهما منازع حتى ولا أولئك الذين آراؤهم مناقضة لآرائه مناقضة تامة . غير انه سواء أكان لنسيان طرأ على الذاكرة أم حدوث خطأ فى فهم نقطة من نقط التاريخ أرسل مكتوبا نشرته اليوم جريدة التيمس وفيه عبارة لا يمكن

السكوت عليهـــا . ذلك انه مثل مصر كأنها « كانت مكرهة بعامل ضغط السياسة الانكليزية » على استخدام هكس باشا وضباط آخرين انكليز . وان هـــؤلاء وان كانوا على دراية إلا أنهم كانوا يجهلون أحوال البلد الذى كان من الواجب عليهم ان يعملوا فيه . وهذه العبـــارة تتنافى بالكلية مع الواقع .

ففى خريف عام ١٨٨٢ م أمكن فى نهاية الأمر كبح جمـــاح ثورة العساكر المتمردين على سلطة الخديو ورجـــوع المياه إلى مجاريها فى مصر بواسطة الاحتلال البريطانى . وكان لغاية تلك الساعة لم تأت مأمـــورية دفرن Dufferin . وكان لابد من مرور وقت قبـــل ان تعلن نظرية جرانفل Granville تلك النظـــرية التى تقضى بأنه طالما ان جيشا انكليزيا يكون مقيما فى مصر تلتزم حكومة جلالة الملكة ان تنتظر احاطتها بما تستقر عليه آراء ممثلها فى مصر لتعمل بمقتضاه .

وفى فبراير سنة ١٨٨٣ م جاهر الكولونيل استيوارت Stewart وكان عندئذ فى الخرطوم بأنه يكون من عدم أصالة الرأى كلية التقدم صوب كردفان وانه فيما اذا حدثت كارثة أو هزيمة بعد سقوط الابيض فلا بد على ما يحتمل ان يجر ذلك الى ضياع السودان برمته . وفى ربيع عام ١٨٨٣ م عينت الحكومة المصرية الجنرال هكس باشا فى اركان حرب جيش السودان . وفى ٧ مايو من السنة عينها أرسل اللورد جرانفل الى المستر كارترايت Catrwright المعتمد فى مصر البرقية الآتية :

« ليست حكومة جلالة الملكة مسئولة مطلقا عن الاعمال فى السودان . تلك الاعمـــال التى بوشرت بواسطة الحكومة المصرية ولا عن تعيـــين

الجنرال هكس وتصرفه » .

وأرسلت بعد ذلك برقية أخرى فى ٨ أغسطس الى السير مالت وكان عندئذ قد تسلم مقاليد وظيفته تؤيد مرة أخرى مع الالحاح اطراح مسئولية تصريف الاعمال الجارية فى السودان عن كاهل الحكومة الانكليزية اطراحا تاما . ومع ذلك يمثل الأمير عمر طوسون هكس باشا كأنه عين تحت « ضغط السياسة الانكليزية » .

ووضع هكس باشا الذى دبر الأمور مع الحكومة المصرية بدون تدخل أحد على رأس قوة مجردة من النظام ولا قدرة لها من الوجهة الحربية وهذا بصرف النظر عن تأخير دفع رواتبها ذلك التأخير الذى كان يبلغ فى بعض الاحيان راتب سنتين . وقد يجوز انه لم يقدر الصعوبات التى كانت فى طريقه حق قدرها لا سيما انه صرح مع بعض التحفظات أنه مستعد لأن يباشر القيام بالحملة . وكان فى غير مقدور الحكومة المصرية ان تمده بالمواد اللازمة ولكنها ما كانت تميل إلا قليلا للانسحاب فألقت بنفسها أمام نكبة . وسافر هكس بحملته المنحوسة فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٣ م . وبعد ذلك بثلاثة أيام جاء السير افلن بارنج وقبض على زمام وظيفته الرسمية فى مصر .

واذا كان هناك لوم يمكن توجيهه الى الحكومة البريطانية فى ذلك العهد فذلك لأنها لم تلح فى اتخاذ السياسة الوحيدة المعقولة وهى السياسة التى وقع عليها الاختيار مؤخرا أى سياسة الانسحاب التام من السودان . وفضلا عن ذلك فانها لم تكن راغبة فى احتلال مصر وما كان بالتحقيق من مقاصدها التدخل

فى حوادث السودان حتى انها حتمت على نفسها ان تكف عن أى تدخل .

المخلص

رنل رود Rennell Rodd

(٥)

ردى على هذا الرد وقد اعتذرت جريدة التيمس من عدم نشره لطوله وهو عذر غير مقبول ومن الغرابة بمكان .

وهاك ترجمته :

الاسكندرية فى ٣ يوليه سنة ١٩٣٠ م

سيدى

استرعت نظرى منذ أيام ترجمة نشرتها الجرائد المحلية لرد سير رنل رود على رسالتى المنشورة فى عدد التيمس بتاريخ ١٢ يونيه . ولقد رغبت فى الرد عليه ولكنى آثرت الاطلاع على الأصل الانكليزى أولا . وهذا ما توافر لى الآن :

انني أشكر لسير رنل رود كلماته الرقيقة الموجهة إلى شخصى وأرد على بيانه بما يأتى :

انى أعلم تمام العلم ان سياسة اللورد جرانفل جاءت بعد حملة هكس باشا ولكن هذا لا يعنى أنها لم توجد فى ذهن الحكومة الانكليزية فى الوقت الذى احتل فيه الجيش البريطانى مصر . فما دامت الحكومة المصرية قد

أظهرت لين العريكة والطاعة للنصائح أو بمعنى أدق لأوامر الحكومة البريطانية غير الرسمية فلم تكن هناك ضرورة لجعل هذه السياسة رسمية وعلنية لأن مسلكا كهذا لا يكون لزاما إلا فى حالة المعارضة كالحالة التى أدت الى استقالة شريف باشا عندما رفض الموافقة على ترك السودان .

حقيقة أن الكولونيل استيوارت كان يرى ـ كما يقول سير رنل رود ـ عدم الزحف على كردفان وكان هذا هو رأى عبد القادر باشا أيضا ومن المحزن ان هذا الرأى لم يؤخذ به ولم يتبع إذ لو اتبع لما فقدت مصر السودان على الاطلاق .

وحقيقة ـ من الوجهة الرسمية ـ أيضا ان الحكومة البريطانية أعلنت انه لم يكن لها شأن بالاعمال الحربية فى السودان ولا بتعيين هكس باشا . ولكن المظهر الرسمى للأشياء مضلل ولا سيما فى مصر لسوء الحظ . فمثلا كان اللقب الرسمى للورد كرومر : « معتمد حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وقنصلها العام فى مصر » . ولكن كان لقبه غير الرسمى : الحاكم المطلق لمصر ومن كلمته قانون .

ولقد قرأت فى الصحف فى فرص مختلفة أسئلة تلقى فى مجلس العموم على وزير الخارجية خاصة بمصر كان الجواب عليها : « هذه مسألة تخص الحكومة المصرية » . فأى شخص يخدعه هذا الجواب الرسمى فى حين انه يعلم علم اليقين ان البلاد كانت ـ بصفة غير رسمية ـ تحت الحكم المطلق لقنصل انكلترا ؟

فلماذا لا يكون هذا شاملا لتصريح الحكومة البريطانية الخاص بالسودان

وتعيين هكس باشا ؟ فهو انكار رسمى لوجود يد لها فيهما بينما العمل بالعكس بصفة غير رسمية .

ولو كانت الحكومة الانكليزية لا تريد شيئا من السودان فلماذا أرسلت الكولونيل استيوارت فى بعثة خاصة إلى تلك البلاد ليقدم تقريرا عن سير الأمور فيها ؟ لم تكن هناك حاجة الى مثل هذه البعثة لو ان التصريح كان صادقا . أما فيما يختص بتعيين هكس باشا فان ما وقع هو كما يأتى :

بدأت الثورة المهدية قبل احتلال القوات البريطانية مصر وكان عبد القادر باشا معينا حاكما عاما للسودان قبل هذا الاحتلال . وبوجود القوات المحلية تحت أمره استطاع ان يهدىء البلاد تقريبا ولم يكن فى أيدى المهدى من البلاد إلا كردفان . فلو انه أمد بخمسة عشر الف رجل من جيش هكس باشا زيادة على القوات المحلية لأمكنه دون أدنى ريب ان يقضى بحملته على الثورة على أتم نجاح .

بعد ذلك جاء الاحتلال الانكليزى لمصر وعلى أثره اضطرت مصر إلى استدعاء قائدها المنتصر الذى هو أحد أبنائها والذى كان على وشك انقاذها من احدى الأزمات البليغة التى حاقت بها بدون حاجة الى معونة أى عنصر أجنبى .

وحل محل القائد المصرى قائد آخر انكليزى وأركان حرب من الضباط الانكليز . فهل يمكن جديا قبول هذه الحقائق على أنها حدثت من غير تدخل الحكومة الانكليزية ؟

وبفرض انه كان من الضرورى وجود قائد انكليزى ومعه أركان حرب من الضباط الانكليز على رأس الجيش السودانى فلماذا لم يفعل هذا قبل الاحتلال الانكليزى لمصر ؟

والبرقيات التالية التى قرأتها فى كتاب « خراب السودان » لمؤلفه هنرى روسل بالصفحتين ٣٦ و ٣٧ تؤيد وجهة نظرى :

المرفق ١٠ من الملف رقم ١٩٧

برقية من الجنرال هكس إلى السير ا . مالت .

الخرطوم فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ م .

أرسلت اليوم إلى نظارة الجهادية استقالتى من مركزى فى الجيش السودانى . ولقد فعلت ذلك وأنا متأسف ولكنى لا أستطيع القيام بأعباء حملة أخرى تحت هذه الظروف التى تشبه الظروف السابقة . فان سليمان باشا يقول لى إنه لا يفهم من برقية رئيس النظارة المؤرخة فى ١٤ يوليو أنه ملزم بتنفيذ آرائى فيما يختص بنظام أو كيفية زحف أو هجوم الجيش الذى يستعد للتقدم نحو كردفان ما لم يوافق هو عليها . وهو بذلك يقول فى الواقع انه يكون قد تصرف تصرفا مناقضا للتعليمات إذا نفذ آرائى من غير ان يوافق عليها . ولما كانت أفكارى وأفكاره قد تضاربت فى الحملة الأخيرة وستكون أكثر من ذلك فى حملة كردفان فلست بمستطيع تجاه ذلك إلا ان أستقيل . وفى الأيام الأخيرة فى مناسبتين هامتين أهملت وجهات نظرى .

فأرجو ان يعرض الجنرال بيكر على سمو الخديو أمر استقالتى وان يؤكد

له أسفي لهذه الضرورة وأبرقوا الى بالرد .

المرفق ١١ من الملف رقم ١٩٧

برقية من السير ا . مالت إلى الجنرال هكس .

القاهرة فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ م .

سيستدعى سليمان باشا عند انتخاب حاكم جديد . نرجو عدم ذكر هذا إلى ان يتم رسميا وانى آمل أنكم ستجدون بعد اتمام هـــذا الأمر سهولة فى عملكم كما تجدون طريقكم خلوا من العراقيل والعقبات . وسيكون علاء الدين قائدا اسميا .

المرفق ١٢ من الملف رقم ١٩٧

برقية من السير ا . مالت الى الجنرال هكس .

القاهرة فى ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٣ م .

تسلمنا اليوم برقيتك المـــؤرخة فى ٢٣ الجارى وانى أرى عدم التشدد فى طلب اقالتك بما ان سليمان باشا سيستدعى كما ذكرت لك فى برقيتى المؤرخة فى ٢٣ الجارى .

* * *

فيما سبق يتضح كل الاتضاح ان البرقيـــة الثانية أرسلت قبـــل تسلم الأولى .

ويقول مؤلف كتاب « خراب السودان » الآنف الذكر الذى هو بعيد كل البعد عن الترفق بالحكومة المصرية :

« وعلى ذلك فانه يتضح تماما مما سبق ان سير ا . مالت قد ضغط على الحكومة المصرية وهذا كما يظهر يدل على أن حكومة صاحبة الجلالة فى هذا الوقت كانت مؤيدة للحملة المشئومة وإلا لأشار نخامته بقبول استقالة الجنرال هكس .

ويبدو هذا المسلك مورطا لحكومة جلالة الملكة فى سياسة متناقضة . فهم ينكرون على طول الخط أى مسئولية عن الأعمال فى السودان ومع ذلك يشجعون بطريق غير مباشر حملة لاخضاعه » . اه

وأظن ان فى هذا الكفاية لتوكيد بيانى .

وفى الختام أرد على ملاحظة سير رنل رود وهى : « اذا كان فى الامكان توجيه أى لوم إلى الحكومة الانكليزية فى ذلك الوقت فهو من أجل أنها لم تبادر بالالحاح على الحكومة المصرية بالانسحاب من السودان » ، فأقول :

انه لو تركت الحكومة المصرية وحدها فى ذلك الوقت لمعالجة هذا الموقف دون تدخل الحكومة البريطانية لما فقد السودان قط ولما كانت هناك حاجة إلى اعادة فتحه .

وانى لآمل أن تجدوا متسعا لنشر هذه الرسالة فى جريدتكم الغراء

واقبلوا شكرى سلفا .

الامضاء

عمر طوسون

(٦)

صورة مناقشة أثيرت فى مجلس العموم البريطانى بصدد وادى النيل . وسيرى فيها القارىء الاعتراف من الانكليز المسئولين بحقوق مصر فى السودان وادعاءهم فى الوقت نفسه بأن الارض الواقعة حول منابع النيل أى مديرية خط الاستواء فى الزمن الماضى معتبرة أرضا بريطانية ابتداء من عام ١٨٩٥ م أى حتى قبل اعادة فتح السودان . واليك ترجمتها :

مناقشة دارت فى مجلس العموم
بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥ م

بعد ان قال سير ا . اشميد بارتلت E. Ashmead Bartlett انه يقصد ان يلفت الانظار الى تعسفات درلة عظيمة من الدول المجاورة (فى افريقية) استطرد فى الكلام فقال : « اما فيما يتعلق بمجرى النيل فان مسألة سلامة مجرى أعاليه تعتبر بلا نزاع أهم مسألة من بين جميع المسائل الخارجية التى ستكون موضع تنافس من وجهتى السياسة والسيادة والتى لا بد من اثارتها على ما يرجح فى السنوات القريبة المقبلة . ان الصراع قائم الآن بين فرنسا وانكلترا بشأن السيادة فى افريقية ففرنسا ترمى مطامعها الى مد نفوذها من الغرب الى الشرق أى من « السنغال » الواقعة على المحيط الاطلانطيقى ثم على خط مستقيم الى وسط افريقية عن

طريق السودان الى البحر الاحمر حيث لها الآن مرفأ فى « اوبوك » . ومتى أسست هذه المملكة الافريقية يضحى كافة شمال افريقيـة مضطرا الى أن يكون ممتلكة فرنسية ومن ضمن ذلك مصر . أما فيما يتعلق بالبحر الابيض المتوسط فانه تقريبا على وشك أن يصير بحيرة فرنسية . . . . .

وأراد سير اشميد بارتلت ان يبين الأهمية البالغة التى تنشأ من السماح لفرنسا بأن تضع يدها على أى قسم من أقسام مجرى النيل فقال :

كل دولة من الدول العظمى تستولى بأى شكل كان على جزء من أعالى النيل تصبح مصر عمليا تحت رحمتها . فالنيل هو مصر ومصر هى النيل . وكل دولة تكون لها اليد فى مراقبة مياه النيل تكون مصر فى قبضتها وتحت تصرفها ويكون فى استطاعتها أن تفرض على شعب مصر الشروط التى تروق لها وتعجبها أو تفرض تلك الشروط على الحكومة البريطانية التى تراقب سياسة مصر وتتحمل مسئوليتها .

ومن بضع سنوات مضت قال له السير صموئيل بيكر وهو ذلك المرجع العظيم الذى يعتمد عليه فى المسائل المصرية السودانية : « ان كل دولة أوربية تقبض على أعالى النيل تمسى مصر فى قبضتها » . وقال منذ سنة ضابط من الضباط الأكفاء أصحاب الجدارة التى تستوجب مزيد الالتفات : « انى لو كنت المهدى لألزمت مصر بدفع ثمن كل لتر ماء تأخذه من النيل » .

وفى أوائل هذا العام قال السير كولن اسكوت مونكريف Colin Scott Moncriff وقد كان يتكلم فى هذا الموضوع : « أما فيما يتعلق

بتحويل ماء النيـــــل وحرمان مصر من مائه فهو وان كان لا يخشى حدوثه من جانب المهدى الا ان الذى لا يستطيع هذا عمله يمكن دولة متمدنة أن تعمله .

ومن الواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ان القابض على أعالى النيل اذا كان متمـــدنا يقبض على زمام مصر ويصيرها تحت حكمه . . . . . فمتى امتلكت أمة متمدنة أعالى النيـــل فانها تقيم سدا على مخرج فكتوريا نيانزا لتوزيع ومراقبة مياه هذا البحـــر الخضم كما تراقب مانشستر ثيرلمير Thirlmere ويكون هذا من الأعمال السهلة . وعندما تتم هذه العملية يكون تصريف مياه النيل فى قبضة هذه الأمة فاذا أوقع مصر المسكينة سوء حظها فى حرب معها بشأن مياه النيل العليا يكون فى استطاعتها اغراقها أو قطع الماء عنها حسبما تشاء وتريد . فالنيل ابتداء من فكتوريا نيانزا لغاية البحر الابيض المتوسط يجب ان يكون تحت سيطرتنا » .

« والخطر علينا كل الخطر اذا ظلت حكومتنا ساكتة لا تحـــرك ساكنا الى ان تجد نفسها أمام أمر واقع فى شكل احتلال أجنبى لأعالى النيل فعندما نرى دولة أخـــرى قابضة على أعنة مصر باحتلالهـــا أعالى النيل نضطر الى أن نترك الأعمال العظيمة التى أقمناها فيها أو نباشر القيـــام بأشق الاشغال وأصعبها الا وهـــو طرد دولة عظمى من تلك النواحى القاصية فى افريقية . ان انجلترا قابضة الآن على مصبات النيـــل كما هى قابضة على منابعه ونحن نحتل مصر لغاية وادى حلفا . والذى يلزم عمـــله والحالة هذه هو ان تقوم حكومة جلالة الملكة بعمل سريع الغرض منه احتلال جميع هذا القسم من مجرى النيل احتلالا فعليا أيضا . وهذا القسم

غير واقع فى أرض مصرية أو تحت مراقبة مصر . ومن الآن الى ان يتم هذا العمل لا تضمن انكلترا أن لا تسبقها فرنسا الى هناك .

وذكر بعد ذلك تصريحات لوزراء فرنسا مظهرا ان الحكومة الفرنسية تترقب مجيء الوقت الذى ترى فيه نفسها بتنقيص أو تحويل مجرى الماء ، اذا أمكن ذلك ، فى مركز يخولها الضغط على بريطانيا العظمى ويحملها على ترك مصر . ونوه ايضا بذكر أكبر ضابط فرنسى فى الكنغو الفرنسى وقال إن هذا الضابط صرح بأن الاتفاقية المبرمة بين انكلترا والكنغو تكفل لفرنسا الدخول فى وادى النيل . . . . . وأن الدخول الى وادى النيل من جهة الجنوب هو الوسيلة الوحيدة لتسوية المسألة المصرية يوما ما تسوية تنطبق على مصالحنا . ومن السهل ضم أراضى الكونغو الى السودان عن طريق دارفور .

وعندئذ قال : انه لحادث ذو مغزى . فبينما يهدد الفرنسيون مجرى النيل من جهة الغرب تشتغل بعثة تستحق الالتفات منتدبة من قبل دولة أخرى منافسة أيضا لنا على ضفة مياه أعالى النيل الشمالية . وفى هذا توافق ليس للصدف يد فيه . فمنذ ستة أشهر سافرت هذه البعثة الروسية الكثيرة العدد والعدد والنفوذ الى بلاد الحبشة مزودة بهدايا ثمينة ومبالغ طائلة لتوزعها على الرؤوس والأهالى . وشرعت دولة أخرى من الدول العظام حليفة لنا تتحرك فى اتجاه مجرى أعالى النيل . ومن حسن حظنا ان يكون الايطاليون فى السودان الشرقى » .

وقال الماجور دارون : « لقد كان يخامرنى دائما أبدا كثير من الشك فيما يتعلق بالخطة التى يجب ان تتمشى عليها سياستنا فى مصر . واننى

لا أقصد ان أناقش فيها الآن ولكن حيث أننا أصحاب النفوذ فيجب ان نأخذ على عاتقنا كل مسئولية تتعلق بالزحف في اتجاه الخرطوم لكى نحول دون توطن أية دولة أخرى أوربية فى مركز تستطيع منه ان تلحق بمصر اضرارا فادحة » .

وقال السير ادوارد غراى : « ان لدينا مسألة حقوق مصر . فموقف انكلترا أمام مصر من ناحية حفظ وصيانة حقوقها موقف أمين اؤتمن عليها وحقوقها لم تعترف بها انكلترا فحسب بل اعترفت بها أيضا فرنسا وأيدتها أخيرا . ولقد أوضحت يوما ان مناطق نفوذ بريطانيا ومصر تشمل حسب طلباتنا وطلبات هذا البلد الأخير جميع مجرى وادى النيل من أوله الى نهايته . وهذا هو النتيجة المنطقية للحوادث التى وقعت فى السنين الخوالى وللحوادث التى علم بها العالم فى العامين الأخيرين . تسألوننى اذا كان هنالك حقيقة حملة فرنسية قادمة من غرب افريقية بقصد الدخول فى وادى النيل واحتلاله لغاية النيل . وأنا أطلب من أعضاء المجلس ان يكونوا على حذر فلا يعيروا تلك الاشاعات التى أذيعت بصدد تحرك الحملات فى افريقية آذانا مصغية . ولقد اتصلت بنا اشاعات ابتدعتها الاهواء أو أوجدتها التخيلات بصدد تحرك الحملات فى نواح شتى من افريقية فى حين انه لا يوجد لدينا فى وزارة الخارجية ما يدعونا أن نصدق بأن حملة فرنسية مزودة بتعليمات تقضى بدخولها فى وادى النيل أو أن هذه الحملة تقصد ذلك . انى لأذهب الى أبعد من ذلك فأقول انه بعد كل الذى أوضحته بصدد الحقوق التى نعتبر أننا حصلنا عليها بواسطة الاتفاقيات السالفة والمطالب التى يمكن ان تطلبها مصر بناء على مشورتنا فى وادى النيل وفوق ذلك نظرا لأن مطالبنا وآراء حكومتنا

فى هذه المسألة معروفة لدى الحكومة الفرنسية معرفة تامة وواضحة فأنا لا أستطيع ان أصدق ان هذه الاشاعات تستحق ان يعيرها الانسان أدنى التفات لأن زحف حملة فرنسية مزودة بتعليمات سرية قادمة رأسا من الناحية الثانية من افريقية الى أرض حقوقنا فيها معروفة من أزمان مديدة يكون عملا منافيا للعقل والصواب وغير متوقع ويجب على الحكومة الفرنسية ان تعلم علم اليقين انه يعتبر فى انكلترا كذلك » .

وعند انتهاء المناقشة سأل المستر لابوشير قائلا : « لماذا يجب على فرنسا ان تمتنع عن وضع يدها على أراض ممتدة عدة آلاف الأميال بين البحيرات وحدود مصر الجنوبية ؟ وقال انه لم يخبرها أحد مطلقا بواسطة أى مستند دبلوماسى بأن انكلترا لها من الحقوق أكثر مما لفرنسا على هذه المنطقة الشاسعة من وادى النيل » .

وقال عندئذ السير رتشارد تمبل Richard Temple :

« ان طلب انكلترا بمصلحة فى وادى النيل بأكمله قائم على أساسين :

أولا ـ اننا الآن ومن زمن قابضون على منابع النيل . وثانيا اننا نحتل مصب هذا النهر . وهذا الاحتلال لا يمكن ان ينتهى بالضم لكنه ليس مؤقتا وهو معد لان يستمر الى ان تصير مصر قادرة على ان تحكم نفسها بنفسها . وهذا أمر يستلزم طبعا احتلالا طويل المدى كثيرا . وانى أرى الأعضاء المحترمين الجالسين أمامى يضحكون الا انى أسألهم : متى يحين الوقت الذى تصبح فيه مصر قادرة على ان تحكم نفسها بنفسها . إنى أخشى ان لا يتيسر لهذا الجيل ان يرى ذلك اليوم . وعلى كل حال

فنحن مستولون على هذه الارض بموجب هذه الاعتبارات ومضطرون ان نسهر ليكون احتلالنا ثابتا مكفولا على انه لا يكون كذلك اذا كانت دولة أجنبية ـ وقد يحتمل ان تكون هذه الدولة مناهضة لنا ـ تحتل أواسط وادى النيل . ان هذه المسألة معلومة جيدا لدى كل مهندس من مهندسى الرى . وأريد بذلك ان أقول ان الدولة التى تكون لها الرقابة على أواسط وادى النيل يمكنها ان تقطع المياه التى تجرى فيه . ويلزمنا ما دامت مصالح مصر مشمولة برعايتنا ان نسهر على حفظ حقوقها وهى تلك الحقوق الخاصة بوادى النيل بتمامه والتى لم نزل متمسكة بها . وعلى ذلك يكون طلبنا امتداد منطقة النفوذ البريطانى من طرف النيل الى طرفه الآخر لا يحتمل أى نزاع » .

وبعد ذلك بوقت قال السير غراى ردا على المستر لابوشير « ان طبيعة ومرمى المطالب البريطانية فى وادى النيل كانت معلومة جيدا لدى الحكومة الفرنسية » . اه

خلاصة وتذييل بوثائق امتلاك مصر لمديرية خط الاستواء

وخلاصة جميع ما ذكر ان انكلترا كانت تطمع من زمن بعيد فى امتلاك مديرية خط الاستواء المصرية الواقعة فى ارجائها منابع نهر النيل العظيم الذى يمنح مصر الحياة ، تلك المديرية التى كان باحتلال مصر لها قد تم وضع يدها على وادى النيل برمته من منابعه فى منطقة بحيرات خط الاستواء الى مصابه فى البحر الابيض المتوسط . ولا يستطيع أى انسان ان يكيف طمعها هذا الا بشديد رغبتها فى امتلاك مفاتيح الباب الذى تستروح منه مصر طيب الحياة لكى تصيرها مطيعة لأوامرها وخاضعة لارادتها باستمرار .

ويرجع تاريخ مطامع انكلترا هذه الى ما قبل احتلالها لمصر بزمن بعيد . ومما يؤيد ذلك المعلومات التى تلقاها الخديو اسماعيل والتعليمات التى أمد بها هذا الخديو القائمقام شاليه لونج بك الذى عين رئيسا لأركان حرب الجنرال غوردون فى ٢٠ فبراير سنة ١٨٧٤ م عند تعيين هذا الجنرال مديرا عاما لمديرية خط الاستواء فى السنة عينها .

وهاك ما قاله شاليه لونج فى كتابه « حياتى فى أربع قارات » ج ١ ص ٦٧ My Life in four Continents :

« كان الخديو اسماعيل يذرع قاعة الاستقبال بخطوات واسعة وهو متهيج

تهيجا عصبيا عندما دخلت عليه يصحبنى طونينو بك Tonino Bey التشريفاتى الثانى ليقـــوم بواجب المحافظة عليه . فسألنى الخـــديو : هل رأيت الجنرال غوردون ؟ فأجبت : نعم رأيته يا مولاى وقضيت معه الهزيع الأكبر من الليل . فقال الخديو : حسن جدا والآن اصغ الى ما أقول :

« لقـد وقع الاختيار عليـك لتكون رئيس أركان حرب لعدة أسباب أهمها حماية مصالح الحكومة . واعلم ان القوم فى لنـدن على وشك ان يجهزوا حملة تحت قيادة رجـــل متستر بالجنسية الامريكية يسمى استانلى Stanley وهو فى الظاهر ذاهب ليمد يد المعونة الى الدكتور لفنجستـون Livingstone أما فى الباطن والحقيقة فلرفع العلم البريطانى على أوغنـــدة . فعليـك الآن ان تذهب الى غنـدوكورو إلا أنه يلزمك ان لا تضيع شيئا من الوقت بل يمم فى الحـال أوغنـــدة واسبق هناك حملة انكلترا واعقد معاهدة مع ملك تلك البلاد . ومصر لا تنسى لك أبد الدهر هذه العارفة وهذا الجميل . اذهب وليسر عقبك النجاح ان شاء الله » . اه

وسافر الكولونيل شاليـه لونج عملا بهـــذه الأوامر الى أوغنـدة كما أوضحنا ذلك قبـلا عند ذكر حوادث عام ١٨٧٤ م وأنجـــز مهمتـه وعقد معاهدة اتخـــذت أساسا للتبليغ الرسمى الذى قـررت مصر بمقتضاه ضم جميع الأراضى الواقعة حول بحيرات فكتوريا والبرت الكبرى . وسنذكر هذه المعاهدة وما جرى عليها والتبليغ الرسمى فيما بعد .

وجاء بالصفحة رقم ١٧٨ من كتاب « غوردون فى افريقية الوسطى » لمؤلفه بربك هيـــل Gordon in Central Africa, by Birbuck Hill انه فى عام ١٨٧٦ م قال غوردون باشا انه لما كان مـــديرا عاما لمديريات خط

الاستواء أرسل نور افندى محمد - وقد ترقى هذا فيما بعد الى رتبة بك وكان قائدا لجيوش المديرية - مع ١٦٠ جنديا ليبتنى محطة عسكرية فى أوروندوجانى ولكنه اجابة لطلب متيسا ملك أوغندة ذهب وابتناها فى روباجا عاصمة ملكه . وزاد على ذلك ان قال انه ما دامت هذه هى رغبة الملك متيسا فسيترك ال ١٦٠ جنديا يعسكرون فى عاصمته وانه فى استطاعته ان يأخذه أسيرا اذا حدثته نفسه باحداث قلاقل . وكانت كتابة غوردون لهذه السطور فى ٢ أغسطس من عام ١٨٧٦ م .

وكان غوردون باشا قد عزم على ان يسافر الى « روباجا » قاعدة مملكة متيسا ولكنه عدل عن هذا الرأى إذ قال فى الصفحة رقم ١٨١ من الكتاب المذكور بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٨٧٦ م إنه غير هذه الفكرة وأزمع على أن يرسل ٩٠ جنديا الى نور افندى لتعزيز ال ١٦٠ جنديا السابق ارسالهم إلى روباجا وانه بضم هاتين القوتين إلى بعضهما يصير فى هذه الجهة قوة كافية . ومن هذا يظهر بكيفية لا يتطرق اليها الشك أن غوردون كان يؤيد تأييدا تاما احتلال جنود مصر لعاصمة أوغندة ويقرر ان ذلك الاحتلال أمسى فى حكم الأمر الواقع .

وبادر غوردون باشا بابلاغ الخديو اسماعيل أنه أجرى احتلال أوروندوجانى وروباجا عاصمة أوغندة . إلا أنه فى أواخر نفس هذا العام (١٨٧٦ م) أى عند تركه خدمة الحكومة المصرية نظرا لانتهاء أجل عقد خدمته أمر بسحب كافة الحاميات المصرية المقيمة فى اونيورو و أوغندة . وعلى ذلك أخليت المحطات العسكرية الآتية وهى : فويرا ، و كيروتو ، و مازندى ، و مرولى ، و فا كوفيا ، و اوروندوجانى ، و روباجا . وعندما

عين أمين باشا مديرا لمديرية خط الاستواء أعاد احتلال بعض هذه المحطات ولكن لما عين غوردون باشا حكمدارا عاما للسودان أمر باخلائها ثانية وفعلا تم هذا الأمر ولما زايل مركزه وعين بدلا منه رؤوف باشا حكمدارا عاما للسودان رجع أمين باشا مرة أخرى واحتلها ولم يتركها إلا لما شبت نار ثورة المهدية وذلك عندما أراد ان يلم شعثه ويحصر قوته المسلحة فى محطات معينة .

وكان الخديو اسماعيل قد تلقى فى خلال هذه المدة رسالة غوردون المنبئة باحتلال قاعدة أوغندة . فبادر بالانعام عليه بالوسام المجيدى الأول . ولم يصل خبر هذا الانعام الى غوردون باشا إلا عند إزماعه على الرحيل وبعد أن أصدر أمر اخلاء تلك المحطة .

وقال فى الصفحة رقم ١٩٦ من المؤلف الآنف الذكر إنه ارتبك فى أمره وصار لا يدرى كيف يفعل . وهذا أمر يفهم بالبداهة .

ومن العجب العجاب ان يرى الانسان انه بعد ان احتل قاعدة أوغندة وكل هذه المحطات الأخرى يرجع فيخليها بعد برهة قصيرة للغاية لا سيما ان هذا الاحتلال تم بمحض موافقته ولم يكن هنالك أى داع حربى يضطره الى الاقدام على الاخلاء لأن قوته العسكرية كانت باعترافه هو نفسه قد زادت عند نهاية خدمته .

ويقول بالصفحة رقم ١٩٦ من المؤلف السابق ذكره انه التزم ان يسحب جنوده من بلد متيسا بدون ان يذكر السبب فى ذلك .

ومن رأيى ان السبب يرجع حتما الى ان انكلترا كانت مستمرة فى

معارضة توسع مصر فى اتجاه الجنوب مع انه لم يكن لها فى ذلك الوقت أصلا أية مصلحة فى تلك النواحي ولكنها كانت تنظر للمستقبل القادم .
وأستخلص هذا الرأى من شهادة رجل لا يمكن ان تعزى اليه أية محاباة لجانب مصر .

وهذا الشاهد هو فلكن أحد المبشرين الانكليز الذين أقاموا فى أوغندة وكان يكتب تقريبا فى ذلك العهد أى عام ١٨٧٩ م .

وهاك ما قاله فى مؤلفه « أوغندة والسودان المصرى » ج ١ ص ٣٢٤ :—

« ومما يؤسف له انه لم يضع أحد حدا لتعسف واستبداد كباريجا ملك الاونيورو على انه قد كان فى حيز الاستطاعة الحيلولة دون هذه التعسفات وهذا الاستبداد قبل ذلك بزمن اذا لم تكن بدت معارضات شديدة فى انكلترا من جانب أولئك الذين يرون بعين الحسد والغيرة توسع مصر فى ممتلكاتها صوب الجنوب » .

وأرى ان فى هذا القول ايضاحا وتبيانا لكل ما التبس علينا فى هذا الأمر وانه لابد ان يكون قد ورد لغوردون باشا بعد احتلاله لتلك المناطق أمر بالتحذير من عواقب ما أقدم على عمله فبادر إلى اخلاء المحطات التى كان قد احتلها .

أما فيما يتعلق بادارتنا لأعمال السودان فأية سيئة لم يعزوها اليها ؟ وأى نقد لم يوجهوه اليها ؟ وأى لسان لم يسلقوها به ؟ انى أربأ بنفسي عن ان أقول انها كانت بلغت ذروة الكمال لكنها لم تكن بالتحقيق رديئة

أيضا للدرجـــة التى صورتها بها بعض الدوائر التى لها مصلحة فى ان تظهرها بهذا المظهر . ومما لا مراء فيه انه لم تقع فى أراضى ممتلكاتنا أعمال قسوة ان لم أقل أعمال وحشية كالتى حدثت فى أراضى افريقيـة الخاضعة لنفوذ بعض الدول الأوربية .

ولا ينبغى ان يغيب عن أنظارنا أيضا ان أغلبية الموظفين الذين كانوا يرسلون الى السودان هم من الطائفـة المغضوب عليهـا أو من الذين وقع عليهم عقـوبات يجب عليهم استيفاؤها هنـاك . واذا أضفنا الى ذلك المسافات الشاسعة التى يتحتم قطعهـا ووسائل النقـل القليلة التى كانت فى ذلك العهد والتى من شأنها ان تجعل من الصعوبة بمكان ايجاد مراقبة جدية على تلك الارجاء القاصية البعيـدة ، تولتنا حقا الدهشة لعدم حدوث مساوىء أكثر مما حدث . ومع هذا فكل ذلك كان يتحسن على مرور الأيام وكانت تقل المفاسد تدريجا وفى النهاية تتلاشى . ولكى أبرهن من جهة أخرى على أن ادارتنا لم تبلغ هذه المنزلة من الانحطاط وانها كانت بالحرى أفيـد للاقطار التى احتللناها فليس أمامى أخير من أن أذكر شهادة شخصيتين لا يمكن ان يعزى اليهما التحيز أو المحاباة بأى وجه من الوجوه وهما الدكتور جونكر الذى قضى سنين عديدة فى أواسط افريقية والمحترم فلكن الذى أقام أيضا سنين طويلة فى أوغندة . والى القارىء ما رواه لنا الاول والثانى :

قال الدكتور جونكر فى مؤلفه « رحلة فى افريقية » ج ١ ص ٥٠٠ :

« يرجع الفضل الى المسلمين ، وهم الذين تعزى اليهم المطاعن والمثالب ، فى الزام الزنوج بضرورة المعيشة فى هـدوء وسلام مع القبـائل المجـاورة لهم والاقامة على قدر الامكان فى دورهم وصرفهم إلى زراعة حقولهم . وهذا العمل

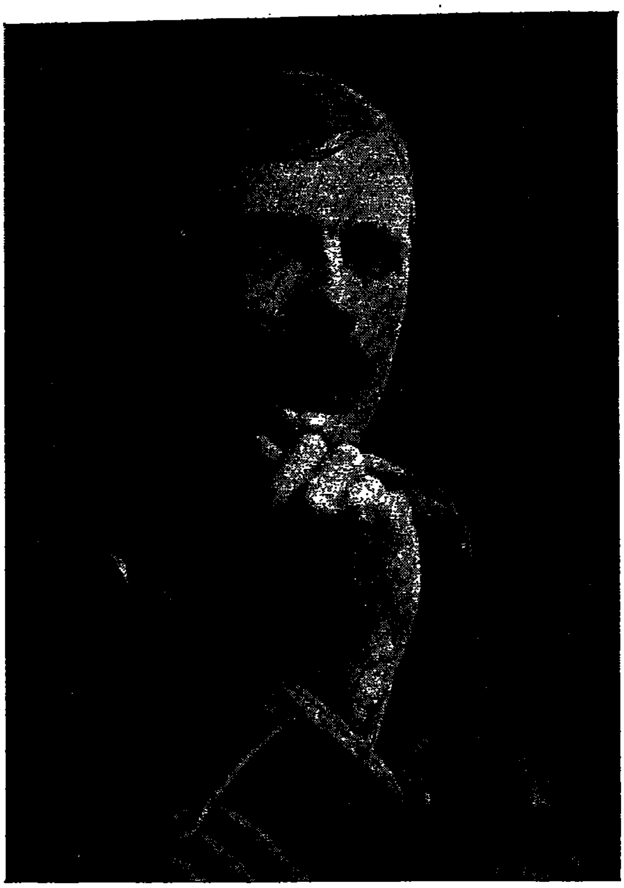
ينبغى ان نقدره حق قدره بدون ان نبخسه شيئا . ومما يشرف الحكومة المصرية وضع بلد الزنوج تحت سيطرتها وهذا الأمر مكنها ان تفتح بابا لانتشار المدنية فى مستقبل الأيام .

« ومهما بلغ من ثقل النير الاجنبى فهو فى الواقع ونفس الأمر أفضل للزنوج من حكم نفس المستبدين منهم إذ ان حكم هؤلاء مصدر حروب لا نهاية لها يفنى فى خلالها بعضهم بعضا » . اه

وقال المحترم فلكن فى مؤلفه « أوغندة والسودان المصرى » ج ١ ص ٣٢٤ :

« ويمكننى ان أقول وانا مطمئن الخاطر هادىء البال عن الاقطار الواقعة تحت الأحكام المصرية حيث يتولى السلطة أمين باشا المدير الحالى لمديريات خط الاستواء ، ان أهاليها يعيشون فى حالة أحسن من التى كانوا يعيشون فيها تحت رعاية ملوكهم الهمج المستبدين » . اه

وتكفى شهادة هذين الشاهدين حسبما أرى لدحض التهم التى وجهوها الى ادارتنا . فقد كانت النتيجة لاحتلالنا لتلك الاقطار ان مهدنا الطريق واعددناها كما قال الدكتور جونكر لانتشار المدنية فى الزمن القادم وألقينا على عاتقنا مهمة تمهيد طريق المدنية فى ربوع أولئك القبائل المتبربرة غلاظ الأكباد وكسر صلابتهم فعرضنا أنفسنا لسهامهم المسممة والوقوع فى مكامنهم وقاسينا واحتملنا هذه الاخطار والآلام التى يلاقيها المهدون الأولون لسبل المدنية . فهل كنا نعمل ذلك لأجل ان يأتى غيرنا ويحل محلنا ظلما وبكيفية غير مشروعة ؟ !



الميجـــر ستيجـــاند

وهنا أكرر ما ذكره الميجر ستيجاند (Stigand) الذى حكم تلك النواحى فى العهد الجديد فى مؤلفه « خط الاستواء Equatoria » ص ٩٩ بصدد حكم هؤلاء الزنوج فى المدتين السالفة واللاحقة ، حيث قال :

« كانت الأهالى فى عهد الحكومة المصرية القديمة كما يستنتج من التدابير التى اتخذت فى ذلك العهد أكثر عددا وأحسن نظاما وترتيبا ولكنهم كانوا أشد جنوحا للعداوة منهم فى العهد الحاضر . أما الآن فقد أصبح الدفاع عن نقطة من النقط ضد السكان المقيمين تحت ادارتنا لا يستلزم تعبا ولا نصبا حتى انه ليصعب ان يتصور الانسان حالة كهذه » . اه

وخلاصة هذا الموقف أن الأمر الوحيد الذى يمتاز علينا به خصمنا ينحصر فى قوته وضعفنا . وهذه القوة قد خولته ان يملى علينا إرادته ويجعلها بمثابة شريعة يجب العمل بمقتضاها ، غير ان هذا لا ينبغى ان يحول دون ثبات المصريين وتمسكهم بحقوقهم فيفرطوا فى شىء منها حتى ولو اغتصب منهم اغتصابا . فلو سلك أحد منهم مسلكا مناقضا لذلك وفرط فى تلك الحقوق فانه بذلك يكون قد لوث سمعته وارتكب خيانة وطنه واستحق اللعنة من الاجيال الآتية .

وهنا نورد للقارىء الكلام الخاص بالمعاهدة التى عقدها القائمقام شاليه لونج بك مع متيسا ملك أوغندة وما جرى عليها ثم ما انبنى على تلك المعاهدة وعلى فتح مديرية خط الاستواء من اعتراف الدول بملكية مصر لهذه الارجاء بواسطة التبليغ الرسمى الذى اتخذته حكومة مصر فى عهد نظارة المغفور له شريف باشا .

ولا شك أن القراء كانوا ينتظرون منا ان نورد لهم فى هذا المؤلف النص الرسمى للمعاهدة التى عقدها شاليه لونج مع متيسا ملك أوغندة ، والنص الرسمى أيضا للتبليغ الذى أرسلته مصر الى الدول وانبنى عليه اعترافها بضم مديرية خط الاستواء إلى الأملاك المصرية ووضع حماية مصر على مملكتى أوغندة والاونيورو . والقراء لهم كل الحق فى تحقيق ما كانوا ينتظرون إذ كان ينبغى ان يكون ذلك فى متناول أيدينا . فمن المخجل حقا مع الأسف الشديد الذى يحز فى النفوس ويؤلم النعرة القومية ان نفاجئهم هنا بأن هذا المطلب دونه عنقاء مغرب . فقد لعبت بهذه الوثائق الرسمية العظيمة الشأن أيدى المغتصبين حتى لا يبقى لدينا مستند رسمى نرفعه فى وجوههم . ومن العجب العجاب ان تضيع هذه المستندات فى طرفة عين بين سمع الحكومة المصرية وبصرها وان لا يبقى لها أثر ولا شبه أثر فى المراجع الرسمية . فقد بحثنا حتى أعيانا البحث فى دار المحفوظات المصرية بالقاهرة ، وفى محفوظات وزارة الخارجية المصرية ، وفى أعداد الوقائع المصرية ، ورجعنا بعد التعب والنصب بخفى حنين ، فلم نجد سبيلا أمامنا بعد هذا الاخفاق الأليم إلا الرجوع الى ما دون عنهما فى الكتب الافرنجية . وها نحن نترجم ما جاء فيها عنهما :

(١)

المعاهدة

قال الكولونيل شاليه لونج فى كتابه « مصر ومديرياتها المفقودة L'Egypte et ses Provinces Perdues ص ٢٤ و ٢٥ :

« لقد توصلت إلى اصابة الهدف السياسى الذى ترمى اليه مهمتى ونجحت فى ذلك إلى وراء ما كنت أبتغى ، وقدمت للحكومة بتاريخ ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٤ م تقريرا ذكرت فيه ابرام معاهدة مع الملك متيسا قرر فيها هذا الملك وضع مملكته تحت حماية مصر . وهذه المعاهدة التى أبلغت لسمو الخديو واتخذت أساسا لصدور تبليغ رسمى قررت مصر بموجبه ضم جميع الأراضى الواقعة حول بحيرات فكتوريا والبرت نيانزا ، قد اختفت من دار المحفوظات بمصر .

« وقد تأكد اللورد سالسبرى من اختفاء هذا التقرير خصوصا بعد تقسيم هذه الاقاليم بين انكلترا والمانيا . وزعم انه نزع تلك الأراضى من أصحابها المتوحشين لا من مصر .

« والشاهد انه بالرغم من البحث الطويل عن هذه المعاهدة لم يوجد لها أى أثر فى الوزارات المختلفة . ويحتمل أنها أعدمت مع جميع المستندات المهمة والتقارير العلمية التى وضعها زملائى الفرنسيون والامريكيون من أركان الحرب والتى تشرح جميع الاعمال التى أنجزت فى مدة خمس عشرة سنة . ويقال ان جميع هذه المستندات أحرقها ضابط بريطانى أثناء نوبة جنونية أصيب بها من أثر الخمر » . اه

(٢)

التبليغ الرسمى

وقال أيضا الكولونيل شاليه لونج بك Colonel C. Chaillé Long

فى كتابه : « أواسط افريقيـة L'Afrique Centrale » من ص ٣٣١ الى ٣٣٣ :

« لقـد شاءت ارادة البارى ان يكون لجماعة الرواد القليـلى العـدد الذين روينا آنفا أخبار ما قاموا به من الاعمال ، نصيب فى كشف منابع النيـل . لهذا وانصافا لرئيسى السابق الكولونيل غوردون الذى فارقتـه تلبية لما اقتضتـه مصلحة العمـل فى أقاليم خط الاستواء حيث كانت تستدعى شق طريق يربط بحيرة فكتوريا بالاوقيانوس الهندى مباشرة ، أدون هنا نص بلاغ رسمى أرسله أخيـرا صاحب السعادة شريف باشا الوزير الألمعى وناظر خارجيـة صاحب السمو الخديو الى قناصل الدول الجنراليـة الممثلين لدولهم فى الديار المصرية . وهـذا البلاغ يؤكد خبر ضم غوردون باشا الأراضى الواقعة حول حوض النيل الاستوائى ، وهو :

« يؤخـذ من الأخبار الأخيرة الواردة الى القاهرة ان غوردون باشا دخـل نهائيا فى مقاطعـة مرولى الواقعـة على شواطىء نهر سومرست Somerset (حيث عانى الكولونيل لونج ـ كما هو معلوم ـ هجوما شديدا ثبت أمامه ثبوت الابطال البواسل) .

« وأنشئت محطة فى مازندى عاصمة بلد الاونيورو .

« واضطر كباريجا ملك الاونيورو ، وكان يظهر دواما العداوة والبغضاء لمصر ، الى الفرار .

« واستدعى انفينا Anfina خصمـه المتشبع بروح المـودة لمصر ليخلفـه وليكون ممثلا للحكومة الخديوية .

« وخضع الأهالى والتزموا جانب الهدوء والسكينة وأرسل غوردون باشا بقيادة نور افندى وهو ضابط موثوق بأمانته واخلاصه ، الجنود اللازمين لاقامة نقطة عسكرية فى اورندوجانى ، ونقطة أخرى على شواطىء بحيرة فكتوريا على مسافة قليلة من مساقط ريبون . وورد فى الأخبار الاخيرة انه احتل موقع ماجونجو الواقع على شواطىء بحيرة البرت فى اتجاه مصب نهر سومرست . وفتح طريقا تربط ماجونجو بمحطة دوفيليه Dufilé الواقعة على النيل الأبيض قبل مصب نهير أسوا Asua حيث وصلت المراكب تقطرها باخرة .

« وبذا تم لمصر ضم جميع الأراضى الواقعة حول بحيرتى فكتوريا والبرت نيانزا إلى أملاكها . وهاتان البحيرتان الكبيرتان تفتحان مع روافدهما ونهر سومرست ميدانا رحبا للزيادة البحرية يقوم الآن غوردون باشا باعداده .

« وانه لمن حسن طالعنا ان نحيطكم علما بنتيجة ما توصلت اليه هذه الحملة الموفقة التى كللت أعمالها بالنجاح بفضل أولئك الذين قاموا بتدبيرها بفكر ثاقب وبسالة واخلاص باشراف غوردون باشا وذلك بقصد تحقيق رغبات الخديو التى ترمى الى احياء تلك الاقاليم بنشر المدنية بين ربوعها واعداد أراضيها للفلاحة وتنمية متاجرها .

« ومع مرور الزمن لابد من تحقيق هذه المآرب بمعاونة ادارة منظمة حازمة وهذا هو الأساس الذى لابد منه ولا غنى عنه لبلوغ درجة النجاح . وبعد وضع هذا الأساس لا تتخلف الحكومة الخديوية ولا تنى عن بذل جميع الوسائل الكافلة للوصول الى الغاية التى تسعى اليها

فى أقرب وقت .

« ويساور غوردون باشا الأمل بأن طرق المواصلات بين مختلف المحطات ستكون فى مدى سنة أو اثنتين آمنة الأمان الكافى بحيث تسمح للتجار والسياح ان يسيروا فى البلد آمنين مطمئنين الاطمئنان التام » . اه

خاتمة

نختتم هذا الكتاب بحمد الله تعالى على حسن توفيقه لنا باخراجه إلى لغة الضاد حتى يكون فى متناول أيدى أبناء مصر والسودان وليعرفوا منه ما قام به آباؤهم وأجدادهم من جهود استولوا بها على وادى النيل من منابعه الى مصابه . وهم بذلك إنما استولوا على حقهم الطبيعى ولم يفتاتوا على أحد . فالوادى واديهم وهم أبناؤه فيجب أن يعود الحق الى أصحابه ، وأن يسترد أبناء هذا الوادى ما سلب منهم من بلاد هى لهم بمثابة الروح للجسد . فليعمل أبناء هذا الجيل لاستعادتها وان لم تشأ الاقدار أن تدنيهم من ثمار جهودهم فليكن أبناء الأجيال القادمة أسعد حظا . ولا يضيع حق وراءه مطالب ولا يأس من روح الله والله مع الصابرين ؟

مراجع الكتاب

(١)

المراجع العربيـــة

١ ـــ دار المحفوظات المصرية بالقلعة .

٢ ـــ مخلفات بعض رجال الجيش المصرى فى مصر والسودان لذراريهم .

٣ ـــ تاريخ السودان القديم والحديث لنعوم شقير بك .

٤ ـــ كتاب « السودان بين يدى غوردون وكتشنر » لابراهيم فوزى باشا .

٥ ـــ كتاب حقائق الاخبار عن دول البحار لاسماعيل سرهنك باشا .

(٢)

المراجع الافرنجيـــة

1 — LA BARBARIE AFRICAINE ET LES MISSIONS CATHOLIQUES DANS L'AFRIQUE EQUATORIALE, contenant particulièrement les actes des martyrs nè gres de l'Ouganda,
par F. Alexis, Procure Générale,
Paris, 1891.

2 — LA TRAITE DES NEGRES ET LA CROISADE AFRICAINE,
par F. Alexis, Procure Générale,
Paris, 1891.

3 — GORDON AND THE SUDAN,
by Bernard Allen, Macmillan and Co., Ltd.,
London, 1931.

4 — WITH MACDONALD IN UGANDA,
by Major Herbert Austin, Edward Arnold,
1903.

5 — ISMAILIA,
by Sir Samuel Baker, Librairie Hachette & Cie,
Paris, 1875.

6 — JOURNAL ET CORRESPONDANCE DU MAJOR BARTTELOT, Commandant l'Arrière-Colonne dans l'Expédition Stanley, à la Recherche et au Secours d'Emin Pacha,
publiés par son frère, Librairie Plon,
Paris, 1891.

7 — GORDON IN CENTRAL AFRICA,
by Birkbeck Hill, Thomas De La Rue & Co.,
London, 1885.

8 — TRAVAUX GEOGRAPHIQUES SOUS LA DYNASTIE DE MOHAMED ALI,
par Bonola Bey, Société Khédiviale
de Géographie, 1889.

9 — THE OTHER SIDE OF THE EMIN PACHA RELIEF EXPEDITION,
by H. R. Fox Bourne, Chatto & Windus,
London, 1891.

10 — DER SUDAN UNTER ÄGYPTISCHER HERRSCHAFT,
von Richard Buchta, F. A. Brockhaus,
Leipzig, 1888.

11 — L'AFRIQUE CENTRALE,
par le Colonel Chaillé Long, Plon & Cie,
Paris, 1882.

12 — BULLETIN DE LA SOCIÉTÉ KHEDIVIALE DE GEOGRAPHIE,
Série I, Caire, 1876-1881.

13 — L'EGYPTE ET SES PROVINCES PERDUES,
par le Colonel Chaillé Long,
Librairie de la Nouvelle Revue,
Paris, 1892.

14 — MY LIFE UNDER FOUR CONTINENTS,
by Colonel Chaillé Long, Hutchinson & Co,
London, 1912.

15 — TEN YEARS IN EQUATORIA AND THE RETURN WITH EMIN PACHA,
by Major Casati, Frederick Warne & Co.,
London, 1891.

16 — SITUATION INTERNATIONALE DE L'EGYPTE ET DU SOUDAN, (Juridique et Politique),
par Jules Cocheris, Librairie Plon,
Paris, 1903.

17 — THE LAND OF THE NILE SPRINGS,
by Colonel Sir Henry Colvile, Edward Arnold,
London, 1895.

18 — LA SUCCESSION DE L'EGYPTE DANS LA PROVINCE EQUATORIALE,
par Henri Dehérain, Revue des Deux-Mondes,
T. CXXIII, 1894.

19 — PROVINCES OF THE EQUATOR,
Publications of the Egyptian General Staff,
Cairo, 1877.

20 — SEVEN YEARS IN THE SOUDAN,
by Romolo Gessi Pacha, Sampson Low, Marston & Co.,
London, 1892

21 — L'OUGANDA ET ALEXANDRE MACKAY,
par A. Glardon, Librairie Grassart,
Paris, 1891.

22 — DIE WAHRHEIT UBER EMIN PACHA, DIE AEGYPTISCHE AEQUATORIALPROVINZ UND DEN SOUDAN,
von Vita Hassan,
Berlin, 1893.

23 — REPORT ON THE EGYPTIAN PROVINCES OF THE SOUDAN, RED SEA AND EQUATOR,
Intelligence Department, War Office,
London, 1884.

24 — EARLY DAYS IN EAST AFRICA,
by the late Sir Frederick Jackson, Edward Arnold & Co.
London, 1930.

25 — STORY OF THE REAR COLUMN OF THE EMIN PACHA RELIEF EXPEDITION,
by the late James S. Jameson, R. H. Porter,
London, 1890.

26 — TRAVELS IN AFRICA, DURING THE YEARS 1875 - 1886
by Dr. W. Junker, Chapman & Hall,
London, 1890.

27 — WASTON PACHA,
by Stanley Lane-Pool, John Murray,
London, 1919.

28 — THE RISE OF OUR EAST AFRICAN EMPIRE,
by Captain F. D. Lugard, William Blackwood and Sons,
London, 1893.

29 — THE STORY OF THE UGANDA PROTECTORATE,
by General Lugard, Horace Marshall and Son,
London, 1900.

30 — SOLDIERING AND SURVEYING IN BRITISH EAST AFRICA,
by Major J. R. L. Macdonald, R. E. Edward Arnold, London, 1897.

31 — EMIN PASHA AND THE REBELLION AT THE EQUATOR,
by A. J. Mounteney-Jephson, Samspn Low, Marston, Searle and Rivington, London, 1890.

32 — SIR SAMUEL BAKER, A MEMOIR,
by Douglas Murray and Silva White, Macmillan and Company, London, 1895.

33 — AU SECOURS D'EMIN PACHA, 1889-1890,
par le Dr. Peters, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1895.

34 — AU COEUR DE L'AFRIQUE, OUGANDA, un demi-siècle d'apostolat au Centre Africain, 1878-1928,
par le R. P. Anthony Philippe, des Pères Blancs, Editions Dillien and Cie, Paris, 1929.

35 — THE BRITISH MISSION TO UGANDA IN 1893,
by Sir Gerard Portal, Edward Arnold, London, 1894.

36 — L'OUGANDA ET LES AGISSEMENTS DE LA COMPAGNIE ANGLAISE " EAST AFRICA ",
à la Procure des Missions d'Afrique, Paris, 1892.

37 — EMIN PASHA IN CENTRAL AFRICA,
by Prof, G. Schweinfurth, Prof. F. Ratzel,
Dr. R. W. Felkin, and Dr. G. Hartlaub, translated,
by Mrs. R. W. Felkin, George Philip and Son,
London, 1888.

38 — EMIN PASHA, HIS LIFE AND WORK,
by George Schweitzer Archibald Constable and Co.,
westminster, 1898.

39 — A TRAVERS L'AFRIQUE AVEC STANLEY ET EMIN PACHA, Journal de Voyage du Pére Schynse, publié Par Charles Hespers, W. Hinrichsen,
Paris, 1890.

40 — STANLEY AND HIS HEROIC RELIEF OF EMIN PASHA,
by E. P. Scott, Dean and Son,
London, 1890.

41 — THE PARTITION OF AFRICA,
by J. Scott Keltie, Edward Stanford,
1893.

42 — DANS LES TENEBRES DE L'AFRIQUE,
par H. M. Stanley, Librairie Hachette and Cie,
Paris, 1890.

43 — EQUATORIA, THE LADO ENCLAVE,
by Major C. N. Stigand, Constable and Co.,
London, 1923.

44 — SUDAN NOTES AND RECORDS, Vol. X, 1927.

45 — AFRICAN INCIDENTS,
by Brevet-Major A. B. Thruston, John Murray,
London, 1900.

46 — STANLEY AU SECOURS D'EMIN PACHA,
par A. J. wauters, Maison Quantin,
Paris, 1890.

47 — UGANDA AND THE EGYPTIAN SUDAN,
by the Rev. Wilson and Felkin, Sampson Low,
Marston, Searle, and Rivington,
London, 1882.

48 — MAHDISM AND THE EGYPTIAN SUDAN,
by Major F. R. Wingate, Macmillan & Co.,
London, 1891.

فهـرس

صـــور الكتـــاب

فهرس

موضوعات الجزء الثالث

فهرس

أعلام الأشخاص والقبائل والجماعات الواردة بهذا الكتاب

(ب)

(ت)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ى)

تنبيـه : طبع فى بعض النسخ بالصفحة ٢١ من هذا الفهرس الرقم ٣٢٢ بين أرقام صفحات اليوزباشى سليمان افندى سودان خطأ فليستدرك ذلك .

فهرس

أسماء البلاد والبحار والأنهار والجبال وسائر الأماكن

(ب)

(ت)

(ح)

(خ)

(ق)

محطة أو مركز فاديبك ج ٢ ص ٦
و ٧ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٤ و ٦١ و ٦٢
و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٦ و
١٠٥ و ١٠٦ و ١٢٦ و ١٥٢ و ٢٠٨
و ٢٥٢ و ٢٧٩ و ٢٩٥ و ٣٧٣ و ٣٧٨
و ج ٣ ص ٧ و ٢٨
محطة فاكوفيا (انظرها فى قرية)
محطة فضل الله افندى القديمة ج ١ ص ٣٤٦
محطة فودا ج ٢ ص ٦٠ و ٧١ و ٢٩١
- ٢٩٥ و ٣٠٠ و ٣١٣
محطة أو مركز أو مديرية فويرا
ج ١ ص ٧١ - ٧٤ و ٨٠ و ٨٨ و
٨٩ و ٩٢ و ١٢٦ و ١٤٦ و ١٥٠ و ١٥٤
و ١٥٥ و ١٥٧ و ١٦٢ و ١٦٣ و
١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٦ و ١٧٧
و ١٨٠ و ١٨١ و ١٩٨ و ٢٢١ و
٢٢٢ و ٢٢٤ - ٢٢٩ و ٢٣٩ و ٢٤٤ و
٢٤٥ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٥١ - ٢٥٣

و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٦١ و ٢٦٢ و
٣١٠ و ٣٩١ و ٤٠٨ و ٤١٤ و ٤١٥
و ٤١٨ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٣٥ و
٤٣٦ و ج ٢ ص ٨ و ٩ و ٥٤ و
٦٠ و ٦١ و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ و ٧٥
و ٧٦ و ١٢٥ و ١٥٢ و ٢٠٨ و ٢٣١
و ٢٩٣ و ٢٩٥ و ج ٣ ص ٣٨٠
محطة كابابندى (مكرا كا الكبرى)
ج ١ ص ٢٠٩ و ٣٣٩ و ٣٤٤ - ٣٥٠
و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ج ٢ ص ٦٥ و
١٠٨ و ١١٠ و ١٨٣ و ٢٠١ و ٢٢٥
و ٢٣٩ و ٢٤١ و ٢٦٨ و ٣١٨ و ٣٢٠
محطة كاليكا ج ١ ص ٣٤٨ - ٣٥٠
و ٣٩٤ و ج ٢ ص ٦٥ و ٢٢٨
محطة كجك على أو كشك على ج ١
ص ٢٧ و ٣٣ و ١٤٣
محطة أو مركز كرى ج ١ ص
١٨٥ و ١٨٧ - ١٩٠ و ١٩٢ و ٢٤٤ و

٢٠٩ و ٢١٣ و ٢٤١ و ٣٣٢
محطة مرولى (ومرولى أيضا اقليم ومقاطعة)
ج ١ ص ٩١ و ١٤٨ و ١٦٣ و ١٦٤
و ١٧٠ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧
و ١٩٨ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٩ و
٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣١
و ٢٤٥ – ٢٤٨ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و
٢٥٣ و ٢٥٥ – ٢٥٩ و ٢٦١ و ٢٦٤
و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١٦ و ٣١٧ و
٣٣٣ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٧ و ٣٧٩
و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٧ و ٣٩٠ و
٣٩١ و ٤٠٨ و ٤١٥ و ٤١٨ و ٤٢٠
و ٤٢١ و ٤٢٣ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ج
٢ ص ٨ و ٦٠ و ٢٩٩ و ج ٣ ص
١١ و ١٣ و ١٨ و ٣٢ و ١٢٦ و ٣٢٢
و ٣٨٠ و ٣٨٨
محطة مسعودى ج ١ ص ٢٣٠
محطة مسوه ج ٢ ص ٦٧ و ٣٧٨ و

ج ٣ ص ٧ و ١٩ و ٣٢ و ٤٢ –
٤٥ و ٥٠ و ٦٣ و ٦٤ و ٧١ و ٨٨
و ٨٩ و ٩٥ و ١٠٨ و ١١٦ و ١٣١
و ١٣٢ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٣ و
١٤٩ و ١٥٩ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٨١
و ١٨٦ و ١٩٧ و ١٩٩ – ٢٠١ و
٢٠٤ و ٢١٦ و ٢٢١ و ٢٤٦ و ٢٤٨
– ٢٥٠ و ٢٥٣ و ٢٦١ و ٢٧٤ و
٢٧٥ و ٢٨٠ و ٢٨٥ و ٢٩٧ و ٣٠٢
و ٣٠٣
محطة أو مركز مكراكا ج ١ ص
١٥٣ و ج ٢ ص ٤٧ و ٥١ و ٥٤ و
٦٤ و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٦
و ٨٦ و ٨٧ و ٩٠ و ٩٤ و ١٠١ و
١٠٦ – ١٠٨ و ١١٠ و ١١٧ و ١٢٧
و ١٢٩ و ١٤٦ و ١٥٢ و ١٧٣ و
١٧٦ و ١٨٠ و ١٨٣ – ١٨٦ و ١٨٨
و ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٤ و

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)